د.عبد الرحمن غنيم

آرثر المنقذ المنتظر

والأصول العربية لأسطورته



آرثور المنقذ المنتظر

والأصول العربية لأسطورته

1 – مقدمة تمهيدية

لعله من المفارقات الغريبة أن يفرض علينا البحث في الميثولوجيا السلتية أن نبدأ من الشخصية التي يُعتقد أنها تمثل نقطة الختام، ليس فقط بالنسبة للميثولوجيا الكلتية، ولكن أيضًا بالنسبة لسيادة الكلت الكلية أو الجزئية على معظم المناطق التي كانوا استحوذوا عليها في أوروبا، والتي بلغت مساحتها ثلاثة أرباع أوروبا إضافة إلى جزء من آسيا الصغرى. فمع تفاقم الهزائم الكلتية أمام هجمات القبائل الهندو – أوروبية - سواء في القارة الأوروبية أو في الجزر البريطانية، ومع حلول الديانة المسيحية محل الديانة الكلتية الوثنية السابقة، بدا أن الكلت يصنعون لأنفسهم أملًا من خلال ابتداع شخصية آرثور، الذي يجمع في صفاته بين الإله والملك والقائد المحارب. والأهم أن آرثور هذا – في نظرهم - لم يمت، وإنما يعيش في مكان معين، وسوف يعود مع جنوده لإنقاذ شعبه في حالة الضرورة القصوى!!.

في كتابه «البحث عن منقذ»، الذي يقدم فيه دراسة مقارنة بين ثماني ديانات، ليست الكلتية من بينها، يقول الباحث فالح مهدي إن الفكر الفلسفي الديني، عبر مراحل تطوره، أكد أن لهذا الكون قوة خارقة، أوجدته من العدم، وما برحت تحكمه منذ الأزل، وتتصرف في شؤونه، وهذا ما أدى إلى سنّ تشريعات وقوانين تتفق مع هذا المفهوم. وانطلاقًا من ذلك فقد اتفقت الأديان كلها على أن تلك القوة التي خلقت الحياة على الأرض سوف تُنهي هذه الحياة في يوم من الأيام. كما أكدت – أي تلك الأديان – على علامات معينة سوف يكون ظهورها نذيرًا بنهاية العالم. ومن خلال دراسته للديانات المصرية القديمة، والهندوسية، والبوذية، والجينية، والزرادشتية، واليهودية، والمسيحية، والإسلامية، وأن اختياره لها كان على سبيل المثال لا الحصر، فقد لاحظ أن هذه الأديان تؤكد أن للعالم نهاية لا ريب فيها، وسوف تصاحب هذه النهاية نزول منقذ بواسطة القدرة الإلهية، لإنقاذ الأخيار بعد أن يصيب الأرض الدمار ويحل فيها الفساد. ولهذا المنقذ صفات خاصة خارقة ورد ذكرها

في كل هذه الأديان تقريبًا، فهو قد ولد في ظروف صعبة، وتعرضت حياته لمخاطر كثيرة، وله علامات لا تتوفر لدى البشر الآخرين إضافة إلى كونه من سلالة الملوك والأمراء {1}.

ربما انطبقت بعض هذه الصفات على آرثور كما سنرى من خلال البحث، لكن آرثور {الملك} كان في الأصل إلهًا، وعودة آرثور إلى شعبه لإنقاذه ليست مرتبطة بنهاية العالم، وإنما هو الأمل الأخير لهذا الشعب. ولقد جرت بلورة هذا الأمل تحت وطأة الهزائم الفعلية. هنا نحن نواجه في الواقع مشكلة تخفيض صفة آرثور من إله إلى ملك. ولعل هذا ما جرى للتوفيق بين الإيمان المسيحي الذي كان قد انتشر منذ زمن قريب وحل محل الديانة القديمة، وبين التمسك بشخصية آرثور والأبطال أو الآلهة المحيطين به، وذلك بتحويلهم إلى بشر، ومنحهم صفة الخلود رغم ذلك. والأهم أن هذا الإيمان يبدو كلون من ميكانيزمات الدفاع عن الشخصية التي أخذت تغرق ضمن واقع جديد وجدت نفسها عاجزة عن مواجهته.

لقد بات آرثور رمزًا للتاريخ السلتي في آخر مراحل دفاع السلت عن وجودهم وهويتهم، لكن هذا الرمز البطولي لا يستطيع ستر عورة الواقع الذي قاد السلت إلى معاناة الهزيمة. وعليه، فإن هذا الواقع سيشكل جزءًا من ملامح المأساة التي جعلت آرثور الملك – إن كان قد وجد فعلًا - يفشل في إنجاز انتصار حاسم لصالح شعبه. كل ما أمكنه فعله – وفق مقولة الأسطورة – أن يؤخر هذا الانهيار لبعض الوقت. لكن الأمل في عودته بعد الغياب لم ينقطع. فهو في نظرهم الوحيد الذي يمكنه أن ينقذهم. وهذا يعني أنهم يرون فيما حدث لهم نهاية لمرحلة طويلة من تاريخهم الذي كانوا ينظرون فيه إلى أنفسهم، أو ينظر إليهم الآخرون، أو بعض الآخرين كقوم جبارين. فخراب عالمهم الخاص قد وقع بالفعل. وهم لا ينتظرون دمار العالم، ليأتيهم آرثور منقذًا، بل ينتظرون ظهور ما يسمونها بالحاجة القصوى إليه. لكن آرثور يتحول مع الزمن إلى مجرد قصة مسلية، أو وسيلة من وسائل التذكير بأنه كان للسلت «إمبراطوريتهم» أو «ممالكهم» الخاصة في وقت ما. وأما بالنسبة إلينا نحن العرب فإن الأمر

مختلف، إذ أن شخصية آرثور الإله هي جزء من ميثولوجيا كانت قائمة في بلادنا، ومن ثقافة حملها أجداد لنا إلى أوروبا. وبالتالي يصبح فهم التجربة الآرثورية جزءًا من فهم التجربة السلتية. وفهم التجربة السلتية يصبح جزءًا من فهم التاريخ القديم في المنطقة العربية.

كان (فورتيجيرن) واحدًا من ملوك السلت البريطانيين الذين جلبوا قبائل السكسون إلى بريطانيا، أي أنه كان خائنًا لشعبه. ويرد في كتاب جيوفري «حياة مرلين»، أن مرلين تنبأ لفورتيجيرن مخبرًا مسبقًا عن آرثور الذي لم يكن قد ولد بعد

الجنس المظلوم سوف يتغلب في النهاية

لأنه سيقاوم وحشية الغزاة

خنزير كورنوول سيحضر النجدة ضد هؤلاء الغزاة

لأنه سيدوس أعناقهم بقدميه

جزر المحيط ستعطى للخنزير القوي

وسينصّب على غابات الغال

بيت رمولوس سترعبه وحشية الخنزير

ونهاية الخنزير ستكفن بسر خفي {2}.

ويبدو أنه على الصعيد العملي، فإن هذه النبوءة المدعاة لم تتحقق. والأهم أن من سموا بـ «الجنس المظلوم»، وهي تسمية تذكرنا اليوم بالظلم الذي لحق بالعرب في ديارهم، كانوا عمليًا قد ظلموا أنفسهم أكثر مما ظلمهم الآخرون. وهذا ما سيتكشف لنا من خلال تعقب أسطورة آرثور.

هوامش

{1} فالح مهدي، البحث عن منقذ، دار ابن رشد، بيروت 1981، ص ص 5 و6 .

{2} آدم ليفن، عن الإنترنت، ص 8 . مقتبس عن Ashe, Discovery، 90 .

2 – كيف تشكلت أسطورة آرثور؟

يرد في تعريف آرثور القول: إنه بطل ليجندي وملك لبريطانيا، مع احتمال وجود أصل تاريخي. قام بأعمال عظيمة وبطولية، ويخدمه فرسان الطاولة المستديرة. زوجته هي {جونيفير}، وهو ابن {أثير بن دراغون} من {إجيرنا}. وأصبح ملكًا في الخامسة عشرة من عمره عقب وفاة أبيه. هاجم ودحر الغزاة السكسون، وهزم الإسكوتلنديين. أُصيب بجراح مميتة في معركة مع موردرد، فنقل إلى أفالون. وثمة تماثل بين مآثر الملك آرثور وفرسانه وبين الآلهة والأبطال الكلت{1}.

وتقول الباحثة (جوي شانت) إنه كان هناك كثير من الأبطال في التاريخ السلتي قبل زمن آرثور، وعدد قليل بعد ذلك، حيث من المحزن أنهم جميعًا انتهوا إلى النسيان على جانب الطريق. وقد حجبوا بالبريق الذي حققته القاعة الأخيرة العظيمة للسلت متمثلة بحكم آرثور. لقد كانت هناك قصة عظيمة تتحدر من تلك الفترة، تشمل تلك المتعلقة بفرسان الطاولة

المستديرة، ومرلين، وربما الأكثر شهرة من الجميع الثلاثية المحببة لآرثور وجوينيفير ولانسيلوت. وكان آرثور الخالد والأعظم بين قادتهم، موطدًا سلطته وموحدًا الدفاعات البريطانية بشكل فعال جدًا، حيث السلام والحكومة الجيدة بقيا لجيل بعد زمنه. وكيفما كان، فإن هذا الكفاح أحال جزيرة بريطانيا إلى عدد من الأمم المنفصلة، التي صمدت آثارها إلى اليوم، وحولتها إلى كابوس من الناحية اللغوية{2}.

يبدو أننا نقرأ هنا تاريخًا حقيقيًا، لكن المسألة ليست بهذه البساطة.

لقد نوقشت القاعدة التاريخية لليجندة الملك آرثور طويلًا من قبل المتخصصين. وإن إحدى مدارس الفكر ترى مدخـلًا متمثلًا في كتاب «تاريخ البريتـون» و«حوليات كامبريا» ما يكفي للقبول بأنه كان شخصية تاريخية حقيقية، وأنه قائد روماني – بريطاني حارب ضد الغزو الأنكلوسكسوني في وقت ما في أواخر القرن الخامس، وحتى أوائل القرن السادس الميلادي. كتاب «تاريخ البريتون» العائد إلى القرن التاسع

الميلادي، وهو مصدر لاتيني تاريخي، أشار في بعض صفحاته إلى كاهن ويلزي يدعى نينيوس Nennius، يدون اثني عشرة معركة خاضها آرثور. وهذه تنتهي بمعركة جبل بادون حيث قيل إنه قتل بمفرده 960 رجلًا. الدراسات الأخيرة، مع ذلك، تتساءل عن مدى صلاحية كتاب «تاريخ البريتون» كمصدر لتدوين تاريخ تلك المرحلة. المرجع الآخر الذي يبدو أنه يساند وجود آرثور التاريخي، ويعود إلى القرن العاشر، هو «حوليات كامبريا» {حوليات ويلز}. التي ربطت آرثور أيضًا مع معركة جبل بادون. وقد أرّخت الحوليات تلك المعركة بين 516 – 518 م، وأيضًا أشارت إلى معركة كاملان، حيث قتل آرثور ومدراوت، وأرختها في 537 – 539م. وهذه التفاصيل استغلت غالبًا لتأكيد تاريخية الأحداث، ولتأكيد أن آرثور خاض حقًا معركة جبل بادون. ولكن المشاكل أثيرت أيضًا حول صلاحية هذا المصدر لمساندة ما جاء في «تاريخ البريتون». فالبحث الأخير يرينا أن حوليات كامبريا أسست على مفكرة بدأ تدوينها في القرن الثامن الميلادي في ويلز. إضافة إلى ذلك، فإن التاريخ المعقد لحوليات كامبريا

تمنع أي تأكيد من أن الحوليات الآرثورية قد أضيفت إليها في ذلك الوقت المبكر. إذ يبدو أنها أضيفت في القرن العاشر، وأنها لم توجد مطلقًا في أية حوليات أقدم. ومدخل «جبل بادون» ربما اقتبس من كتاب «تاريخ البريتون». وهذا الفقر في وجود الإيضاح المبكر، هو السبب الذي جعل الكثير من المؤرخين المعاصرين يستثنون آرثور من دراساتهم لفترة التاريخ البريطاني الروماني. ومن وجهة نظر المؤرخ توماس تشارلز إدواردز أنه «في تلك المرحلة، فإن المرء يمكنه فقط أن يرى وجود آرثور حقيقي {ولكن..} المؤرخ يمكن أن يقول بأنه لا قيمة للمعلومات عنه». هذه الاتجاهات الحديثة القائلة بالتجاهل باتت هي الغالبة. أما المؤرخون المبكرون فكانوا أقل تشكيكًا. المؤرخ (جون موريس) جعل الحكم المشكوك فيه لآرثور البداية الناظمة لتاريخه عن بريطانيا الخاضعة للرومان وإيرلندة، والذي جعله تحت عنوان «عصر آرثور»، ولكنه وجد القليل ليقوله عن آرثور التاريخي.

وفي مواجهة هذه النظريات، فإن مدرسة أخرى للبحث، جادلت في أن آرثور ليس له وجود تاريخي البتة. ومن حججهم أن (جلداس) الذي كتب في القرن السادس عن معركة بادون، وكانت ذكراها لم تزل حيّة، لم يذكر اسم آرثور. كما أن آرثور غير مذكور في حوليات الأنجلو – سكسون، ولم يُسمَّ في أية وثيقة حيّة كتبت بين عامي 400 و820 م، وهو غائب أيضًا عن كتاب {بيد Bede} العائد إلى القرن الثامن وهو مصدر آخر مبكر ذكرت فيه معركة بادون. وقد كتب المؤرخ (دافيد دامفيل) قائلًا: «أعتقد أننا نستطيع التخلص منه {آرثور} بكل بساطة. إنه يحتل مكانه في كتب التاريخ عندنا على قاعدة مدرسة التفكير القائلة: إنه لا يوجد دخان دون نار. الحقيقة أنه لا يوجد أي توضيح تاريخي حول آرثور. لذا ينبغي أن نستبعده من تواريخنا، وفوق ذلك من عناوين كتبنا». وأخيرًا، فإن بعض المؤرخين يجادلون في أن آرثور كان في الأصل بطلًا خياليًا فولكلوريًا، أو لعله كان إلهًا سلتيًا نصف منسيّ، وكان موثوقًا بالأعمال الحقيقية في الماضي البعيد. وهم يرون موازيات له في شخصيات

مثل الإلهين الطوطميين للحصان «هنجست Hengest» و«هورسا Horsa» اللذين صارا أخيرًا تاريخيين{3}.

رغم هذا الجدل حول تاريخية شخصية آرثور، إلا أن الاهتمام بدراسته ونشر الكتب وإنتاج الأفلام عنه لا يتوقف. فكيف تشكلت أسطورته عمليًا؟

لعل الإشارة الأقدم إلى آرثور جاءت من ي. غودودين Y.Gododdin نشرت من قبل الشاعر الويلزي أنيرين aneirin في القرن السادس. هنا أشارت القصيدة فقط إلى اسمه، مشيرة إلى محارب مجهول الاسم على أنه شجاع «ولكنه لم يكن آرثور». يقول النص

لقد صمد أمام ثلاثمائة من الدهاة

شق كلًا من القلب والجناح

تفوَّق في طليعة جبهة الجماعة الأنبل

أعطى هدايا من الأحصنة

ومن القطيع في الشتاء

أطعم الغربان السود على حاجز القلعة

ومع ذلك، فإنه لم يكن آرثور.

وواضح من هذا النص أن «آرثور» كان رمزًا للبسالة والقدرة عند السلت. فهذه المقطوعة لا تتحدث في الواقع عن آرثور، ولكن عن محارب آخر لا يستطيع مضارعة آرثور في البسالة في المعركة. ليس هناك تفصيل من كان هذا الآرثور. ولكن القصيدة وجدت في القرن السادس.

إن أحد أقدم المراجع التي تناولت الليجندة الآرثورية تؤرخ بسنة 540 م، وذلك في كتاب غلداس Gildas {المتوفي سنة 570} حول «خراب وهزيمة بريتاني». وحيث نشر غلداس بعضًا من التاريخ السلتي القديم في كتابه، فهو مصدرٌ قيم لكونه عاش قريبًا جدًا من الحياة المفترضة للملك {آرثور}. ولكن غلداس لم يتحدث عن آرثور بالاسم، وإنما يفترض أنه تحدث عن

زمن آرثور، وهو يُنبئنا أنه «في تلك الفترة، كان رجالنا في بعض الوقت يسجلون الانتصارات وفي أخرى العدو. حتى سنة حصار جبل بادون Badon حيث كما أعرف، تبدأ السنة الرابعة والأربعون {مرّ بعدها شهر واحد} والتي هي أيضًا سنة ولادتي». وواضح أن (غلداس) لم يشهد بنفسه تلك الأحداث، بل عاش ذكراها. وقد صار (غلداس) راهبًا، وبدأ مهمته الأبوية في بريتاني. وعمله كان تشهيراً {نقديًا} ضد العديد من الملوك الإقليميين البريطانيين آنذاك، والذين لامهم جزئيًا على هزيمة البريتون على أيدي السكسون. وادّعى (غلداس) أن ذلك كان بسبب ذنوب البريتون حيث نزلت النقمة بهم، وأن عليهم التوبة من أجل حماية وطنهم من الخراب {4}. وقد عزا (غلداس) الانتصار في بادون إلى القائد (أمبروزيوس أورليانوس). ويلاحظ أن (جيوفري) في زمن لاحق استطاع تحويل (أمبروزيوس اورليانوس) إلى أوريليوس أمبروسيوس Aurelius Ambrosius ليكون خالًا لآرثور. وهذا تتم مطابقته مع شخصية مرلين، او بالأحرى هو مرلين.

وأما معظم الليجندات المبكرة عن آرثور، قبل (جيوفري)، فقد جاءت من المصادر الويلزية، ما بين القرنين الثامن والعاشر.

كانت الوثيقة الهامة الثانية هي كتاب نينيوس Nennius «تاريخ البريتون» الصادر حوالي عام 800 م. ويعترف (نينيوس) نفسه بأن كتابه ساذج، وأنه جمع كل الوثائق القديمة التي استطاع إيجادها، وضمَّها معًا في قصة واحدة. هذا يعطي بعضهم – وليس الكثير – من الثقة بما يقول. يتضمن كثير من عمله أخطاء وتناقضات. وهكذا، فإنه ليس موثوقًا جدًا للمدقق. لكنَّ المهم أنَّ نص نينيوس تضمن أول ذكر لـ «آرثور» باسمه في تقرير. فهو يقول «في ذلك الوقت صار السكسون أقوياء بأعداد كثيرة وازدادوا في بريطانيا. عندئذ، حارب «آرثور» ضد السكسون إلى جانب ملوك بريطانيا، وإنه كان شخصيًا «قائد المعارك». وقد أعطى (نينيوس) أيضًا كشفًا باثنتي عشرة معركة مشهورة أسندت إلى آرثور، ربما أخذت عن قصيدة ويلزية مبكرة عن آرثور. ولكن أسماء

الأماكن غامضة، مما يعني أنها ربما لا تكون مزورة. لأنه إذا كان أحد يريد أن يصطنع معارك لآرثور، فلعله سيختار الأماكن الأكثر شهرة التي يعرفها الناس.

ولكن وجهة النظر هذه تحتمل المناقشة، إذ أن تسميات الأماكن – إن لم يكن لها وجودها على أرض الواقع – قد تكون لها أصولها الميثولوجية.

طبقًا لنينيوس، فإن آرثور لم يكن ملكًا حقًا ركس {rex}، وإنما أطلق عليه لقب دوق {dux} أو دوق بللوروم Dux bellorum بمعنى «قائد المعارك» {إنسكلوبيديا 405}. وهذا قد يعني أنه قاد الجيش لسلطة أعلى، أو ببساطة إن وضع الملك لم يكن كما نفكر به اليوم. ومن الممكن أيضًا أن الكتّاب المتأخرين أخذوا فكرة «قائد المعارك» إلى أقصاها، ودعوه ملكًا بدل ذلك. والإمكانية الثالثة تتصل بإمكانية وجود ارتباط بملك بريطاني {5}.

جزءٌ من الحوليات الويلزية يذكر صيداً لوحش يدعى بوركومترويت Porcum Troit من قبل آرثور وكلبه

كافال Cavall. ويلاحظ أن الحوليات في أجزائها الأصلية المؤرخة من القرن الحادي عشر تذكر آرثور على أنه من بوردري Borderie.

إنَّ الذكر الأقدم لموت آرثور، ورد في مدخل حوليات كامبريا {حوليات ويلز}، المكتوبة حوالي 950 م. في هذا المدخل نقرأ «سنة 537 معركة كاملان، التي سقط فيها آرثور ومدراوت Medraut». هذا التوثيق يحوم حوله الشك، فقد يتعلق بأشياء لا صلة لها بالتاريخ. ومع ذلك، حيث أن أي شخص آخر مذكور في الحوليات يفترض أنه وجد، هناك افتراض معين أن «آرثور» حقيقي يمكن أن يدرج تحت هذه الجملة الافتراضية {إنسكلوبيديا 8}. ولأن الكثير من الحوليات مأخوذة من نينيوس، وهناك أيضًا إيضاحٌ من مصادر سلتية مبكرة وإيرلندية، أنها تقتبس من مصادر أقدم،...، ومع ذلك، فالتوقيت مهم لإثبات تاريخ ممكن لآرثور، وقد أعطيت المداخل إلى «آرثور» المزيد من الثقة بسبب كل الشخصيات الأخرى المذكورة في الحوليات {6}.

القصة الأقدم التي لعب فيها آرثور دورًا نشيطًا في الأدب الويلزي كشخصية ميثولوجية جاءت في أسطورة «كلحوش وألوِن» {قبل 1100م}. وهي واحدة من إحدى عشرة قصة وجدت في المابينوقيون، وفي الأدب الآرثوري الويلزي من الزمن السابق على كتاب جيوفري أوف مونموث، وفيها ضمن آرثور علاقات وصلات عائلية عديدة. فالعديد من المصادر الويلزية المبكرة اعتادت القول عن أثر بندراغون على أنه والد آرثور قبل كتابات جيوفري. وقد نسب إلى آرثر أيضًا أخ هو مادوغ {لعله معتوق} Madog وابن أخ أو أخت هو (إليولود) {لعله الولود} Eliwlod في هذه المصادر. وبالمثل كما لاحظ (بروموِيش وإيفانز)، فإن أسطورة «كلحوش وألون» والفيتا إلتوتي Vita Iltuti والبروت {الشوكة} دنغستاو Brut Dingestow تتحد في اقتراح أن آرثور كانت له أم محددة أيضًا هي إيغير Eigyr. وكذلك عمات وخالات وجد يدعى أنلاود وليديغ Anlawd Wledig. وكان يبدو أن له أخت، حيث جوالشماي {جوال مايو = صقر مايو} كان يعتبر ابن

أخته في «كلحوش» ووالدة جوالشماي كانت غويار Gwyar. وبالعودة إلى عائلة آرثور الخاصة، فإن زوجته اعتبرت دائمًا (غوين هويفار) Gwenhwyfar، وعادة هي ابنة العملاق (أوغرفان غاور Ogrfan Gawr) {أي أوغرفان العملاق}. وكذلك أسطورة (كلحوش وبوند ير أروير Bonedd yr arwyr) صرحت بأن آرثور أيضًا يملك نوعًا من العلاقة مع إليرك Eleirch ابنة ياين Iaen، التي أنجبت ولدًا اسمه كدوان Kyduan. وكدوان لم يكن الابن الوحيد لآرثور طبقًا للتقليد الآرثوري الويلزي، فقد كان له أيضًا أولاد اسماؤهم

عمرو او أمر Amr

قويدر Gwydre

لياشو Liacheu

دوران Duran.{7}.

ويلاحظ هنا أن أسماءهم جميعًا تحمل صبغة عربية واضحة.

في عام 1136 كتب (جيوفري أوف مونموث) «تاريخ ملوك بريطانيا». ولعله الأكثر شهرة بين كل الليجندات الأرثورية. وبالإضافة إلى معالجته الواسعة لتاريخ بريطانيا، فقد أوجد قاعدةً وإطارًا للرواية الآرثورية، وكرس تأثيرها الذي امتدّ عبر (سبنسر وشكسبير) وكثيرين آخرين. وفي كتابه، استعرض قادة بريطانيا التاريخيين منذ نقطة البدايات، مبتدئًا بـ «بروتـوس Brutus» الذي جاء إلى الجزر البريطانية سنة 1115 ق.م وحتى موت الملك (كاد ولاّدر Cad Wallader) سنة 689 م. وطبقًا لكتابه كان آرثور ملكًا محاربًا عظيمًا، لا يجارى في بسالته ودبلوماسيته. آرثور كان ينظر إليه كقاهر العالم، الذي تتكون إمبراطوريته من ويلز وسكوتلندا وايرلندة والنرويج والدنمرك وألمانيا وبريتاني ونورماندي والغال {فرنسا}. وأن حكمه انتهى فقط حين قام ابن أخته (موردرد) بالتمرد عليه كملك لبريطانيا واغتصاب زوجته {غوينيفير}. وبالنسبة

لجيوفري فإن آرثور كان قد نشأ في بريتاني، إلى أن ورث والده في سن الخامسة عشر. وفي ليجندة متأخرة، كان آرثور قد ربّي من أبيه بالتبني المسمى أنتور/ عنتور Antor {إكتور/ 8} {Ector}.

ومع ذلك، يوافق كثيرون على أن عمل جيوفري ليس واقعيًا تمامًا. ورغم ذلك فهو يقدم نظرة واضحة حول الحوادث المحيطة بموت آرثور. ويقول (آدم ليفن): إن (جيوفري) هو بوضوح كاتب خيالي، ولكن هناك شك قليل في أنه استمد معلوماته من مصادر أقدم، تاريخية وخيالية معًا. فإلى جانب المؤرخين الرومان، استمد معلوماته من (غلداس ونينيوس وبيد)، وربما من حوليات كامبريا، وكذلك من روايات الأنساب وسير القديسين الويلزية. وهناك جملة في غاية الأهمية تشكل مفتاحًا مهمًا لفهم مصدر معلومات جيوفري عن آرثور، حيث يورد (جيوفري) القول «في الوقت الذي كنت أبذل فيه عناية جيدة بهذه الأحداث فإن (والتر Walter) أرشيدوق أوكسفورد، الرجل الماهر في فن الخطابة العامة والمثقف جيدًا حول التاريخ المتعلق

بالأقطار القديمة، زوّدني بكتاب معيَّنٍ قديم مكتوب باللغة الانجليزية. هذا الكتاب يسجل أعمال هؤلاء الرجال من (بروتوس) وحتى (كاد ولادر). وللأسف لم يعثر على الإطلاق على مثل هذا الكتاب {9}.

كتاب جيوفري الموضوع بلغة لاتينية جيدة قُرئ على نحو واسع من الدارسين، خاصة الكهنة في الأديرة في كل من إنجلترا وعبر القنال في أوروبا. ومن هؤلاء الكهنة جاءت بعض الأعمال حول الملك آرثور في لغات الأقطار التي ينتمون إليها جاعلين آرثور موضع شهرة أكثر من السابق. هؤلاء المؤلفون الذين نشروا مادة (جيوفري) كانوا عديدين. من أكثرهم شهرة الراهب ليامون Layamon الذي كتب كتابه بروت Brut حوالي القرن الثالث عشر، معتمدًا بكثافة على ترجمة لفرنسي يدعى (واسي Wace) شاعت فيما بات يعرف بشعر {المنوعات} لجيوفري في نصفه الأول، وبعد ذلك اعتمد الأصل الذي كتبه (جيوفري) في ذكره لظهور (مرلين) وقد قُرئ شعر ويسي الفرنسي على نطاق أوسع من قبل السكان المحليين أكثر من كتاب

جيوفري المكتوب باللاتينية. وهكذا، فإن آرثور وفرسانه باتوا أكثر شهرة من قبل. ومؤسسًا رؤيته على هذا المثال، كتب ليامون كتابه «بروت» بالانجليزية القديمة بالنسبة إلى زمنه، جاعلًا ليجندات بريطانيا، وخاصة الملك آرثور، تحتل مكانًا أوسع في التاريخ، بنشرها على نطاق واسع. وحدث أن هذه الترجمات الجديدة المترابطة لقصة آرثور التي مُلئت فيها كل ترجمة بالمزيد من التفاصيل الحيوية والحوار أكثر من الأخرى، أدخلت في عمل متعدد الاهتمام وضخم تحت عنوان: دائرة فولغيــت Vulgate Cycle أو نثرية لانسيلوت Prose Lancelot. العنــوان الأول كان سببــه أنه كتب بلغة العامة: الفرنسية. والثانيــة كانت لأنه ركزعلى شخصية (لانسلوت) أكثر من الملك، وأنه كان رواية كتبت نثرًا بدلًا من الشعر المعتاد.

وفي حوالي العام 1150، كتبت الشاعرة الأنغلو – نورماندية تحت اسم (ماري دو فرانس)، عددًا من القصص أو الروايات التي حرصت على أن تؤكد أنها

ترجمتها أو اقتبستها من مصادر بريتونية. وبعض هذه، كما ادعت، أخذت بالضبط كاملة عن الأصل. ومعظم مراجعها كانت تعود إلى الفترة الآرثورية. بينما هناك تفاصيل معينة من ليجندات ويلزية تلقت درجة من التأكيد، فإن روايات أخرى تبدو أكثر تلوينًا. ولا شك أنها عبرت عن حالة البريتون والحوادث التي أخذت مجراها مع انحسار النفوذ السلتي الذي جاء في أعقاب سلسلة من الحروب والغزوات وإنه لمن الصحيح القول: إن هناك متسعًا للاقتراح أن بعضهم مختلط، ولكنه أسهم في تغذية ليجندات الفروسية التي تجسد شخصية آرثور التي وجدت في بريتاني، وانتقلت أصوليًا إن لم يكن في الكتابة عبرالقرون. يرى (رولستون) إن قصص (ماري دو فرانس) تنتسب بقوة إلى بريتاني مثلما هو النص الصحيح للرواية الآرثورية، أو بالتحديد مواضيعها الفروسية والرومانسية {10}.

هناك مصدران بريتونيان آخران، يجب وضعهما في الاعتبار. أولهما عمل الشاعر الفرنسي (كريتيان دو

تروي)، الذي بدأت ترجماته البريتونية سنة 1165 والذي قيل إنه المسؤول عن إحضار الساغا الآرثورية في الأدب الشعري لأوروبا وإعطائها الخط العام والشخصية التي ظلت مقبولة. إن أحد أعماله عن ترستان قد فقد، ولكن مقدمة لانسيلوت البحيرة في القصة تعزى إليه. وهو كتب أيضًا «كونت الغرال Conte del Graal» والذي فيه ليجندة الغرال وبرسيفال أنتجت مبكرًا. مصادر كريتيان كانت على الأغلب بريتونية. وآخر المراجع البريتونية تعني شخصًا يدعى غوتييه دينين الذي أعطى في مؤلفاته لقصص قاوين Gawain شخصًا مثل بليهيريس Bleheris، وهو شاعر ولد وتأدب في ويلز {11}.

الجديد الذي يقدمه آدم ليفن، وهو باحث أمريكي، أن آرثور توفي حوالي عام 470م، وأن هناك توضيحًا مهمًا للغاية، وهو أن آرثور كان في الواقع رجلًا آخر أشير إليه في المصادر التاريخية باسم ريوثاموس Riothamus ملك البريتون. إن ريوثاموس هو الاسم المعطى في الوثائق القارية عن القرن الخامس لملك

البريتون الذي يبدو أن أعماله جاءت باسم «آرثور» في كتابات (جيوفري أوف مونموث). فهو حوَّل اسمًا بطوليًا في اللغة البريطانية إلى اللاتينية. واللغة البريطانية هي اللسان المشتق من الويلزية وكورنيش وبريتون {الإنسكلوبيديا 453}. اسم ريوتاموس في البريطانية ينطق Rigotamus. الجزء الأول rig يعني ملكي أو ملك {راق} وترد فيه الـ o للنسبة، والجزء الثاني نهاية للتفضيل مثل est في kindest. عندئذ فإن الكلمة تعني حرفيًا «ملكــي جدًا» أو «الملك الأعلى» [الحقيقة إن كلمة tamu في السلتية تعنيزاد / طما كما في العربية مما يقود إلى نفس المعنى ولكن على جذر كلمة طما، كما أن الكلمة يمكن ردها إلى الجذر طمس في العربية فهو الطامس]. وكصفة، يمكن أن تعني «الأكثر ملوكية». وفي العصور المتأخرة، بدأت وكأنــها اسم صحــيح «ريا تام Riatham» في بريتون {لعلها الملك التام} ورياداف Rhiadaf في ويلز {لعلها ملك ضافٍ}. ولكن مبكرًا في القرن الخامس استخدمت كلفظة تفخيم بنفس الطريقة كما في اسم فورتيجيرن Vortigern وفولتيمير Voltimer،

وهذان الاسمان يعنيان over- king أو over- chief {الملك الأعلى أو الرئيس الأعلى}. وأيضًا حيث الكثير من الرجال المشهورين عرفوا بأسماء متعددة، محلية ورومانية، فليس من المستبعد أن «آرثــور» البريطاني كان أرتوريوس في الرومانية. ومن الممكن عندئذ أن آرثور امتلك اسم ريوثاموس أرتوريوس {12}.

يبين (آدم ليفن) أن الصلة بين «ريوثاموس» و«آرثور» توجد في الرسائل والمدونات التاريخية المبكرة التي كتبت في العصور الوسطى. هناك كاتب يدعى (جوردانيه Jordanes) كتب التاريخ القوطي في 551 م، يشرح ضمن أشياء أخرى أنه عقب مقتل فالنتين الثالث كان هناك العديد من الأباطــرة السريعي الزوال. وحين نهض ليو Leu في الشرق، عيّن (أنثيميوس) إمبراطورًا لروما. وفي مواجهة التهديد القوطي في بلاد الغال، بحث أنتيموس عن تحالف بريطاني استغل يوريك Euric ملك الفيزيقوط التغييرات المتعددة لأباطرة الرومان، وسعى إلى الاستيلاء على بلاد الغال. سمع الإمبراطور أنثيموس

عن ذلك، وسأل البريتون المساعدة. ملكهم {ريوثاموس} جاء مع اثني عشر ألف رجل عبر دولة بيتوريغ Bituriges عن طريق المحيط. وبمجرد نزولهم من السفن استقبلهم يوريك بجيش لا حصر له. وبعد قتال طويل هُزِمَ ريوثاموس ملك البريتون، قبل أن يتمكن الرومان من نجدته. وحين فقد جزءًا كبيرًا من جيشه، هرب مع كل الرجال الذين استطاع جمعهم معًا، وجاء إلى البورغنديين، القبيلة المجاورة. وعندئذ تواصل مع الرومان. ريوثاموس كان في الغال حوالي الزمن الذي وجد فيه {آرثور}، وهو ما يتضح من رسائل صيدونيوس أبوليناروس، ومنها رسالة حوالي سنة 469 موجهة إلى ملك بريطانيا. وبالإضافة إلى ذلك، يُنبئنا (جوردانيه) أن {ريوثاموس} انتهى عند البورغنديين، حيث هرب، وأن (أفالون Avallon) قريبة جدًا من (بورغندي). وفي رسالة أخرى من (صيدونيوس)، في ذلك الوقت، إلى (فنسنتيوس Vincentius) يخبـــره أن البريتون كانوا ضحايا خيانة على مستوى عال {13}. ويورد مصدرًا آخر: إن حملة ريوثاموس كانت سنة 461م، وأنه بعد هزيمته

على يد الفيزيقوط، ولجوئه إلى البورغنديين استطاع بيت بوهيير Pohier اعتماداً على بقايا جيشه النهوض، حيث بقوا في إقليم بيكاردي Picardy حول أمينيس Ameines {14}.

هناك المزيد من المعلومات عن {آرثور}، ليس فقط خارج بريطانيا ولكن أيضًا خارج رواية جيوفري والمصادر الويلزية. ففي حوالي سنة 1019 م، كتب رجلٌ سمّى نفسه (وليام William) ليجنده القديس غويزنوفيوس Goeznovius. وهذا الاسم هو صيغة لاتينية من اسم غويزنو Gouezno، الذي هو قديس من بريتاني. وبينما التاريخ ليس معروفًا بالضبط، يحتمل أنه عاش في القرن السادس أو السابع مما هو متأخر كثيرًا عن الزمن الفعلي لحياة آرثور. مع ذلك، فإن النص يتضمن الصيغة التاريخية المبكرة الوحيدة التي ذكر فيها آرثور بوضوح، بدون لمسات خيالية أو مبالغات. إنه يذكر غزو (فورتيجيرن) على رأس السكسون، وهيجانات السكسون في بريطانيا، والتصدي البريطاني في الغال ضد المزيد من

السكسون، وانقسام بريطانيا خلف ملوك كثيرين على كامل المنطقة، وهجرات القديسين. ويبدو وليام وكأنه يُظهر الوقائع التاريخية مثلما نعرفها على الوجه الأمثل، ويسجل معارك آرثور في الغال دون أسماء، كما فعل جيوفري، ولكن بواسطة الظروف. وظروف (وليام) تقود إلى نفس تاريخ 470 م، كما (جيوفري). وهذه الظروف تتفق كثيرًا مع تقديرات (صيدونيوس وجوردانيس) حـــول {ريوثاموس}. وهكذا نجد ارتباطًا قويًا بين ما نسب إلى {ريوثاموس} وما نسب إلى {آرثور}.. إنه يبدو ممكنـــًا جـــدًا أن {آرثـــور} و{ريوثاموس} هما حقًا الشخص نفسه. بالطبع، ما من شيء ثابت، ولعلنا لن نعرف الحقيقة أبدًا. ولكن هذه المعلومات تبيّن اتحاد هذين الرجلين {15}.

لكن هذه المطابقة بين آرثور وريوثاموس ليست الفرضية الوحيدة. فهناك من يقول: إن الملك آرثور هو قائد بريطاني طبقًا لروايات وتواريخ العصر الوسيط. وقد قاد دفاع البريطانيين ضد الغزاة السكسون في أوائل القرن السادس. وتفاصيل قصة آرثور مؤلفة

بشكل أساسي من الفولكلور والإبداعات الأدبية، ووجوده التاريخي مشكوك فيه وموضع خلاف {16}. وإن التوضيح الأكثر إمكانية، والوحيد المتاح، أعطي من قبل البروفسور (رايس)، الذي يعتبر أن عناصر الشهرة لآرثورين اثنين منفصل كل منهما عن الآخر، حدث أن اختلطتا إلى حدٍّ إعادة إنتاج مركب نصفه حقيقي والنصف الثاني خرافي أسطوري للشخصية التي اتحدا فيها. واحد من هاتين الشخصيتين كان آرثور المؤلّه، وهو إلهُ عُبدَ على نطاق واسع أو محدود في العالم السلتي. وقد جاء اسمه في نقش ex voto الذي وجد في جنوب شرق فرنسا تحت اسم ميركوريوس أرتوريوس. والثاني كان آرثور بشري تولى عند البريثون وظيفة مراقب البريد تحت الاحتلال الروماني. وكان قد أسمى قومس بريتاني Comes Britannie. وهذا «الكونت لبريطانيا» كان السلطة العسكرية العليا. وكان لديه إذن بالتجول لحماية القطر من الغزوات الخارجية، وكان يوجد تحت أمره ضابطان تابعان: دوق البريطانيين الذي تولى حراسة الحائط الشمالي، وكونت شاطىء

السكسون الذي حرس الشواطىء الجنوبية – الشرقية. وقد أبقى البريتون على التنظيم الذي وضعه الغزاة بعد رحيل الرومان. ويبدو أنه من المعقول الاعتقاد أن هذا الوسيط في قيادة الحرب كان ممثلًا بالشخص الذي وصفه الأدب الويلزي المبكر على أنه «إمبراطور»، وهو لقب أعطي إلى آرثور وحده من بين الأبطال البريطانيين. وقد اختلطت شهرة آرثور الإمبراطور مع آرثور الإله، حيث أنها توطنت في المنطقة المتاخمة للاستيطان البريتوني في بريطانيا. وحيث أن النزاعات الكثيرة، باقتدار أو بقليل من الاقتدار، صبَّت في سمعة آرثور المحلية ومشاهد مدن مثل كاميلوت، ومعارك آرثور الإثني عشر العظيمة، فإن العناصر التاريخية لوَّنت بلا شك قصص آرثور ورفاقه. ولكنها ليست خرافية بالضرورة أقل من تلك التي رواها نظراؤهم من الجايليكيين عن أبطال الغصن الأحمر لألستر والفانيان. وقد تم في نهاية المطاف المطابقة بين الدائرتين في الليجندة الآرثورية {17}.

وترى السيدة (موري هوب) أن رواية (جيوفري) عن آرثور الملك هي تصورات خيالية لا علاقة لها بالتاريخ {18}. وما يرجح التصورات الخيالية تناقض الوقائع بين سيرة وأخرى. وتقول (موري هوب) إنه في دراسة لويس سبنس أشير إلى اختلاف المعلومات بين نينيوس والمصادر الكميرية. فمنزل آرثور قدم على أنه (كاير ليون) في أسك، بينما المصادر البريطانية تحدده على أنه كورنوول. ويبدو ظاهرًا أيضًا أن تفاصيل معارك آرثور الرومانية غير معروفة كليًا في المدونات الوطنية كما يعلق (سبنس) على نقص المصادر عن آرثور في المابينوقيون. ويقول إن ترجمة (جيفري غانتز) تشمل: «كيف كسب كلحوش ألُوِن؟» و«حلم رحونبوي» و«بيريدور بن أفراوج» و«جيرينت وإينيد»، وكل قصة تسرد ضمن خلفية تتعارض مع فرضية القاعة الآرثورية {19}.

هوامش

{1} ماكس شابيرو وهندريكس، معجم الأساطير، ص 51 .

{2} جوي شانت، الملوك العظام – عن الإنترنت .

{3} الملك آرثور، موسوعة ويكيبيديا، عن الإنترنت .

{4} آدم ليفين، عن الإنترنت . ص 6 .

{5} م . ن، ص 6 .

{6} م . ن، ص 6

{7} عائلة الملك آرثور، عن الويكيبيديا، الموسوعة الحرة .

{8} الملك آرثور، عن الويكيبديا .

{9} موري هوب، السحر السلتي العملي، ص ص 52 و53 .

{10} م .ن، ص 54 .

{11} آدم ليفن ، م . س، ص 7 .

{12} م . ن، ص ص 10 و11 .

{13} م . ن، ص 11 .

{14} جيمس كريغتون، عن الأنترنت .

{15} آدم ليفن، م . ن، ص ص 12 و13 .

{16} الملك آرثور، عن الويكيبيديا .

{17} القدوم الميثولوجي لآرثور، عن كتاب " ملوك بريطانيا»، عن الإنترنت .

{18} موري هوب، م .س، ص 111 .

{19} م . ن، ص 112 .

3 – آرثور الإلـه أو المنقذ المنتظر

إن «عودة آرثور» {*}، وقيامته المفاجئة المحاطة بالرفعة والسمو، واحدة من القضايا الكبيرة في الميثولوجيا الكلتية. إنه ليس مذكورًا في أيٍّ من فروع المابينوقي الأربع، التي تتعامل مع آلهة بريطانيا الموازين لآلهة الجايليين من (التوتا دو دانان). وتبدو الإشارات المبكرة إليه في الأدب الويلزي وكأنها تتعامل مع مجرد رئيس للمحاربين، ليس أفضل إن لم يكن أسوأ من آخرين عديدين مثل «جيرينت – أمير تحصيل الجزية في ديفون». بعدئذ، وفي زمن لاحق وجدناه يرتفع إلى الموضع فوق العادي لملك الآلهة، الذي تؤدي له العائلات الإلهية القديمة فروض الطاعة دون تردد وهي عائلات دون Don والير وبويل Pwyll. وتخبرنا التريادات أن اللود – زيوس البانثيون القديم – كان واحدًا من فرسان الحرب الثلاثة التابعين لآرثور، وأن أراون، ملك الهادس، واحدٌ من ثلاثة رؤساء من مستشاريه. وفي القصة المسماة «حلم رونابوي» في الكتاب الأحمر لـ «هرجست»،

يظهر كقائد لأولئك المنتمين إلى النوع الإلهي: أبناء نود، والير، وبران، وقوفانون، وأريانرود. وفي قصة أخرى من «الكتاب الأحمر»، التي تدور حول «كلحوش وألون»، فإنه حتى الآلهة الأعظم كانوا موالين له {أو حتى من إقطاعيته}. إن أمايثون ابن الإلهه «دون» يحرث له الأرض، وقوفـانــون بن «دون» أيضًا يصنع له الحديد. واثنان من أبناء بيلي هما (نينياو وبيباو) يتحولان إلى تورين لمحاسبتهما على ذنوبهما، ويعانيان تحت النير، حيث ينبغي عليهما تنظيف الجبل وحراثته وزراعته وإتمام حصاد المحصول خلال يوم واحد إنه يحشد أبطاله للبحــث عن «كنوز بريطانيا». وإنَّ (بن الير وقوين بن نود وبريدري بن بويل) يلتفون حوله لتلبية طلباته.

سبق أن أشرنا إلى المقارنة المنطقية بين دائرة آرثور ودائرة أبطال الغصن الأحمر والفاينان في إيرلندا، وأنه تم في نهاية المطاف المطابقة بين الدائرتين. وإن وضع آرثور كقائد حربي أعلى لبريطانيا يوازي جديًا دور «فن» كقائد «للميليشيا الوطنية الإيرلندية».

وطاولته المستديرة الخاصة بالمحاربين تذكرنا أيضًا بسلـــوك أتبــاع «فن» من «الفنيان» بالميل إلى المخاطرة. وكلاهما أدار المعركة مع عناصر إنسانية وأخرى فوق إنسانية. لقد تصدَّى كلاهما للنهب في أوروبا حتى أسوار روما، قصة الحب عند آرثور، وعلاقته مع زوجته (غوينهويفار) وابن أخته مدراوت {موردرد} تماثل بأشكال متعددة تلك المتعلقــة بـ «فن» مع زوجته (غرين) وابن أخته (ديارميت). وفي قصص المعارك الأخيرة لآرثور والفانيان، فإن الحاجة إلى الخرافة بقيت قائمة. وهكذا، فإنه جرى تضخيم صورة الصراع، ففي معارك «كاملان» كان آرثور ومدراوت بنفسيهما من خاضا المبارزة النهائية، ولكن في آخر مواقع الفانيان في «جابرا»، فإن أبطال الرواية الأصليين أعطوا مواقعهم لمواطنيهم وممثليهم. إن فن وكورماك ماتا. وإنهما أوسكار حفيد فن، وكيربري ابن كورماك، هما اللذان تحاربا وقتل كل منهما الآخر. وثانية، حالما أن آرثور اعتبر من الكثيرين أنه لم يمــت حقيقة، وإنما عبر إلى «وادي جزيرة أفيليون». وهكذا، فإن ليجندة إسكوتلندية ترينا أنه

بعد أجيال من الفانيان، فإن رجلًا مسافرًا التقى بالصدفة في جزيرة غريبة غامضة مع البطل (فن ماك كول) وتحدث معه. وحتى الليجندة المغايرة، التي تجعل آرثور ومحاربيه ينتظرون تحت الأرض في نوم سحري من أجل العودة لإنجاز الانتصار تليت أيضًا من قبل الفانيان.

إن هذه التوازيات، وإن كانت تصوِّر أفضلية آرثور، إلا أنها لا تبين مكانه الحقيقي بين الآلهة. بل إن صورة آرثور لدى الإيرلنديين تبدو في غاية الغرابة. ففي مدوَّنة إيرلندية بعنوان أكلام نا سينوراش Acallam na Senorach نجد البطل الإيرلندي كيلتي Cailte يذكر كيف أنه ومعه تسعة آخرون من محاربي الفانيان اكتشفوا كلاب فن ماك كميل، وأن أرتوير Artuir {= آرثور} كان قد سرق كلاب فن المسماة بران Bran وسكيو لينغ Sceolaing وأدنوال Adnual. ويرى الباحث الذي أورد هذه المعطيات أن آرثور في الأسطورة الإيرلندية لم يكن بطلًا بالمرة. لقد كان لا شيء بل مجرد لص. ولكننا نعتقد أن هذه القراءة

بعيدة عن فهم مضامين الأساطير السلتية. وهذا ما سيتضح عند المقارنة بين آرثور وجويديون.

كيف يمكننا التعرف على مكانة آرثور الحقيقية بين الآلهة إذا صح أنه أصلًا من آلهة السلت القدماء؟

ثمة من يقترح المدخل التالي: لنفحص مآلات السلالات القديمة من الآلهة السلت بحرص، لنرى إن كان أحدهم قد فقد موقعه ليرثه سواه!

وفي معرض البحث نلاحظ أولًا أن (اللود وقوين وأراون وبريدري وماناودان) {مانانان} يظهرون جنبًا إلى جنب معه. ومن بين أطفـــال «دون = دانا» نجد أيضًا أمايثون وقوفانون. ولكن القائمة تتوقف، مع حذف أو إسقاط ملحوظ. فليس هناك ذكر في الأسطورة الأخيرة للإله (جويديون)، وهو الابن الأكبر للإلهة دون. لقد سقط اسمه واختفى دون أن يترك علامة. وبشكل منفرد، ولكنه كاف فإن نفس القصص التي كانت تروى عن (جويديون) باتت الآن مرتبطة باسم آرثور. عندئذ، نفترض مع البروفيسور رايس، أن

آرثور الإله الدائم للبانثيون الجديد قد أخذ مكان جويديون في البانثيون القديم. وإن مقارنة بين أساطير جويديون وأساطير آرثور ترينا توافقًا تامًا في المسار في كل شيء باستثناء الاسم.

إنّ آرثور مثل جويديون أس الثقافة والفنون. عندئذ نراه يخوض الحرب ضد العالم الأسفل بحثًا عن الثروة والحكمة، حيث حارب جويديون وأبناءه دون ضد أبناء الير {البحر} وبويل رئيس الهادس. ومثل جويديون أيضًا، فإن آرثور قاسى مبكرًا من المصائب. لقد فشل حقًا حتى وإن كان طرازه الأولي قد نجـــح. ونحن نعـــرف من كتاب «المابينوقي» أن جويديون، سرق بنجاح خنازير بويل ولكن آرثور كان خائبًا تمامًا في محاولته للقبض على خنزير للأمير ممثل العالم السفلي، والمدعو باسم (مارك بن ميركيون). وأيضًا كما مع (جويديون)، فإن استطلاعه المبكر للهادس كان جالبًا للمصائب، وقاد إلى القبض عليه وسجنه. ولقد شاركه (ماناودان بن الير) في المغامرة، وعرف معه الرعب المتمثل في قلعة العظام العائدة لـ «أويت

وأنويث»، وهناك استرخى وضعف لثلاثة أيام وثلاث ليال قبل أن يأتي المنقذ في شخص غورو خاله. ولكنه انتصر في النهاية.

في كتاب آلهة بريطانيا يرد القول عن مانانان {ماناودان} إننا نجده حاكمًا على الهادس أو الإيليزيوم الذي ربطه العقل السلتي مع البحر. ومثل كل سكان ذلك العالم الآخر، كان سيّد السحر والفنون المفيدة التي علمها بإرادته إلى أصدقائه. وأما إلى أعدائه، فإنه يمكن أن يريهم وجهًا مختلفًا لشخصيته

الإنجاز لماناودان الحكيم

بعد العويل والحنق الشديد

كان إعادة بناء غابة العظام

لـ Oeth وAnoeth

والذي وصف على أنه سجنٌ مصنوع بشكل خليّة النحل، كليًّا من عظام بشرية مصفوفة إلى جانب

بعضها، ومقسّمة إلى خلايا لا نهاية لها مشكلة نوعًا من اللابيرانث. وفي هذا المكان الشاحب طوّق أولئك الذين وجدهم يدلفون إلى الهادس وبين أسراه كان هناك شخص شهير مثل آرثور {1}.

ثمة قصيدة ويلزية تنسب إلى الشاعر طاليين، تعرض تحت عنـــوان «غنائم الأنون» حملة لآرثور وأتباعه إلى قلب ذلك العالم نفسه، والذي يبدو أنه عاد منه، مع فقدان معظم رجاله، ولكن مع امتلاك هدف مغامرته المتمثل بالقدرة السحرية للتنبؤ والشعر.

مع جويديون أيضًا، اختفت كل الشخصيات المتصلة به في ذلك القســم من «المابينوقي»، مثل ماث بن ماتنوي الذي يكرر أسطورة ولادة إله الشمس. فلا ماث نفسه، ولا ليو لياو ڤيفص، ولا ديلان، ولا أمهما أريان رود يلعبون أي دور.. لقد اختفوا كليًا مثلما اختفى جويديون. ولكن حضور الأسطورة التي كانوا يمثلونها بقي قائمًا. جويديون كان الأب وشريكته أخته أريان رود، وزوجة إله السماء المتضائل المدعو نويفر {الفضاء} أنجبت توأمًا من ولدين هما ليو إله النور

وديلان إله الظلام. ونحن نجد القصة نفسها وقد نسجت ضمن التركيب الباطني لقصة آرثور. الزوجة الجديدة تدعى مورقوس من قبل السيد توماس مالوري، و«أنّـــا» من قبل جيوفري أوف مونموث، وقد عرفت في الأسطورة الويلزية المبكرة باسم غويار. لقد كانت أخت آرثور وزوجة ملك السماء اللود، واسمها الذي يعني «الدم المراق» أو «غور» يذكرنا بعلاقة الموريقو إلهة الحرب عند الجاليليك بإله السماء نوادا. وليو لياو قيفص الجديد يدعى جوالشماي، الذي هو «صقر مايو = جوال مايو». وديلان الجديد هو مدراوت. وفي إحدى الحالات إبن آرثور وأخو جوالشماي والعدو الأمرّ لكليهما.

وبجوار هؤلاء «الأصدقاء القدامى بوجوه جديدة»، فإن آرثور أحضر معه إلى دائرة الشهرة بانثيونًا طازجًا، حلَّ معظمهم محل الآلهة القدامى للسماوات والأرض وأقاليم العالم الأسفل. إن زيوس دائرة آرثور يدعى «مرضن Myrdden» الذي اشتهر بالاسم النورماندي الفرنسي للروايات «مرلين». وكل الأساطير التي تروى

عنه تشهد له بحالته العالية. لقد كان الاسم الأول لبريطانيا، قبل أن تسكن، كما نقرأ في إحدى الترياداتs «جلس مرضن». وهذا الاسم يعني «حظيرة مرضن». لنلاحظ أن «الجلس» في العربية يعني مكان الإقامة والجلوس، وأن «مرضن» هنا هي غالبًا من مفهوم «الرضى» وبالتأكيـد ليس «المرض». ولقد أعطي زوجة صفاتها تشبه تلك المعطاة لشريكات نوادا واللود. إنها توصف بأنها الابنة الوحيدة لـ «كويل» {الاسم البريطاني للغالي كامولوس، وهو إله للحرب والسماء}. وكان يُدعى «إلن لويدوغ Elen Lwyddawg»، ذلك أن إلن قائد الضيوف. وقد ظلت ذكراها محفوظة في ويلز بالارتباط مع الطرق القديمـة: وهذه أسماء مثل «فرض إلن Ffordd Elen» {طريق إلن = فرضة إلن»، وسارن إلن {جسر إلن}. وواضح أنه حيثما سارت الجيوش كرست إلن آثارها في المكان. وكزوجة لـ «مرضن» {= مرلين}، فقد اعتنت بإيجاد مدينة كار مارثن {كاير مرضن}، وكذلك القلعة العليا في أرفون، حيث بقي المشهد قرب

بدغيلرت يدعى حتى الآن ديناس إمريس {مدينة إمريس} وهو أحد نعوت أو أسماء مرضن.

وحتى القصة المعروفة جيدًا لمرضن أو مرلين في سجنه النهائي في قبر مكيف التهوية «قلعة بدون جدران أو دون أي إغلاق»، تقرأ كأعجوبة مثل أسطورة الشمس «بكل نيرانها والإشعاعات المسافرة حولها». أحيطَ {إله الشمس}، ودرِّع، وجُعل ممجدًا، بواسطة جوه المكون من النور الحي، فإن إله السماء يتحرك ببطءٍ باتجاه الغرب، ليختفي أخيرًا في البحر {مثلما تضعه رؤية محلية للأسطورة}، أو أنه في الجزيرة الأبعد {كما تقول أسطورة أخرى}، أو في غابـة مظلمة {خيار ثالث}. وعند تثبيت الأسطورة نهائيًا، كانت جزيرة بارديسي {فردسي} في الغرب الأقصى من كاير نارفون شاير، قد اختيرت لتكون مقره الأخير.. لقد مضى إليها مع تسعة شعراء ملازمين، آخذًا معه «الثلاثة عشر كنزًا بريطانيًا»، وبعد ذلك فقد الرجال آثاره. إن جزيرة بارديسي تشتق اسمها بلا شك من هذه الأسطورة، وهو كما هو واضح مشتق

من كلمة «الفردوس». وما هو ممكن أن يكون متقاطعًا معها، وجد في كتابة الكاتب اليوناني من القرن الأول بلوتارك الذي يصف نحويًا يدعى ماتيريوس على أنه زار بريطانيا، وأحضر إلى وطنه توثيقًا عن رحلاته. إنه يذكر العديد من الجزر غير المسكونة والمقدسة على شواطئ بريطانيا، التي قال إنها سُميت بأسماء الآلهة والأبطال. ولكن كانت هناك واحدة على وجه الخصوص فيها سجن كرونوس مع الآلهة التابعيـــن له، وأن برياروس يبقـــى حارسًا عليه بينما هو نائم. «لأن النوم هو القيد المزيف بالنسبة له». لا شك أن هذا الإله المحروم من الإرث الذي أطلق اليونان على طرازه اسم كرونوس، كان إله السماء والشمس البريطاني، بعد أن أنزل في سجن الغرب.

وفي ركن آخر، يوجد كاي Kai. الذي هو في شخصية سير كاي ملأ مساحات واسعة من الروايات المتأخرة. إنه يبدو مطهرًا من ذنوبه الأسوأ، ومخفضًا إلى مجرد ساقٍ للملك آرثور {خادم مائدة}، وهو بذلك مجرد ظل لـ «كاي» الأقدم الذي قتل ابن آرثور «ليباشو»، والذيُ

برِّئت ذمته فقط، من خلال القصيدة التي تتعلق بتلك الحادثة، بقيامه بحمل أو محاولة حمل زوجة آرثور جوينهويفار. لقد جرى التفكير فيه على أنه يمثل عنصر النار، وذلك من خلال الوصف القوي المعطى له في الرواية الأسطورية «كلحوش وألون». لقد قيل عنه إنه «داهية جدًا»، وحين يسرُّه أمرٌ يمكن أن يجعل نفسه طويلًا مثل أعلى شجرة في الغابة. وله أيضًا صفة أخرى، حرارته كانت عظيمة جدًا حتى أنه حين يهمي المطر بغزارة، يبقى أي شيء يحمله جافًا لمسافة ذراع من فوق وذراع من تحت. وحين يشعر رفقاؤه بالبرد، كان بالنسبة لهم بمثابة الوقود الذي يشعل النار. {لنلاحظ العلاقة بين هذا الوصف لـ«كاي» وبين دلالة المصدر كوى في العربية، ومع ذلك قد تكون الكاف حلت محل الحاء وأن يكون الدفء مقترنًا بمفهوم الحي والحياة}.

شخصية أخرى تمتلك الرفعة والسمو في القصة الآرثورية لما لها من أهمية في الأسطورة السلتية تتمثل في مارك بن ميرشيون March son of

Meirchion، الذي حاول آرثور سرقة خنزيره، مثلما فعل (جويديون) بتلك العائدة إلى بيردري. لقد صار في الروايات الجبان والغدار مارك وملك كورنوول طبقًا لبعض القصص. ولكن طبقًا لأخرى، لكل بريطانيا. وعرف عند الجميع على أنه زوج الجنية إيسولت، وخال السير تريسترام. ولكنه كإله مشوَّه الخلقة للعالم الأسفل يمكن إيجاده عند الجايليك كما يوجد في الأسطورة البريطانية. ولا يمكن اعتباره على أنه يختلف أصوليًا عن مورك Mork ملك الفورموريين في الزمن الذي كانوا فيه من قلعتهم الزجاجية يطاردون بشكل مهلك أبناء ميليد. كان الفوموار يميزون بملامح حيوانهم، ومارك له نفس الخاصية. حين أراد السير توماس مالوري أن يفضل آرثور والسير لانسيلوت، فإن السير ديناد‌ان وضع أغنية عن مارك. «التي كانت أسوأ نشيد غناه عازف على الهارب أو أيَّة آلة أخرى».

لا نستطيع في هذا السياق تجاهل أوريين Urien، أحد آلهة العالم السفلي، أو ربما مثيل بران. ومثل ذلك الابن للير، كان أوريين إلهًا للمعركة والغناء. وقد عبد من قبل

الشعراء على أنه سيدهم. كان رمزه الغراب {بران في الويلزية}. وحتى نجعل المعرفة به كاملة، هناك قصيدة تخبرنا كيف أن أوريين جرح، فأمر بقطع رأسه من قبل مرافقيه. كانت زوجته هي مودرون، المعروفة على أنها أم مابون إله الشمس لكل الرموز الموجودة في مابونوس. واسم إله الشمس مابونوس وجد متماثلًا في مناطق من الغال وبريطانيا، وورد في الأدب الويلزي باسم مابون تابع آرثور. أحد أبناء أوريين ومودرون الآخرين هو عوينOwain، الذي ربما كان اسمًا آخر لمابون. طالييسن {اسمه يعني الطلة السنية} يدعوه «رئيس الغرب اللامع». وهو بالتأكيد إله شمسي مثل أبيه أوريين «رب السماء»، كان حاكمًا على الظلام في العالم السفلي.

إنه بسبب أفضلية آرثور، وجدنا حوله كثيرًا من الآلهة المجتمعين. ربما كل ممثلي آلهة القبائل لنفس الميثولوجيا التي تتضمنها الأفكار. لقد كان الكلت – سواء في الجايليك أو الفروع البريطانية – موزعين على قبائل، وكل واحدة لها آلهتها المحلية، وإن عبدوا

نفس التصورات الأساسية تحت أسماء مختلفة. لقد كان هناك إله للعالم الأسفل، عملاق في الحجم، شخص يشبه المحارب والعازف الجوّال، أستاذ لفنون الفصاحة والأدب، ومالك لثروة لا تنفذ. وقد عبدته بعض القبائل البريطانية في شخص بران Bran، وآخرون في شخص أوريين، وغيرهم في شخص بويل أو مارك أو ماث أو أراون أو أوغرفران Ogyrvran. لقد كان هناك رب لهادس الإيليزيوم، والذي أسماه البريتون في ويلز باسم قوين Gwyn، أو قوينواز، وأسماه بريتون كورنوول باسم ملواس Melwas، وبريتون سومرست باسم أفاللون أو أفاللاك. وعند هذا العنوان الأخير، فإن مملكته تسمى إينس أفاللون Ynys Avallon {جزيرة أفالـــــون} أو {أفيليون}. لقد قيل إنها توجد في «أرض الصيف»، والتي تمثل الهادس في الأسطورة المبكرة وإنه كان فقط في الحقبة الأخيرة أن الجزيرة الروحانية أفيليون باتت مثبتة في الأرض بموقع غلاستنبري، والجنة «أرض الصيف» على أنها سومرست. هناك كان حاكم أعظم للسماء، وإله للمعارك، يعبد في الأماكن المرتفعة، وكانت الإرادة الحاسمة

للحرب بيديه. بعضهم عرفوه باسم اللود، وآخرون باسم مرضن، أو باسم إمريز. وكان هناك إله لطيف وصديق للإنسان ويساعد من قاتل قوى العالم الأسفل. كان اسمه جويديون. وأخيرًا آرثور. ربما صار متخيلًا بشكل متماسك: لقد كان طويل الذراع، ويحمل رمحًا حادًا، وإلهًا للشمس يساعد إله الزراعة في عمله، وكان يعرف باسم ليو أو جوالشماي، أو مابون، أو عوين، أو بيريدور، وبلا شك بأسماء كثيرة أخرى. ومعه كان يوجد عادة أخ يمثل ليس النور، بل الظلام. هذا التعبير عن الفكرة الواحدة بأسماء مختلفة، يمكن أن يلاحظ أيضًا في الأسطورة الجايليكية، وإن لم تكن بالغة الوضوح.

أخيرًا نقول إن الأستاذ تنيسون Tennyson الذي استمد مواده غالبًا من الروايات الفرنسية النورماندية، عارض التصور الشائع عن آرثور كملك لبريطانيا المبكرة حارب من أجل وطنه والإيمان المسيحي ضد الغزاة السكسون. وقال إنه من المحتمل أن هناك حقًا زعيمًا بريطانيًا قويًا حمل ذلك الاسم السلتي النمطي،

والذي وجد في الليجندة الإيرلندية باسم آرتور Artur، أحد أبناء نمد الذي حارب ضد الفومور، وفي القارة باسم أرتايوس Artaius الإله الغالي الذي وحده الرومان مع ميركوري، والذي يظهر كحام للثقافة. لكن آرثور الأصلي يقف على أرضية مماثلة لتلك التي يقف عليها كوشولين وفن. أعماله أسطورية، لأنها فوق بشرية. رفاقه يمكن رؤيتهم كآلهة. نحن نعرف أن بعضهم عبدوا في الغال. آخرون هم من أبناء الإلهة دون / دانا والير وبويل، يمثلون الآلهة القدامى الذين ارتفع رأس آرثور بينهم حيث أضاءت عقيدته بينما تضاءلت عقيدتهم {2}.

ما الذي كان يمثله آرثور بالضبط في صفته كإله، وهي الصفة التي تؤكدها الأسطورة، أكثر مما استطاعت المصادر التاريخية أن تثبت واقعية قصة آرثور الملك؟

سؤال يتطلب الخوض في عالم آرثور من أبعاده المختلفة.

هوامش

{*} اعتمدنا في هذا الفصل على كتاب The British Gods; chapter 21, The Mythological Coming of Arthur .

{1} عن كتاب «آلهة بريطانيا»، عن الإنترنت .

{2} م . ن .

4 – أسطورة الولادة

تتخذ الشخصية الآرثورية دور ملك، كان بلاطه في كايرليون في أسك Usk، وكان (ابن أثير بن دراغون وإجيرنا Igerna أو إغرين Igraine زوجة غورلوس Gorlos دوق كورنوول أو هويل تنتاغل Hoel of Tintagel)، والتي نجح {أثير بن} في مضاجعتها بعد أن اصطنع هيئة زوجها أثناء غيابه، بمساعدة فنون السحر عند مرلين. وحين قتل غورلوس تزوج أثير مباشرة من إغرين. وفي الليجندة الويلزية فإنها كانت تسمّى إيغر Eigr {إغرين} وهي ابنة أنلاود وليدغ Anlawdd Wledig.

وقد نفهم هنا أننا أمام واقعة زنى مقترنة بالتدليس المعتمد على السحر، وأن نتيجتها هي ولادة طفل من علاقة غير شرعية. لكن الأسطورة تضع الأمور في سياق آخر. فبعد أن ولد الطفل آرثور، أخذه مرلين إلى قصره الخاص لتربيته تحت رعاية سير إكتور. ولم يظهر آرثور إلى السطح باعتباره الابن الحقيقـــي لـ

«أثير بن دراغون» إلا بعد موت الأخير، حين دبَّر مرلين مرة أخرى حيلة تثبت أن آرثور هو الإبن الحقيقي للملك الذي لا نستطيع أن نفهم بطبيعة الحال لماذا لم يحتضن الطفل طالما أنه تزوج من أمه.

ترى (موري هوب) أن واقعة مضاجعة (أثير بن دراغون لإجيرنا) بالصيغة التي ذكرت بها، هي من بقايا قصة (زيوس) حين اتخذ شكل (أمفيتريون) بغرض النوم مع زوجة الرجل الطيب: والنتيجة هرقل{1}. وترى أن ولادة آرثور الخاصة تتماثل مع ولادة كل أبطال الزمن القديم الذين كانوا نصف إله ونصف إنسان{2}.

وهناك من يرى أن ولادة آرثور، ميثولوجيًا، جاءت طبقًا للتفكير السلتي، حيث كل الأشياء تأتي أصوليًا من العالم الأسفل. أبوه يسمّى (أثر بندراغون) لكنَّ اسم أثر بن دراغون هو «أثر بن» {لأنَّ الكلمة دراغون ليست جزءًا من الاسم بل هي عنوان يعني قائد الحرب}، وذلك هو «بران»، تحت اسمه المشتق من عبارة {القائد المدهش}. وهكذا فإنه رغم الليجندة التي

تصف آرثور على أنه أخرج رأس بران في (تاور هِلْ) حيث كانت تراقب الغزو، لأنه اعتقد أنها قادرةٌ على جعل بريطانيا محميّة بأي سبيل من السبل أكثر مما تفعل الشجاعة، فإننا سنتعرف على رئيس الهادس على أنه أبوه. ولنلاحظ هنا أن ورود كلمة الهادس لا يعني بالضرورة أنها كلمة مستعارة من اليونانية أو اللاتينية، ذلك أن هناك موقعًا في اليمن حمل اسم (هادس) بذات الدلالة المعروفة، وهو عزله من ناحية السياني وأعمال ذي السفال. وهذا يرجح أن هذه الكلمة كانت متداولة عند بعض القبائل العربية.

يعرّف أثير بن دراغون، بأنه من سلالة «بروت»، وأنه كان ملكًا لإنجلترا في عصر الغزوات السكسونية في القرنين الخامس والسادس بعد الميلاد. ويعرف بروت Brut أو brute أو Brutus على أنه في سجل التاريخ المبكر (لجيوفري المونموثي) هو حفيد (إينياس) الذي صار ملكًا على جزيرة ألبيو بعد غزوه لها، وسميت بعدها باسمه بريطانيا{3}.

من الملائم هنا أن نذكر بأن أرخوليني ملك حماة قال عن نفسه إنه كان من ذرية بريتاس. والوجود التاريخي لأرخوليني ملك حماة مؤكد في الوثائق الآشورية وغيرها، أما تولي بروت لحكم بريطانيا، وتسميتها باسمه فأمر ليس مؤكدًا، كما أن وجود ملك بريطاني باسم (أثر بندراغون) ليس مؤكدًا. وأما في حماة فقد تم العثور حديثًا على عدد من النقوش المكتوبة بالخط الهيروغليفي اللوفي في حماة نفسها، وفي أماكن قريبة منها كانت تابعة للمملكة القديمة مثل «محردة» و«قلعة المضيق» و«الرستن» تذكر اسم الملك أرخوليني ملك حماة، وفيها يقول إنه ابن الملك «بارتاس»، وأنه بنى معبدًا للربة بعلاتي{4}. وهذا النقش يعود إلى حوالي العام 850 ق.م.

مما يبرر اختيار ولادة البطل آرتور من «أثير» أن التنين الأحمر كان دائمًا متحدًا مع الشعب البريطاني، وقد كان رمز أثير، وكرس بعنوان «رأس التنين» ذلك أنه «الرئيس» أو «التنين العظيم». ولكن بعض الآراء

تميل لرؤية أثير تشخيصًا تمثيليًا للإله السلتي القديم بيلي{5}. والواقع أنه ما من مبرر أخلاقي لأن يستعير أثير هيئة غورلوس بمساعدة مرلين {مرضن}، إلا إذا كان أثير إلهًا أو أن هذا الادعاء اختلق للقول بوجود نسب إلهي. وربما كان السلت في تعلقهم بمثل هذا الادعاء متأثرين بجيرانهم الجرمان أو مؤثرين بهم.

يقول العلامة مرسيا إلياد إنه بالنسبة إلى أغلبية القبائل الجرمانية، كان للملكية أصل وخاصية مقدستان: المؤسسون للأسر الملكية هم أحفـاد الآلهة، وبخاصة من ودان Wdan. وكان «حظ» الملك هو الدليل الممتاز لطبيعته المقدسة. والملك كان يحتفل بذاته بالأضاحي لأجل المحاصيل ولنجاح الحروب، وكان الوسيط للهبات الدينية بين الشعب والآلهــة. ومفارقة «الحظ» له، أو بعبارة أخرى تخلي الآلهة عنه يمكن أن يؤدي إلى إزاحته عن عرشه، أو حتى لموته، كما حصل في السويد مع دومالدر على إثر سلسلة من محاصيل جدباء محزنة. وحتى بعد اعتناق المسيحية فإن شجرة نسب الملوك - أي انتماؤهم بتحدر النسب

من ودان – استمرت محتفظة بأهمية حاسمة. وكما في أي مكان آخر عمدت التراتبية الكنسية لإدخال هذه المعتقدات في التاريخ المقدس للمسيحية. وهكذا، فإن بعض أشجار النسب الملكية أعلنت أن ودان هو ابن نوح المتولد في السفينة، أو المتحدر من ابنة عم العذراء{6}.

وحول هذه الظاهرة، يقول العلامة أرنولد توينبي «نلاحظ أنه في عالم الأساطير اليونانية، حيث تسير الحياة منطلقة في يسر حيث الآلهة تتطلع إلى بنات البشر وترى أنهن حسناوات «فتتخذ سبيلها مع كثير منهن» إلى حد أمكن معه استعراض ضحاياها ووضع مجموعات شعرية عنهن، ما فتئت هذه الوقائع موضوعات مثيرة تخلف عنها كلها بدون استثناء إنجاب الأبطال. ونجد في مختلف روايات هذه القصة – حيث فريقا اللقاء كلاهما من الشخصيات التي تعلو عن مستوى البشر – إن ندرة الحدث وخطورته، تبرز بروزًا متزايدًا»{7}. فإذا كان آرثور في الأسطورة السلتية قد أعطي ملامح تقربه من الآلهة الخالدين، أو

حتى جرى تقديمه كإله، أو أنه كائن خالد ينتظر السلت عودته من المكان الذي التجأ إليه لمعالجة جراحه، فربما كان المبرر لفعلة أثير (بندراغون) في مضاجعة أجيرنا {إيغر} أنها من نسل إلهي، ولعل (أثير بندراغون) كان إلها أيضًا. وفي هذه الحالة، فإن (غورلوس) نفسه لكي يكون جديرًا بزوجة مؤلهة يحتمل أنه كان إلهًا. وعندئذ، فنحن أمام قصة تدور بين الآلهة وليس بين البشر. ولكننا نعرف أن الآلهة عند السلت يمثلون مظاهر الطبيعة. وبالتالي، فإن المشكلة تكمن في معرفة الرمز الذي يعبر عنه كل إله.

في الواقع إنه مما يؤكد الطبيعة الأسطورية لقصة آرثور، أننا يمكن أن نلتقي مع أكثر من اسم لأبيه. ففي الأدب الإيرلندي، يظهر آرثور باسم أرتوير Artuir ابن بنّي بريت Benne brit {من البريتون وتبدو كلمة بنّي هنا على أنها بنو العربية}. كما أن المؤرخين القدماء اعتادوا على إيراد اسم آرثور على أنه Artur ابن أو حفيد إيدان {ولعله عيدان} بن جبرين Aedan mac

gabrain. وسبق أن ذكرنا أن حوليات ويلز تذكر أنه من بوردري Borderie.

لا شك أن هناك سؤالًا يلحُّ علينا، ونحن نتناول هذا البحث: إذا كانت أسطورة آرثور تدور حول الآلهة، فهل لهذه الأسطورة عمق تاريخي يمكن أن تتبيَّن بعض ملامحه في الوطن القديم؟ أم أنَّها كانت كليَّة من نتاج القرون الوسطى؟

إن الإجابة على هذا السؤال ليست سهلة بالتأكيد، كما أنه قد يتعذَّر الوصول إلى إجابة مؤكدة. ومع ذلك، فإن هناك حقائق تفرض نفسها على الباحث، ويمكن أن تنطوي معالجتها على أهمية ليست بالقليلة، وهي أنَّهُ بوسعنا أن نتتبع كثيرًا من أسماء الأسطورة في المنطقة العربية من خلال تعقب أسماء المعالم الجغرافية. وهذه الظاهرة قد تعني أحد أمرين

1 – أن للأسطورة جذورها التي تعود إلى الوطن القديم بدليل بقاء أسماء أبطالها في المواقع الجغرافية.

2 – أو أن الخلفية الثقافية لمن بلوروا هذه الأسطورة في زمن لاحق كانت لا تزال متأثرة بثقافتها المستمدة من الوطن القديم.

وفي الحالتين، فإن تقصّي هذا البعد مهم، مع العلم بأننا لن نتمكن من معالجة كل الأسماء ضمن سياق المدخل الواحد، حيث أن كثيرًا منها ستعالج بشكل مستقل.

بغض النظر عن حقيقة الشخصية المسماة «أثر بن دراغون»، وهل هي حقيقية أو أسطورية، والاسم في الواقع هو «أثر بن» أو «أثير بن» – ما لم تكن الألف مبدلة من العين - فإن هذا الاسم عربي في الحالتين بشكل واضح لا لبس فيه. وهو يستخدم في الوصف أكثر مما يستخدم كاسم علم. و«أثير» هو الاسم المذكر للإلهة الكنعانية «أثيرة». ويعني الاسم «الصديق والعزيز». ولقب «أثيرة» تمتدح به آلهة النخيل العربية مما يسهل علينا فهم وظيفتها كإلهة الأشجار والأنصاب. وقد يعني اسمها اللمعان والضياء {أث ر}{8}. والأثير: بريق السيف. والمفضَّل على غيره.

و{عند الطبيعيين}: سيال يملأ الفراغ يفترضون تخلله الأجسام. و{عند الكيميائيين}: سائل غير ذي لون، طيار، يذيب المواد الدهنية ويستخدم في الطب{9}. وفي ديانة الصابئة المندائيين، نجد أثرًا: ملاكٌ، روحٌ نورانية. والأثير: كائن نوراني شبيه بالملاك{10}. وتستعير اللغات الأوروبية صفة Atherial من العربية للدلالة على الأثيري. ويضيف «لسان العرب» لكلمة الأثير معنى الصبح، وذي أثير: أول كل شيء. ونلتقي في المنطقة العربية بالعديد من المواقع التي اشتق اسمها من كلمة أثر أو أثير منها

1 – أُثَيْر: صحراء أثير بالكوفة.

2 – الأثيرة: ماءةٌ بأعلى الثلبوت.

3 – أثريا: موضع في محافظة حماة.

4 – الأثرية: موضع في محافظة حلب.

5 – أثرى: قرية بجوار قريات الملح في شمال الجزيرة العربية.

6 – الأثوار: اسم رمل إلى سند الأبارق التي أسفل الوتدات. وهو في بلاد غطفان.

7 – أثور: كانت الموصلُ تسمَّى أثور. وقيل هو اسم كورة الجزيرة بأسرها.

8 – أثريا: بلدة في سوريا.

9 – أثرية: بلدة في سوريا.

10- وثير: بطن من بكيل باليمن.

وسنرجىء الآن مناقشة كلمة «دراغون» الواردة في اسم هذا الملك أو الإله، لنتناولها في وقت لاحق.

ولكن اسم «أثر» قد يكون الأصل فيه «عثر»، فحلت الألف محل العين، وهو احتمال سنرى من خلال تعقب المواقع الجغرافية أنه وارد. وفي هذه الحالة يمكن أن نلتقي مع أماكن منها

1 – العتر: جبل بالمدينة من جهة القبلة يقال له المستنذر الأقصى. والعتر في اللغة: الذبيحة التي كانوا يذبحونها في الجاهلية في رجب. والعِترُ: الذبح. قال زهير

كمنصبِ العتر دمّى رأسهُ النسكُ

قالوا: أراد بمنصب العتر صنمًا كان يقرب له عترٌ أي ذبح.

2 – عِتوَر: اسم واد خشن المسلك. قال المبرّد: العتورة الشدة في الحرب.

3 – عثارى: وهي الأرض العذيُ ليس فيها شرب إلا المطر. وهو واد.

4 – عثران: اسم موضع.

5 – عثر: بلد باليمن.

6 – عثَّر {بتشديد الثاء}: موضع وهو مأسدة. وقيل بلد باليمن بينها وبين مكة عشرة أيام. وقيل هي من الشرجة إلى حلي، وتعد في أعمال زبيد. ولعلها مخلاف عثر.

7 – العثير: موضع.

8 – عِثيَرذو العثير موضع بالحجاز يرى أنه من بلاد بني أسد.

9 – عثير: موضع بالشام.

10- تل العتر: موضع في منطقة الخليل بفلسطين.

11- عثار: بلدة في البون الأسفل في اليمن.

12- عثار: بلدة من خارف شرقي ريدة.

13- تل العتر: يقع إلى الشمال الغربي من بيت جبرين جنوبي تل برنات.

14- عيترون: في لبنان.

15- عثرين وعترين موقعان في لبنان.

16- عتار وعتارة: مناطق وقرى في اليمن.

ومن دلالات العثر اللغوية أنه العقاب، مما يرجح أنه كان مؤلهًا.

أما «بن» في اسم أثر بن فهي لا تعني ابن بالعربية كما قد يخطر بالبال مباشرة. والأرجح أنها تعني حجرًا، أي أنها تماثل كلمة بن أو بنبن المصرية القديمة والتي تطلق على المسلة التي وظيفتها استقبال شعاع الشمس، وهو أيضًا الهيئة التي خرج بها الإله أتوم في معبد العنقاء. وكلمة البناء في اللغة العربية مشتقة أصلًا من كلمة بن هذه بمعنى الحجر. وبنبان منهل باليمامة من الدهناء. واسم بلدة يبنة في فلسطين مشتق من دلالة البناء هذه. وبنا أشهر أودية اليمن جنوب شرق يريم، والبنّى والبنيَّة مواقع في لبنان.

ولقد قيل إن (أثير بن) من سلالة بروت أو بروتوس. وبينًا أن أرخوليني ملك حماة سجَّل أنه من سلالة

بريتاس. وفوق هذا، فإن لدينا كثيرًا من المواقع المشتقة مِن هذا الاسم، نذكر منها

1 – بابرتي: قرية من أعمال دجيل بغداد.

2 – بابِرْت: قرية كبيرة ومدينة حسنة من نواحي أرزن الروم، من نواحي أرمينية.

3 – براثا: محلة كانت في طرف بغداد من قبلة الكرخ وجنوبي باب محوَّل، ولم يبق لها أثر.

4 – بِرْت: بليدة في سواد بغداد قريبة من المزرفة.

5 – بَرْثانواد بين ملل وأولات الجيش، كان عليه طريق النبي {صلعم} إلى بدر وبه كان أحد منازله.

6 – بَرْث: موضع ذكر في حديث نزول عيسى بن مريم عليهما السلام.

7 – برثة: موضع بنواحي الكوفة.

8 – بُرَيْث: موضع بالسواد.

9 – بَريث: موضع آخر من السواد أيضًا.

10- البِرِّيث: مكانٌ بالبادية كثير الرمل، وقال شَمر: يقال الخرّيت والبرّيت أرضان بناحية البصرة.

11- البرّيت: قال نصر إنه من مياه كلب بالشام.

ولاسم بروت على كل حال خلفيته الميثولوجية والتاريخية المحتملة، إذ يمكن أن تكون له صلة مع «برهوت»، وهو وادٍ في اليمن توضع فيه أرواح الكفار. وقيل برهوت بئر بحضرموت، وقيل هو اسم البلد الذي فيه هذه البئر. ورواه (ابن دريد) بُرهوت وقيل هو وادٍ معروف. وقال (محمد بن أحمد) وبقرب حضرموت وادي برهوت وهو الذي قال فيه النبي {صلعم} إن فيه أرواح الكفار والمنافقين، وهي بئر عادية في فلاة وادٍ مظلم. وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: أبغض بقعة في الأرض إلى الله عز وجل وادي برهوت بحضرموت فيه أرواح الكفار وفيه بئر ماؤها أسود منتن تأوي إليه أرواح الكفار. وعنه أنه قال: شر بئر في الأرض بئر «بلهوت» في «برهوت».

وبغض النظر عمَّا تنطوي عليه هذه القصة من دلالة، فنحن أمام الموقع الذي يفترض أن قوم عاد، وهم من العرب البائدة، قد عاشوا فيه. وبالتالي، فإن اسم المكان «برهوت» ربما استمر في الوجود من خلال إحدى عشائر عاد الناجية.

ويمكن أن نجد كلمة «برود» أو «بروت» السلتية وقد عُرِّبت بصيغة «شوكة» أو «شويكة»، وهي مهماز الحصان. وعندئذ سنجد الكثير من المواقع التي تحمل هذا الاسم، وخاصة في فلسطين.

إن الاسم بصيغة «برود» أو «برد» يتقاطع – كما هو واضح – مع اسم موضع «بوردري» الذي ينسب إليه آرثور. وهذه قد تكون مركبة من {بُرد + ري} بمعنى مملكة بُرد أو برود. ولدينا العديد من المواقع التي تحمل أسماء مشتقة من هذه الصيغة، منها

1 – بُرد: قال نصر: بُرْد صريمة من صرائم رمل الدهناء في ديار تميم كان لهم فيه يوم.

2 – بَرْد: جبلٌ يناوح رؤافًا، وهما جبلان مستديران بينهما فجوة في سهل من الأرض غير متصلة بغيرهما من الجبال، بين تيماء وجفر عنزة، وجفر عنزة في قبليهما.

3 – بَرْدصقع يمان.

4 – بَرْد: ماء قرب صفينة من مياه بني سليم، ثم لبني الحارث منهم.

5 – برْدرايا: يقول ياقوت: موضع أظنه بالنهروان من أعمال بغداد.

6 – برذاور: موضع بهمذان.

7 – باروذ: قرية في منطقة الرملة بفلسطين.

7 – بارودة: قرية في منطقة الحفة من محافظة اللاذقية.

8 - البرود: وكلمة brod تماثل بروت بالسلتية، وتعني مهماز الحصان. ويورد ياقوت المواقع التالية: البرود فيما بين ملل وبين طرف جبل جهينة. والبرود: بطرف حرَّة النار أودية يقال لهن البوارد. والبرود: وادٍ فيه بئر بطرف حرَّة ليلى. والبرود: قرب رابغ.

9 - بُرد: خربة أثرية في منطقة شهبا من محافظة السويداء.

10- بُرُد: قرية في منطقة صلخد من محافظة السويداء.

والآن، ماذا عن غورلو؟

خلال انكبابنا على هذا البحث المتعلق بالسلت، لفت انتباهنا اسم وادٍ في بلدة «بيت جبرين» بين القدس والخليل قدَّرنا أنه لا بد وأن تكون له دلالة ميثولوجية متصلة بموضوع البحث، وهو وادي الغوريل. وواضح أن هذا الوادي يحمل ببساطة اسم «غورلو» دوق كورنوول وزوج إجيرنا حسب الأسطورة. وواضح أن

نطق الاسم بصيغة غور يل يرجح أنها «غور – إيل» أي إله الغور أو الإله غور، وكان من السهل أن يتبادر إلى ذاكرتنا اسم «عجور» البلدة القريبة جدًا من «بيت جبرين»، والتي يمكن أن يكون اسم «إجيرنا» مشتقًا من اسمها أو العكس. والواقع أن هذين الموقعين، كانا من جملة المواقع التي تفتحت عليها ذاكرة المؤلف في رحلة اللجوء الطويلة عام 1948. وعدا موقع «عجور» في فلسطين، فإن اسم إجيرنا {أو إيغر} قد نجده في موقع «أَجَر» على الطريق المتجه من القيروان إلى بونة، وهي – كما يذكر ياقوت- قرية لها حصن وقنطرة، وهي موقع وعر كثير الحجارة، صعب المسلك، لا يكاد يخلو من الأسد، دائم الريح العاصفة، ولذلك يقال: إذا جئت إلى أجر فعجِّل فإن فيه حجرًا يبري، وأسدًا يفري، وريحًا تذري. ويذكر ياقوت موقعين باسم الإيغار، ويبين أن الإيغار اسم لكل ما حمى نفسه من الضباع وغيرها ويمنع منه. وهو وضع يماثل وضع القلعة العائدة إلى غورلوس والتي نجح أثير في التسلل إليها والوصول إلى زوجته إيغر{إجيرنا}. وعدا هذه المواقع هناك الأغران وهما

حبلان من حبال رمل البادية، والأغر: بطن الأغر بين الخزيمية والأجفر على طريق مكة من الكوفة. وقال نصر: الأغر جبل في بلاد طيء به ماء يسقي نخيلًا يقال له المنتهب. كذلك يمكن لهذا الاسم أن يتقاطع مع اسم أقر. وأقر وادي شرقي شهارة في بلاد حاشد باليمن. ويبقى هناك احتمال كبير بأن تكون إجيرنا من أعطت اسمها لقرية عجور الواقعة في منطقة الخليل.

إن الشخصية الأساسيـــة الأخرى تتمثل بـ {مرلين} واسمه الأصلي «مردن» أو «مرضن»، وأحد نعوته أو أسمائه أيضًا «أمريس»، واسم مرضن يمكن أن يحرف إلى «مرثن» كما هو الحال في اسم كاير مارثن. ولنلاحظ هنا أن الاسم الأول لبريطانيا كان «جلس مردن / مرضن}، وكلمة جلس هنا تعني حظيرة، لكنها تذكرنا بحقيقة أن المناطق المرتفعة في الحجاز تطلق عليها تسمية «جلس» لتمييزها عن الغور. وهنا نجد الكثير من المواقع التي يحتمل أن تكون لتسمياتها صلة باسمه في منطقتنا، ومنها

1 – مارثناحية من جبال عمان.

2 – المراضان: واديان ملتقاهما واحد. وهما المراضان والمرايض: مواضع في ديار تميم بين كاظمة والنقيرة فيها أحساء.

3 – المِراض: وادٍ في شعر الشمَّاخ. وقال غيره: موضع على طريق الحجاز من ناحية الكوفة.

4 – المرايض: مواضع في ديار بني تميم بين كاظمة والنقيرة.

5 – المريسة: جزيرة في بلاد النوبة.

6 – مريسة: قرية بمصر وولاية من ناحية الصعيد.

7 – مروس موقع في فلسطين.

8 – مريسة {أو مريشة}: مدينة كنعانية في فلسطين بالقرب من بيت جبرين، وهي المعروفة الآن باسم صندحنّة. وهي تل أثري. ولنلاحظ أن هذا المكان لا يحمل اسم مرضن /مرلين / أمريس فقط وإنما يحمل اسم أنا / حنة أيضًا.

9 – مارد: حصن بدومة الجندل.

10 – ماردة: كورة واسعة من نواحي الأندلس.

11 – ماردينقلعة مشهورة على قنّة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين.

12- مردا: موقع في فلسطين قرب نابلس.

13 – مَرْتين: مزرعة في مركز ومنطقة محافظة إدلب.

14- مَرت: قرية بينها وبين أرمية منزل واحد في طريق تبريز.

15- مرداء: موضع بهجر.

16- مردان: ثنية مردان بين المدينة وتبوك، وكان فيها مسجد للرسول {صلعم}.

17- مرَس: موضع بالمدينة.

18- مريد: أطم بالمدينة لبني خطمة، وعرف بهذه النسبة عرفة المريدي.

19- بامردى: قرية من أعمال البليخ من نواحي ديار مضر بين الرقة وحران بالجزيرة.

20- تل مراد: يقع في أقصى شمال الجليل الأعلى.

21- مراشى: جبل معاند لبرط من جهة الشرق باليمن.

22- مرياش: بلدة في بلاد شهران باليمن.

23- ماروس {جوانية وبرانية} في لبنان.

24- مرس: قرية كبيرة من ذي رعين شرق يريم.

25- مريس: قرية من مخلاف بعدان وعزلة الحرث.

26- مرادية: موقع في لبنان.

27- مراد: جبل وعزلة من بلاد صرواح تسكنه بقية من قبيلة مراد المنسوبة إلى مراد بن مذحج بن أدد بن

كهلان بن سبأ.

28- مرستي: لبنان.

29- المريسة: لبنان.

30- إمريش: قرب دورا في منطقة الخليل.

وأما بالنسبة لاسم «عيدان» أو «إيدان»، فإن (ياقوت) يورد موضعًا باسم «عيدان» دون تحديد مكانه بالضبط، وعادية: موضع من ديار كلب بن وبرة، وعدان: موضع في ديار بني تميم بسيف كاظمة، وقيل ماء (لسعد بن زيد مناة بن تميم)، وقيل: هو ساحل البحر كله كالطف، وعدَّان: مدينة كانت على الفرات لأخت الزبَّاء، وعدينة اسم لربض تعز باليمن. وهناك موضع باسم «أيد» في بلاد مزينة، وأيدم بلد يمان. وأما اسم «جبرين» أو «جابرين» فنجده في مواقع متعددة، منها

1 – بيت جبرين: في فلسطين. وهو حصن بين القدس وعسقلان.

2 – جبرين الفستق: قرية على باب حلب.

3 – جبرين قوْرَسطايا: من قرى حلب من ناحية عزاز. ويعرف أيضًا بجبرين الشمالي.

4 – جبرين: قرية بين دمشق وبعلبك.

5 – جابروان: مدينة بأذربيجان قرب تبريز.

6 – جبار: ماء لبني حميس بن الحاف بن قضاعة بين المدينة وفيد.

بالعودة إلى معالم «بيت جبرين»، نجد أنها تقع في منبسط تشكل من انبساط عدة أودية، منها: وادي الشويكا، ووادي الزمار، ووادي الغوريل{11}.

إن كلمة الشويكة في الواقع، هي الترجمة الحرفية لكلمة «برود/بروت» السلتية، التي اعتبرت اسمًا للملك الذي ينتسب إلى سلالته أثير بن دراغون ومن ثم آرثور. وقد وجدنا أيضًا أن بين الخرب القديمة الواقعة حول «عجور» خربة باسم «الشويكة». ويبدو أن ثمة

ارتباط بين اسم الخربة واسم الوادي. وإضافة إلى خربة ووادي الشويكة هناك قرية «شويكة» تقع شرق الظاهرية، وخربة أبي الشوك في خراج بلدة صوريف، وهي قريبة من بيت جبرين أيضًا. وهناك من يرى بأن كلمة فوكين في اسم وادي فوكين الواقع إلى الغرب من بيت لحم يعني الشوك أيضًا.

إن ما يكمل حلقة الدلالات في الواقع هو اسم «وادي الزمار». فهو يشير غالبًا إلى من أسمى نفسه في «مرثية أثير بندراغون» بالمغني الأعظم، حيث يقول

«أنا شاعر

أنا سيّد القيثارة، والمزمار، والكروث

ومن بين سبعة موسيقيين عظام،

أنا المغنّي الأعظم».

فنحن إذن أمام تسمية للوادي الثالث لها علاقة محتملة بالأسطورة.

وإذا وصف «غورلو» بأنه «دوق كورنوول»، فإن لقب الدوق ليس غريبًا على بلادنا كما قد يتصوَّر بعضهم، فهنــاك مثلًا موقع «مقام ذوقية» على تل الشيخ مذكور بين جبال الخليل والسهل الساحلي، ليس بعيدًا عن مسرح البحث. وهو موقع أثري يقال إنه كانت تقوم عليه بلدة عدلام الكنعانية. وهناك «الزوق التحتاني» و«الزوق الفوقاني» شمالي صفد. والزوق أيضًا قرية في قضاء صافيتا في سورية وديوك قرب أريحا في فلسطين. وهناك أسماء عدة أمكنة مركبة من دوق واسم آخر مثل «دوق مصبح» و«دوق مخايل» في لبنان. وهناك بْدَوْقة {بيت دوقة} قرية في منطقة بانياس على الساحل السوري. وهناك «دوقة» بأرض اليمن لغامد. وقال نصر: دوقة وادٍ على طريق الحاج من صنعاء إذا سلكوا تهامة بينه وبين يلملم ثلاثة أيام. ويقول الأستاذ (أنيس فريحة) في «معجم أسماء المدن» إن له ثلاثة آراء في تعليل الكلمةإنها تحريف للفظة السريانية doqa بمعنى الحارس والناطور والمراقب {من جذر «دوق» ناظر وراقب وحرس. 2 – إنها تحريف duk ومعناها المكان والمحلة والموضع. 3

–إنها تحريف shuqa السوق» أما الأب لامنس فيعتقد أن اللفظ تركي الأصل. وأيًا كانت الدلالة فإن وجود المواقع الدوقية عندنا يرجح الأصل السلتي لهذه المواقع، ونقل السلت لصفة الدوق معهم إلى أوروبا.

وأما اسم (كورنوول)، وإن كان يتعلق بموقع في بريطانيا، إلا أن الأصل في كلمة «كورن» الواردة فيه أنها «قرن». والمواقع التي تحمل اسم قرن في المنطقة العربية كثيرة، منها القرنة وقرنيا والقرين في لبنان، وقرانة قرية في تعز، وقرن جبل فيه حصن قديم في اليمن، وقرن الوعل أعلى جبل الوعل، وقرن في معينو وقروان وقرون حصون في اليمن، والقيروان في تونس.

ولنعد إلى أثيرا!

قيل إنه كان ملكًا بلاطه في كاير ليون في أسك. وربما كان هذان الموضعان موجودين في بريطانيا بالفعل.

ولكن من المحتمل أيضًا أن تكون لهما جذورهما في الوطن القديم.

ثمة موقع باسم «آسك» يوجد في نواحي أرَّجان في الأهواز، ويوجد موقع رأس إسكا في لبنان، كما أن سكا وادٍ خصب بالشرق من قرية أريان في اليمن. لكن الاسم قد يكون أصله من المصدر «عسق». وعسق تعني لزق به ولزمه وأولع به. وعسق به وعسك به بمعنى واحد.

وهنا توجد احتمالات عديدة بصدد الموقع قرب المسرح المفترض

1 – هناك أولا بلدة «بيت إسكايا» قرب أرطاس ضمن مسرح الأسطورة المحتمل.

2 – هناك ثانيًا الصيغة المركبة المحتملة من {أسك + ليون}. وعندئذ لدينا خربة عسقلون في خراج بلدة عجور، وخربة عسقلان في قضاء رام الله، والأهم

مدينة {عسقلان = عسقلون} المعروفة على الساحل الفلسطيني الجنوبي والتي كانت بالتأكيد مقر مملكة.

3 – كما أن عسقلان هي عثكلان في اليمن. وهم بنو عثكلان في نقش جام 563.

إن اسم إكتور الذي تولى تربية آرثور إلى جانب ابنه كاي {حي}، قد نجده في موقع قيتورا Qetura في النقب، بالقرب من وادي عربة. وقد يتمثل في موقـع «أكدر» وهو من أيام العرب. وهناك «الأكادر» جبل. قال نصر: الأكادر بلد من بلدان فزارة. ولكن هذا الاسم قد يكون تحريفًا لاسم الإله الكنعاني {كوثار}.

والحقيقة أنه إذا كان هناك من مبرر منطقي لتربية آرثور في بيت إكتور، فهو تزويده بالمهارات التي يملكها إكتور، مما يجعل المطابقة بين إكتور وكوثار واردة. ومعروف أن الأسطورة الأوغاريتية تقول إن بعل لجأ إلى كوثار لبناء قصره. وكوثر قرية بالطائف. وكوثر أيضًا جبل بين المدينة والشام. وكوثرية السياد بلدة في لبنان. وآل كثير من قبائل همدان بالجوف.

وأما عن الابن المفترض لإكتور وهو {كاي}، فإذا قُرئ بصيغة كاي، فاسمه موجود في اسم بلدة كويا على نهر اليرموك في الجولان، وفي بلدة الشيخ شان كوي في لواء اسكندرون. وأما بصيغة {حي} وهي قراءة ليست محتملة فقط بل مرجحة، فاسمه يتمثل في خربة الحي بجوار بلدة مخماس شمال شرقي القدس، وفي تل حي جنوب قرية المطلة، وحي قبيل من قضاعة ثم من خولان بن عمرو بن الحاف في بلاد صعدة، وذو حيان من قبائل برط، وذو حيان من قبائل مرهبة من ناحية ذي بين، وبنو حي من قبائل آل عمار، وشعب حي من بلاد صعدة، وعين حي في قضاء يافا بفلسطين، وكفر حي بلدة في لبنان، وكفر حيان في لبنان أيضًا. ولكن علينا أن نتذكر أيضًا بأن {كي} هو إله الأرض عند السومريين والأرض هي التي تستقبل حرارة الشمس وتشكل رفيقها العملي في الواقع. والأهم من ذلك أن مواصفات «كاي» النارية ترجح أن اسمه مشتق من دلالة الكيِّ أي الحرارة اللاهبة، وهذا ما يبرر اعتباره وصيفًا لآرثور، بعد أن كان آرثور وصيفًا له، كما سيتضح من قصة السيف.

وإضافة إلى المعطيات السابقة، يمكننا أن نضيف ملاحظتين

1 – إن اسم أثير أو أثر والد آرثر ربما تمثل في الموقع نفسه في اسم تل العتــــر الواقع إلى الشمال الغربي من بيت جبرين.

2 – إن اسم «بيت جبرين» نفسه، يشير إلى الوالد أو الجد المفترض لآرثور والذي ورد معنا بصيغة إيدان {وربما عيدان} بن جبرين Gabrain. وأيد موضع في بلاد مزينة. وأيدم: بلد يمان. وعيدان: موضع.

فوق هذا كله لدينا ملاحظة ذات مغزى، وهي أن الأودية الثلاث التي ذكرت في البداية تلتقي وتخرج مجتمعة من القرية باتجاه الشمال الغربي باسم وادي الشيخ. ولكن من الجدير بالذكر في هذا السياق الإشارة إلى وادي أبو الحيات وهو ينبثق من جبال الخليل شرقي قرية بني نعيم ويصب في وادي خبرا. فربما كانت له صلة بالأسطورة موضع البحث.

ما معنى هذا؟

دعونا نقول: إن اجتماع المعطيات على هذا النحو ضمن مسرح جغرافي معين لا يعني بالضرورة أن الأسطورة تدور حول مدن وقرى وتلال وأودية، لكنها تعني أن أصحاب الأسطورة الأصليين بالذات كانوا يعيشون في منطقة انتشار تلك الأسماء. فأطلقوا أسماء الآلهة والأبطال على المواقع. (فأثير بن دراغون) الأب قد يكون المادة التي تكونت منها الشمس، وأما آرثور فهو لا يتمثل بالشمس في حد ذاتها، ولا في شعاع الشمس في حد ذاته، أو النور الصادر عنها، وإنما يتمثل بالحرارة المنبعثة من الشمس والتي تستقبلها الأرض. لذلك، فإن له سلطانه على جميع فصول السنة، وهو يغزو أيضًا باطن الأرض، ومن خلال مستوى درجة الحرارة التي يخلفها على الأرض تتحدد ملامح الفصول باردة أو حارة أو معتدلة. عندئذ، سيطرح السؤال: من تكون أمه إجيرنا أو عجيرنا أو عجور إذن؟ أهي الأرض؟ أم الثمار قبل النضـــج {العجر}؟ أم

هي الغلاف الأرضي الذي يحتضن الحرارة الناجمة عن الشمس؟

أيًا كان الجواب، فإن أصل الأسطورة يدور حول العلاقات بين قوى الطبيعة. وهذا ما نستطيع استخلاصه ببساطة من قصة الصراع بين (قوين وغويرثور). إن (قوين) هو عاشق (كروديلاد ابنة اللود Liudd). وكان له منافس إلـــه يدعى (غويرثور أب غريداول Gwyrthur ap Greidwl) {واسمه يعني أبا الجرود}. وذلك هو فكتور Victor ابن سكورشر Scorcher. وهذان الاثنان أدارا حربًا خالدة من أجل كروديلاد أو Creudylad، كل واحد منهما بدوره يسرقها من الآخر، إلى أن نقل الموضوع إلى آرثور، الذي صمَّم على أن (كروديلاد) يجب أن تعاد إلى أبيها، وأن (قوين وغويرثور) «يجب أن يتقاتلا من أجلها كل يوم أول أيار»، منذ الآن وحتى قيام الساعة. وأن من يفوز منهما سيحظى بالفتاة. والمدلول الميثولوجي لهذه القصة واضح تمامًا. ففي العلاقة بين قوين إله الموت والعالم السفلي، والإله الشمسي غويرثور، نرى

قوى الظلام والنور للشتاء والصيف في تناقضهما. كل منهما بالتبادل يكسب ويخسر عروسًا، تبدو ممثلةً للربيع بغلاله وأزهـــاره. إن كرودیـــــــلاد، التي تدعوها قصـــة «كلحوش وعلون» بالفتاة الأكثر تمجيدًا في جزر القوة الثلاث وفي الجزر الثلاث المتاخمة لها، هي في الواقع برسفونة البريطانية، وكونها ابنة اللود يعني أنها ابنة السماء المضيئة. ولكن تقليدًا مختلفًا يجعلها ابنة الير إله البحر، وإن اسمها كما مرَّ معنا عبر (جيوفري أوف مونموث)، وحتى (شكسبير)، الذي صارت بيديه عنصرًا محركًا للعواطف في شخصية كورديليا Cordelia في مسرحيته «الملك لير» بقي من الأسماء الحيّة{13}.

وما يجب أن نذكره هنا هو أن المعركة السنوية بين قوين وغوينثور تتم تقليديًا في مكان اسمه (مويطورا). وهذا الموقع يتمثل الآن في قلب مدينة دمشق، ويحمل اسم «الميطور»، وكان متنزهًا أساسيًا لدمشق فيما مضى.

وعند البحث عن مواقع تحمل اسم الفتاة العذراء (كروديلاد) هذه، تبين معنا أن الصيغة الأصلية لاسمها عندنا هي (خرود)، فهي خروديلاد، ومنه جاء اسم وادي الخارد في اليمن. والخريدة والخريد والخرود من النساءالبكر التي لم تمسس قط. وقيل: هي الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت والخفرة المتسترة قد جاوزت الإعصار ولم تعنس. والجمع خرائد وخرد وخرَّد. وكل عذراء خريدة. وبالتالي فإن اسم كروديلاد {أصله خرودي لاد} يعني الفتاة العذراء. والخريدة أيضًا: اللؤلؤة قبل ثقبها. قال الليث: سمعت أعرابيًا من كلب يقول: الخريدة التي لم تثقب وهي من النساء البكر.

ووادي الخارد من الأودية الكبار في الجوف باليمن. وتأتي مساقيه من فروع مختلفة أولها من مخلاف خولان شرقي صنعاء.

وإذا قيل بأنها ابنة اللود فإن الإشارة هنا قد تكون إلى جبل اللوذ في اليمن أكثر مما هي إلى موقع اللد في

فلسطين، مع أن الربط بين الاسمين ممكن، والتواصل بين اليمن وبلاد الشام حاصل.

هوامش

{1} موري هوب، السحر السلتي العملي، ص 111 .

{2} م . ن، ص 114 .

{3} ماكس شابيرو وهندريكس، معجم الأساطير، ص 67 .

{4} فراس السواح، الحدث التوراتي، ص 97 ..

{5} موري هوب، م .س، ص 111 .

{6} مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ج 3، ص ص 103 و104 .

{7} أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج 1 وص ص 104 و105 .

{8} د . إذزارد وآخرون، قاموس الالهة والأساطير، ص 162 .

{9} المعجم الوسيط، ص ص 5 و6 .

{10} محمد عمر حمادة، تاريخ الصابئة المندائية، ص 219 .

{11} الموسوعة الفلسطينية، مجلد 1، ص 445 .

{12} ياسين عبد الرحيم، موسوعة المدن والقرى السورية، ص 713

{13} عن كتاب «the British Gods»، عن الإنترنت .

5 – حول اسم آرثور

يقول بعضهم إن اسم {آرثور} هو اسم ذكوري شائع يعني «شبيه الدب»، ويعتقد أنه مقتبس من الاسم الروماني Artorius {الحارث} أو إلهة الدب السلتية Artio، أو أكثر احتمالًا من الكلمة السلتية artos {دب}. وتحتوي اللغات السلتية الأخرى أسماء مشابهة، مثل الإيرلندي القديم Art وArtuur. والويلزي Arth – والذي يمكن أن يكون المصدر للاسم الحديث.

و Art أيضًا هي صيغة التصغير من الاسم الشائع آرثور. وفي الكثير من اللغات السلافية والرومانية والجرمانية ينطق الاسم بصيغة آرتور Artur. أما الصيغة الفنلندية فهي أرطو Arttu.

ويبقى أصل الاسم آرثور موضع جدال. فبعضهم يقترح أنه مشتق من اسم العائلة اللاتيني Artorius، بل ويقولون: إن هذا هو الاسم الحقيقي الأصلي وأن صيغة آرثور هي نطق حديث ظهر بعد زمن. ويقترح آخرون اشتقاقه من الكلمة الويلزية Arth {الأقدم

Art}، وتعني «دب» مقترحين Art-ur بمعنى «الرجل – الدب» {الأقدم Arto uiros هو الشكل الأصلي}. مع ذلك هناك صعوبات تواجه هذه النظرية.

إنه من الملائم القول إن اسم الملك آرثور ظهر على شكل Arthur أو Arturus في المؤلفات اللاتينية الآرثورية المبكرة. ولم يرد مطلقًا بشكل Arturius. ولكن هذا لا يبين أي شيء عن أصل اسم آرثور. ذلك أن Artorius يصبح بشكل نظامي Art h ur حين يستعار إلى اللغة الويلزية. وهناك نظرية أخرى تربط الاسم آرثور مع أركتوروس Arcturus، النجم الأكثر لمعانًا في المجموعة النجمية Bootes {مجموعة كواكب الراعي} بالقرب من Ursa Major أو الدب الأكبر والاسم الكلاسيكي اللاتيني arcturus سيصير أيضًا Art h ur حين يستعار إلى الويلزية. ولمعانه وموضعه في السماء يقود الناس إلى اعتباره كـ «حارس الدب» و«القائد» للنجوم الأخرى في مجموعة كواكب الراعي. أيضًا هناك انتباهٌ مكثف أعطي للآراء

المساندة للنتيجة القائلة إن آرثور هو اسم محوَّر من اسم البطل الروماني {Aurelianus Ambrosius}.

وقد اعتاد المؤرخون القدماء على إيراد اسم آرثور على أنه Artur ابن أو حفيد Aedan mac Gabrain{1}.

وفي الأدب الإيرلندي، يظهر آرثور باسم Artuir ابن بنّي بريت Benne Brit {من البريتونيين}.

ويرى غراي كالكوست أن اسم آرثور الأول مشتق من كلمات تعني إما «دب» أو «حرات»{2}.

وهناك وجهة نظر تقول إنه إذا كان هناك حقًا آرثور حقيقي في التاريخ فربما كان قائد حرب روماني – بريطاني، ربما حمل اسم أرتوريوس Artorius {الحارث بالعربية}، وهو الاسم الروماني لآرثور. ولأن فرق الرومان غادرت بريطانيا سنة 410 م، فإن عامة السكان المختلطين من الرومان والسلت احتفظوا لأجيال بالقانون الروماني والتعليم والثقافة وطريقة الحياة. إن الاسم Artorius شبيه بما فيه الكفاية

بالإله الغالي للدب Artaios أو Artaius. وقد عرف الرومان هذا الإله بإلههم ميركوري. تعني Arto في اللاتينية: دب. وعليه، فإن آرثور مثل الشخصيات الويلزية الأخرى، يمكن أن يشتـــق من الإله السلتي القديم في الغــال {فرنسا}. والصيغة الأنثوية من أرتايوس هي Artio الإلهة الدبة.

وتقول السيدة موري هوب إن هناك مدرسة من التفكير ترى أن الاسم آرثور هو اشتقاق من اركتوروس Arcturus، وعندئذ هو لقـــبٌ إسميٌّ لكهنة النجوم في بابل. هناك تسميات مشابهة مثل اليونانية أرتميس والإلهة السلتية أرتيو Artio التي عبدت في جوار بيرن Berne من قبل الهلفيتيين. وقد جاء الاسم المسيحي سانت أرتيميديروس من الجذر نفسه، حيث تضمن اتحادات مع الدب. أركتوروس هو النجم الأكثر لمعانًا في برج كواكب الراعي الواقعة على بعد 36 سنة ضوئية عن الأرض. واسمه مشتق من اليونانية Arktouro بمعنى «حارس الدب». ومن موقعه خلف

ذيل Ursa Major {أركتوس – دب. أورسو – حارس}.

وكانت خادمات أرتميس الصغيرات في أثينا يسمّين Arktoi. وأيضًا فإن الأستاذ اليوناني الكلاسيكي كارل كيرنيي يصر على أن أرتميس نفسها لم تتحد أبدًا مع الدب، وأن حيوانها الرمزي كان الأسد، وحين تسرب آلهة اليونان إلى مصر كما قيل، جرى تعقبها من قبل الوحش الشنيع طيفون Typhon، وبدلت أرتميس نفسها إلى قطة ولجأت إلى القمر. وكان رفيقها المحبوب جدًا كاليستو Kallisto الذي ظهر أخيرًا في السماء باعتباره الدب الأكبر متبعًا اقترانها مع زيوس الذي حملت منه بولد هو أركاس الجد الأول لسكان أركاديا. أو طبقًا لمصدر آخر التوأم أركاس وبان {Pan{3.

من خلال جملة المعطيات السابقة لدينا في الواقع ثلاثة اشتقاقات أساسية دارت حولها محاولات تفسير اسم آرثور

1} الدب.

2} الحارث.

3} النجم أركتوروس الذي يقودنا إلى الدب أيضًا.

وحين نعود إلى اللغة السلتية، ماذا نجد؟

إن لفظة arto في اللغة السلتية ترد بمعنى دب. وإن كلمة aratro السلتية ترد بمعنى محراث. وإن كلمة arkweto السلتية تعني رماية / تسديد، مما يتفق مع دلالة أركتوروس.

وعليه، يبدو أن اسم آرثور بهذه الدلالات جميعًا كان يمكن أن يشتق من اللغة السلتية نفسها، دون استعارة صيغة من اللاتينية وأخرى من اليونانية. ولكن ثمة صيغ أخرى كان يمكن أن يشتق منها هذا الاسم.

مثلًا إن arto في السلتية تعني الحجر مثلما تعني الدب. فلماذا اعتمدت دلالة الدب وأغفلت الدلالة المحتملة للحجر؟

تزداد أهمية هذا السؤال في ضوء الملاحظات التالية

1 – في أساطير أوروك السومرية يجري الحديث عن مدينة اسمها أرتا وعن وجود معبد الإلهة إنانا الرئيس في هذه المدينة.

2 – في قصيدة «هبوط عشتار إلى العالم الأسفل» يرد المقطع التالي

ثم التفتت {أريشكيجال} إلى وزيرها نمتار قائلة

إمضِ يا نمتار واقرع باب الـ {الإيجالجينا}

زيّن العتبة بحجر الإيريتو

استدعِ الأنوناكي ودعهم يجلسون على عروشهم الذهبية

ثم انضح عشتار بمياه الحياة وخذها بعيدًا عني {4}.

لقد احتار المؤرخون في تحديد دلالة «حجر الإيريتو»، فهل كان مجرد حجر للزينة، أم انه كان لا بدَّ من

اعتماد مياه الحياة والحرارة المنبعثة عن حجر الإيريتو لكي تستعيد عشتار الحياة وتعود من العالم الأسفل؟

حين نعود إلى «لسان العرب» نجد في المصدر «يرر» القول حجر أيرّ أي صلدٌ صلب. يقال صخرةٌ يرّاء وحجر أيرّ. وفي حديث لقمان عليه السلام: إنه ليبصر أثر الذرّ في الحجر الأيرّ. والأيَر: الصفا الشديد الصلابة، والجمع يُرّ. واليرّةُ: النار. وإذا حميت الشمس على حجر أو شيء غيره صلب فلزمته حرارة شديدة يقال: إنه لحارٌّ يارٌّ. ولا يقالُ لماءٍ ولا طين إلا لشيء صلب. وحرَّان يرَّان إتباع. فإذا كان اسم آرثر مأخوذًا من الكلمة السلتية arto بمعنى الحجر فإن اسمه أرتور يعني عندئذ الحجر الصلب، كما أنه يعني أيضًا الحجر الحار. وهذا ما يتفق مع تلك الأساطير السلتية التي تتعامل مع آرثر كإله قديم وليس كملك. ومع ذلك فإن الصلة بين اسم آرثور والدب قد تجد ما يشير إليها، فاسم يرتة في اللاذقية قد يكون أقرب إلى الدبة، كما

أن بين المواقع الموجودة في منطقة الخليل خربة أبي الدبة في حلحول.

3 – يرد المصدر «أرث» في العربية بدلالات عديدة، منها التأريث: إيقاد النار، والإرات والأريث: النار. والإرث: الأصل، والإرث: الميراث. والإرث من الشيء: البقية من أصله، والجمع إراث. والأرثة: الأكمة الحمراء. ويمكن لاسم آرثر أن يكون قد قصد به العديد من هذه المعاني. ولكننا نفضل الاقتصار على دلالة النار. فهذه الدلالة تتفق مع شخصية آرثر كإله شمسي يتمثل دوره في تسخين الأرض.

4 – لدينا في المنطقة العربية العديد من المواقع القديمة التي حملت أسماء مشتقة من المصدر «أرث» أو «أرت» منها

1 – أريتان: مدينة في فلسطين.

2 - أرياثة: مدينة في حوران {إيريتة في النقوش}.

3 – أرثوزا Aretus وهي الرستن الآن.

4 – إيريتوم أو إيريتة: مدينة قرب حران على نهر البليخ يرد ذكرها في نصوص إيبلا.

5 – يرتة: قرية في محافظة اللاذقية.

6 – أرثد: واد بين مكة والمدينة في وادي الأبواء. والواقع أن دلالته اللغوية ترجح صلته بآرثور، إذ يقال احتفر القوم حتى أرثدوا أي بلغوا الثرى، فكأنها من دلالة اسم آرثور بمعنى الحارث.

7 – إرطاس: جنوب غرب بيت لحم على بعد 4 كم منها. ويقال إنها تعني باللاتينية الحدائق والبساتين.

8 – ياروثة: بلدة في لبنان.

9 – ياريثا: بلدة في لبنان.

10- روثان: مدينة قديمة خربة بين الجوف ومأرب كانت لحمير ثم سكنها مراد ثم حمدان.

11- ريث: أبو حي من قيس وهو ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان.

12- روثة: بلد في ديار بني أسد.

13– ريث: موضع في ديار طيء حيث يلتقي طيء وأسد.

14- الريث: جبل لبني قشير على سمت حائل والمروت بين مرأة والفلج إذا خرجت من مرأة معترضًا في ديار بني كعب.

15- أرتل: حصن أو قرية باليمن من حازة بني شهاب.

16- أرطوسة: مزرعة أرطوسة في لبنان. وهي تسمية حيَّرت الباحثين. ولكن من المرجح أنها منسوبة إلى آرثور بصيغة تسميته البدئية أرث / أرط / أرطوس، وهي الصيغة التي بقيت أيضًا في اسم أرطاس بفلسطين.

ويرد اسم الأرث في أياس بن الأرث وخبان بن الأرث في اليمن.

ومما يذكره (هيرودوت) في تاريخه أن العرب كانوا يعبدون إلهين فقط هما: (ديونيسيوس وأورانيا). ويقولون إن أسلوبهم في حلاقة شعرهم بشكل دائري وحلاقة الشعر في منطقة الصدغين هو محاكاة لديونيسيوس وهو في لغتهم أوروتال، أما أورانيا فهي اللات{5}. وينتصب اسم أوروتـــال هنا ليبدو لغزًا حقيقيًا. فهل هو اسم مركب من لفظة جذرها {أرت} وأضيفت إليه لفظة {إيل}؟. وبتعبير آخر: هل كان آرثور إلهًا عربيًا معبودًا على نطاق واسع في زمن (هيرودوت) ويعرف بصيغة «أرت ءل» أم أن الأمر كان يتعلق بقبيلة معينة فاعتقد (هيرودوت) أنها تشمل الجميع؟. الواقع أن ما أورده (ياقوت) يؤكد صحة رواية (هيرودوت) – ولو جزئيًا – إذ يورد اسم موقع أرْتُل الذي هو طبق الأصل عن أوروتال، ويقول إنه حصن أو قرية باليمن من حازة بني شهاب. ومن الواضح أن الاسم هاجر إلى أماكن بعيدة، ومن ذلك

ذكر أرتيان على أنها قرية من نواحي أستوا من أعمال نيسابور.

وعودة إلى آرثور. يتأكد أن جذر اسمه هو {أرث} أو {حرث} من تسمية أحد فصول السنة بفصل أرثان {أرثور}. وهنا نستطيع في الواقع اعتماد مختلف الدلالات من خلال الأساطير المتعلقة بآرثور كإله، ومن بينها دلالة {الحارث}، مما يتفق أيضًا مع وصف آرثور بالإنسان الأول حرَّاث حديقة الأرض.. لكن كلمة أرثان أيضًا يمكن أن تكون مشتقة من المصدر {أرَّث} في العربية، حيث أرَّث النارأوقدها. ويقال: أرَّث بين القوم: أغرى بعضهم ببعض. وبين الأرضين: جعل بينهما فاصلًا. والإراث: ما تشعلُ به النار. والنميمة. والإرث: بقية الشيء والميراث والرماد. والأمر القديم توارثه الآخر عن الأول. والأرثةُ: الوقود. والحد الفاصل بين الأرضين{6}. وما يرجح أن يكون اسم آرثور مشتقًا من هذه الدلالة هي المعاني المحتملة للمقطع {أر} في نهاية اسمه ومنها

1 - أر Ar مثل هر Her شكلان لمعنى من جذر واحد يعنيان arian أي شريف في اللغات الآرية.

2 - أر Ar بدلالتها في اللغة الحورية، وتعني: يعطي.

3 - يفترض كثير من العلماء أن مقطع {آر} الذي تنتهي به تسميات العديد من الشعوب هو كلمة تعني الإنسان{7}. والواقع أن هذه الدلالة واردة في العربية من خلال كلمة «الورى» التي تعني الخلق، ولعل كلمة وري هي الصيغة الإيرلندية الأقدم uiros، وقد رأينا في تفسير كلمة Art-ur بأنها تعني الرجل الدب أن لفظة «أر» فسرت بأنها تعني رجلًا أو شخصًا.

4 - أرَّ في اللغة العربية تعني أوقد. والإرَة: النار{8}. وبذلك، فإنها تبدو على ارتباط وثيق مع لفظة {أرَّث}.

5 - يذكر أن «أر» = أرى الهيروغليفية تعني حارس. وهنا نلاحظ التداخل بين حارث وحارس.

وثمة مواقع عديدة قد تكون أسماؤها مشتقة من لفظة {أر} منها: آرة بالأندلس وآرة بالبحرين، وآرة جبل

بالحجاز بين مكة والمدينة يقابل قدسًا، من أشمخ ما يكون من الجبال، أحمر، تخرج من جوانبه عيون على كل عين قرية. وواديها يصب في الأبواء ثم في ودان{9}. وهناك {إرار} اسم وادٍ، و{أرّار} من نواحي حلب{10}. وبيت آرة في حوض اليرموك بمحافظة درعا، وآر اسم أرض تقع بين المزة وداريا بجوار دمشق.

والواقع أنه أيًا كان المعنى الذي نختاره من بين المعاني السابقة، فإن ما هو أرجح أن آرثور هو الإله الذي يعطي الحرارة، أو أنه هو الحرارة الناجمة عن الشمس في حدّ ذاتها.

ولكن الدلالات المتعلقة باسم آرثور، على تشعبها، يمكن استخلاصها من دلالات المصدر «حرث» الذي منه اسم الحارث. يرد في «لسان العرب»: الحرث والحراثةُ: العمل في الأرض زرعًا كان أو غرسًا، وقد يكون الحرث نفس الزرع وبه فسّر الزجّاج قوله تعالى:{أَصَابَتْ حَرثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ}. حرث يحرث حرثًا: الأزهري: الحرث قذفك الحبّ في الأرض لازدراع.

والحرث: الزرع. والحراث: الزراع. والحرث: الكسب. وفي الحديث: أصدق الأسماء الحارث، لأن الحارث هو الكاسب. واحترث المال: كسبه، والإنسان لا يخلو من الكسب طبعًا واختيارًا. الأزهري: والاحتراث كسبُ المال. والحرث: العمل للدنيا والآخرة. وفي الحديث: أحرث لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا. الأزهري: حرث الرجل: إذا جمع بين أربع نسوة. وحرث أيضًا إذا تفقه وفتَّش. وحرثت النار: حركتها. والمحراث: خشبة تحرك بها النار في التنور. والحرث: إشعال النار. ومحراث الحرب: ما يهيجها. وحرث الأمر: تذكره واهتاج له. وقد حرثت القوس أحرثها إذا هيَّأت موضعًا لعروة الوتر. إبن سيدة: والحراث مجرى الوتر في القوس، وجمعه أحرثة. والحراث: السهم قبل أن يراش. والجارث: اسمٌ. قال الخليل إن الذين قالوا الحرث، إنما أرادوا أن يجعلوا الرجل هو الشيء بعينه، ولم يجعلوه سميًا به، ولكنهم جعلوه كأنه وصف له غلب عليه. وجمعه الحرث والحُرّاث. وجمع حارث حُرْثٌ وحوارث. قال سيبويه:

ومن قال حارث، قال في جمعه حوارث. وحويرث، وحرَيث، وحُرثان، وحارثة، وحرّات، ومحرّثأسماء.

وأبو الحارث: كنية الأسد. والحارث: قلة من قلل الجولان. وهو جبل بالشام في قول النابغة الذبياني يرثي النعمان بن المنذر

بكى حارثُ الجولانِ من فقدِ ربّهِ

وحورانُ منه خائفٌ متضائلُ{11}.

ومن المواقع التي تحمل اسم الحارث في فلسطيـــــن «سيلة الحارثية» و«كفل حارث» و«الحارثية». وبنو الحارث قبيلة باليمن تقع ديارها في خمسة أقسام، وهي أماكن غنية بالزروع، كما أنها غنية بآثار السخميين نسبة إلى الإله سخم. ويتواجد بنو الحارث شمال صنعاء مثلما يتواجدون في نجران. وحرث قبيلة يمنية سكنت جنوب اليمن وورد ذكرها في نقوش المسند مع قبائل دوأت.

و«الحارث» و«الحويرث» جبلان بأرمينية، فوقهما قبور ملوك أرمينية ومعهم ذخائرهم، وقيل إن بليناس الحكيم طلسم عليها لئلا يظفر بها أحد فما يقدر إنسان يصعد الجبل. وقال المدائني: جبلا الحارث والحويرث اللذان بدبيل سمِّيا بالحويرث بن عقبة والحارث بن عمرو الغنويين، وكانا مع سلمان بن ربيعة بأرمينية، وهما أول من دخل هذين الجبلين فسميا بهما. وروى (ابن الفقيه) أنه كان على نهر الرس بأرمينية ألف مدينة فبعث الله إليهم نبيًا يقال له موسى وليس بموسى ابن عمران، فدعاهم إلى الله والإيمان فكذبوه وجحدوه وعصوا أمره فدعا عليهم، فحوَّل الله الحارث والحويرث من الطائف فأرسلهما عليهم، فيقال: إن أهل الرس تحت هذين الجبلين{12}. ولنلاحظ هنا أن تسمية أهل الرس قد تكون لها علاقة باسم آرثر ولكننا نرجئ مناقشة هذا الاحتمال.

وهناك أسطورة من اليمن تدور حول مخلوق اسمه «حرَث» لا تختلف ملامحه عن آلهة العالم السفلي عند السلت. وهي ترد نقلًا عن هشام بن محمد الكلبي عن

أبيه أنه قال: كان ذو حرث الحميري وهو أبو عبد كلال مثوَّب ذو حَرَث، وكان من أهل بيت الملك، صاحب صيد. ولم يملك ولم يعلُ وثابًا ولم يلبس مصيرًا. الوثاب: السرير. والمصير: التاج بلغة حمير. وكان سيَّاحًا يطوف في البلاد ومعه ذؤبان من ذؤبان اليمن يغير بها فيأكل ويؤكل. فأوغل في بعض أيامه في بلاد اليمن فهجم على بلد أفيح كثير الرياض ذي أودات ذات نحل وأغيال، فأمر أصحابه بالنزول وقال: يا قوم إن لهذا البلد شأنًا وإنه ليرغب في مثله لما أرى من غياضه ورياضه وانفتاق أطرافه وتقاذف أرجائه ولا أرى أنيسًا ولست برائم حتى أعرف لأية علة تحامته الرواد مع هذا الصيد الذي قد تجنبه الطراد، ونزل وألقى بقاعه وأمر قنّاصه فبثوا كلابه وصقوره. وأقبلت الكلاب تتبع الظباء والشاء من الصيران فلا تلبث أن ترجع كاسعة بأذنابها تُضيءُ وتلوذ بأطراف القنّاص، وكذلك الصقور تحوم فإذا كسرت على صيدٍ انثنت راجعة على ما والاها من الشجر فتكتبثُ فيه. فعجب من ذلك وراعه. فقال له أصحابه: أبيت اللعن، إننا ممنوعون، وإن لهذه الأرض جماعة من غير الإنس

فارحل بنا عنها، فلجّ وأقسم بآلهته لا يريم حتى يعرف شأنها أو يخترم دون ذلك. فبات على تلك الحال، فلما أصبح قال له أصحابه: أبيت اللعن، إنا قد سمعنا ألوتك وأنفسنا دون نفسك فأذن لنا أن ننفض الأرض لنقف على ما آليت عليه، فأمرهم فتفرقوا ثلاثًا في رجالهم، وركب في ذوي النجدة منهم وأمرهم أن تعشوا بالإحلال، فإذا أمسوا شبوا النار فخرج مشرّقًا فآب وقد طفل العشيَّ ولم يحسّ ركزًا ولا أبْنَ أثرًا. فلما أصبح في اليوم فعل فعله بالأمس وخرج مغربًا فسار غير بعيد حتى هجم على عين عظيمة يطيف بها عرين وغابٌ وتكتنفها ثلاثة أنداد عظام، والأنداد جمع ند، وهو الأكمة لا تبلغ أن تكون جبلا، وإذا على شريعتها بيت رضيم بالصخر، وحوله من مسوك الوحوش وعظامها كالتلال فهنَّ بين رميم وصليب وغريض. فبينما هو كذلك إذ أبصر شخصًا كجماء الفحل المقرَّم قد تجلل بشعره وذلاذله تنوس على عطفه وبيده سيف كاللجة الخضراء. ونفصت عنه الخيل وأصرَّت بآذانها ونفضت بأبوالها. قال: ونحن محرنجمون فنادينا وقلنا: من أنت؟ فأقبل يلاحظنا كالقرم الصؤول

ثم وثب كوثبة الفهد على أدنانا إليه فضربه ضربة قطّ عجز فرسه وثنّى بالفارس وجزله جزلتين. فقال القيل، يعني الملكليلحق فارسان برجالنا فليأتينا منهم بعشرين راميًا فإنا مشفقون على فلت من هذا، فلم يلبث أن أقبلت الرجال ففرقهم على النداد الثلاثة وقال: حشوه بالنبل فإن طلع عليكم فدهدهوا عليه الصخر وتحمل عليه الخيل من ورائه، ثم نزقنا خيلنا للحملة عليه وإنها لتشمئز عنه. وأقبل يدنو ويختل وكلما خالطه سهم أمرَّ عليه يده فكسره في لحمه، ثم درا فرسًا آخر فضربه فقطع فخذه بسرجه وما تحت السرج من فرسه، فصاح القيل بخيله: افترقوا ثلاث فرق واحملوا عليه من أقطاره، ثم صاح به القيل: من أنت؟ ويلك! فقال بصوت كالرعـــد: أنا حُرَث لا أُراعُ ولا أُحاثُ ولا أُلاعُ ولا أُكرَثُ، فمن أنت؟ فقال: أنا مُثوَّب، فقال: وإنك لهوا! قال: نعم. فقهقر ثم قال: أم يوم انقضت أم مدة وبلغت نهايتها أم عدة لك كانت هذه أم سرارة ممنوعة. هذه لغة لبعض اليمن يبدلون اللام وهي لام التعريف ميمًا. يريد اليوم انقضت المدة وبلغت نهايتها العدة لك كانت هذه السرارة ممنوعة ثم

جلس ينزع النبل من بدنه وألقى نفسه، فقال بعضنا للقيل: قد استسلم، فقال: كلا ولكنه قد اعترف، دعوه فإنه ميت، فقال: عهد عليكم لتحفرنني، فقال القيل: أكد عهد. ثم كبا لوجهه فأقبلنا إليه فإذا هو ميت، فأخذنا السيف فما أطاق أحد منا أن يحمله على عاتقه، وأمر مثوب فحفر له أخدود وألقيناه فيه. واتخذ مثوَّب تلك الأرض منزلًا وسماها حُرَث وهو ذو حُرث. قال هشام: ووجدوا صخرة عظيمة على ند من تلك الندود مزبورًا فيها بالمسند: باسمك أم إله من سلف ومن غبر إنك الملك أم كبّار أم خالق أم جبار ملكنا هذه أم مدرة وحمى لنا أقطارها وأصبارها وأسرابها وحيطانها وعيونها وصيرانها إلى انتهاء عدة وانقضاء مدة، ثم يظهر عليها أم غلام ذو أم باع أم رحب وأم مضاء وأم عضب فيتخذها معمرًا أعصرًا ثم تجوز كما بدت وكل مرتقب قريب ولا بد من فقدان أم موجود وخراب أم معمور وإلى فناء ممار أم أشياء وهلك عوار{13}.

إن هذه الأسطورة لا تختلف في بنيتها عمليًا عن أساطير السلت وما فيها من دلالات. وإذا كان حُرَث {آرثور اليمن = الحارث} قد سلم الأرض التي حماها للقيل، فإن آرثور السلتي قد اختفى في أفالون على أمل أن يعود لاستعادة الأرض التي فقدها السلت في وقت لاحق. وإن وصف المكان الذي كان يحميه حُرث لا يختلف عن موقع عويث وعنويث المبني بالهياكل العظمية.

وثمة أسطورة أخرى يمنية تدور حول «الحارث»، هي أسطورة الحارث الصعب ذي القرنين الذي غزا مغارب الأرض ومشارقها، وعاونه في غزواته نبي له بعض ملامح مرلين {مرضن} هو الخضر الذي شرب من ماء الحياة، بينما مات الحارث الصعب في حنو قراقر من أرض برقة رحرحان من أرض العراق. ولنلاحظ أن الحارث الصعب إنما سعى وراء الأسباب، أي المعرفة، مما يتقاطع مع دلالة الكأس المقدسة {الغرال} في أسطورة آرثور.

هل يعني ذلك أن اسم آرثور كان الحارث أو حُرث؟.

دعونا نقول إنه مجرد احتمال. فإذا كان الاسم قد تمظهر عند السلت في أوروبا بأشكال متعددة منها: أرت، وأرتوس، وأرطو، وأرث، وأرتور، فمن الممكن أن يكون قد تمظهر عندنا بصيغ منها أوروتال، وحرث، والحارث، وأرثة أو أرسة. وهذا أحمد عيد حين يتناول أرض «يرث» أو «يرس» الواردة في المدونات المصرية القديمة، يقول إنها اليوم بلاد «يريس» في أسفل جبل حضور، وهو جبل شامخ غربي صنعاء بمسافة 18كم وعليه مسجد وقبر النبي شعيب، ولذا يدعى بجبل النبي شعيب{14}. وفي موضع آخر يقول عن بلاد «أرسا» أو «يرث» في حروب سيتي الأول بأن أرسّ موضع، وأن أروسا وأروس بلدة خربة من جبل الصلو في بلاد الحجرية، وأن «يرث» هي «يريس» من عزلة الكلاع ثم من جبل حبيش{15}. وفي قصة معركة قادش لرمسيس الثاني يرد ذكر بلاد «أرثو» كمكان. وسواء كانت هذه البلاد في اليمن أو في بلاد الشام فإن الاستنتاج واحد، وهو أن مصدر اسم آرثور وهو «أرث» كان قائمًا في المنطقة العربية قبل أن ينتقل إلى الغرب مع السلت.

هوامش

{1} Arthur، عن موقع wikipedia، الإنترنت.

{2} Graig Chalquist; celtic Deities and Mythic Figures. عن الإنترنت.

{3} موري هوب، السحر السلتي العملي، ص 60.

{4} فراس السواح، لغز عشتار، ص 89.

{5} هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ص 220.

{6} المعجم الوسيط، ص ص 12 و13.

{7} برومليه وبودولني، الأثنوس والتاريخ، ص 69.

{8} المعجم الوسيط، ص 13.

{9} ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 52.

{10} م. ن، ص 134.

{11} لسان العرب، ج 1، ص ص 782 و783.

{12} ياقوت، م. س، ج 2، ص 205.

{13} م. ن، ص ص 238 و239.

{14} أحمد عيد،، ص 140.

{15} م. ن، ص 106.

6 – الرموز الآرثورية

تنطوي السيرة المتعلقة بآرثور على جملة من العناصر الأساسية التي لا بدَّ لنا من تفكيكها، وعزلها عن بعضها البعض، قبل أن نتمكن من تشكيل الرؤية الكليَّة حولها، ذلك أن لكلِّ عنصرٍ من هذه العناصر وظيفته الخاصة في الأسطورة

أولًا: السيف

من الأمور المألوفة في الميثولوجيا السلتية أن يحظى الآلهة والأبطال على هدايا إلهية تمنحهم قدرات فائقة. وفيما يتعلق بـ{آرثور} فإن أول هذه الهدايا تتمثل في سيف آرثور السحري كاليبورن Caliborn {وهو في اللغة الويلزية قَلادولج Caladvwlch}، والذي عرف مؤخرًا باسم إكسكاليبور Excalibur. وقد ذكر من قبل جيوفري الذي يصفه على أنه صنع في أفالون، مدَّعيًا أنه كان جاء من «أرض الجن» أو مــن «أرض الموت»{1}.

ويرى بعضهم أن هذا السيف هو الذي نجح آرثور في انتزاعه من الصخرة. فعندما مات الملك أثير بن دراغون، تاه فرسان الطاولة المستديرة بدون إدارة، واتجهوا إلى مرلين لإرشادهم. وقد أخبرهم مرلين عن سيف سحري ظهر في لندن، وقال: إن الشخص الذي يستطيع سحب السيف من الحجر الذي كان يلتصق به هو الذي ينبغي أن يقودهم وهو الابن الحقيقي لأثير. ولسنوات، حاول كثيرٌ من الفرسان تحريك السيف دون نجاح، وبعد ذلك جاء آرثور إلى لندن. وحاول الوصيُّ عليه والمكلف من قبل مرلين زحزحة السيف، ولكنه لم يستطع. وجاء آرثور مقتربًا من السيف السحري ليجرب، سحب السيف من الصخرة وإعطائه للوصي. وكانت المفاجأة أنه الوحيد الذي استطاع سحب السيف. ولكن طبقاً لرؤية أخرى في الليجندة، فإن السيف أُعطي له من «سيدة البحيرة». وبذلك، فإن آرثور يمتلك قوى سحرية لها علاقة مع نوادا الدانان، وهديته التي مصدرها الجن، ومع ما تملـــكه مانانـــان من لوغ. وسيدة البحيرة هي بالتأكيد واحدة من

النساء الثلاث اللواتي نقلن آرثورإلى أفالون. وهؤلاء بدورهن هن الشخصيات المثلثة للإلهة{2}.

وتقول موري هوب: إن السيوف أو الأسلحة المقدسة للحرب قديمة قدم الزمان. وفي النهاية، أحضر التوثا دو دانان واحدًا منها إلى إيرلندا كهدية، هذا إذا كان لنا أن نصدِّق توان صاحب الذاكرة الطويلة. والسيف عندئذ هو رمز لطاقة مخادعة لا يمكن وصفها بمصطلحات جاهزة منطوقة مفهومة بشكل مباشر. ولكثير من الناس في الأزمنة السالفة، فإن السيف يمثل السلاح المتعلق بكل من التدمير أو النصر. وهكذا، فهو في يد الرجل الطيِّب يمثل قوة أو طاقة يمكن تفاديها أو التفاهم معها بسهولة، وترى أن إكسكاليبور هو قوة مرلين الواضحة في المادة أو الحدث، بينما مرلين نفسه هو القوة السحرية أو شعاع العقيدة الذي يلون نفسية المجتمع{3}.

والواقع إن تجهيزات آرثور من الأسلحة أعطيت تسميات خاصة. فالحربة العائدة له أعطيت اسم رون Ron، بينما أسميت خوذته بالأوزة البيضاء

Goosewhite وسُمي درعه بردوين Pridwen، والذي وصف أيضًا بالعذراء مريم. وأما حصانه فكان يدعى عابر الأرض 4}Passelande}.

بما أن سيف آرثور جاءه من مكان خفي حسب الأسطورة، كان لا بد من إعادته إلى ذلك المكان في نهاية المطاف، وعند اختفاء آرثور، بحيث لم يعد ممكنًا نقله إلى حوزة ملك آخر. ولعله لهذا السبب بالذات جرى ابتكار أسطورة «سيدة البحيرة».

يشير آدم ليفين إلى عمل متعدد الاهتمــام نشر تحت عنوان «دائرة فولغيت Vulgate»، وفيه نجد بدايةً لليجندة «سيدة البحيرة» مع أنها في هذه النقطة مجرد ذراع أتت من المياه لأخذ سيف آرثور إكسكاليبور من غيرفلت Girflet. فبعد أن أثخن آرثور بالجراح، طلب من (غيرفلت) تدبُر السيف. وبعد محاولتين أخفق فيهما في رمي السيــف «رماه في البحيرة، كأبعد وأعمق ما استطاع. وما إن سقط قرب الماء رأى يدًا تخرج من البحيرة وصعدت حتى المرفق. ولكنه لم يرَ شيئًا من الجسم الذي تخصُّه اليد.

اليد أمسكت بالسيف من المقبض ولوَّحت به في الهواء ثلاث أو أربع مرات. وحين رأى (غيرفلت) ذلك بوضوح، اختفت اليد في المــاء مع السيف». والملك عندئذٍ صرفَ (غيرفلت) وانتظر موتَه{5}.

وهكذا نجد أن سيف آرثور هو أسطورة مختلقة بدءًا ونهاية، ليس لها أي أساس تاريخي. ومن الممكن أن يكون هذا الجزء من الأسطورة عائدًا للعصور الوسطى وليس متضمنًا في الأسطورة العائدة إلى ميتا الأصول. ذلك أن ظهور السيف وغيابه، وظهور آرثور وغيابه، يرمز إلى الفرصة الأخيرة لاستجماع قوة القوم ثم اندحارهم بعد أن فشلوا في الاستفادة من هذه الفرصة حتى النهاية.

لا يمنعنا الاستنتاج السابق من المقاربة اللغوية لاسم السيف في الأسطورة. وهنا تبدو الصيغة الويلزية Caladvwlch هي الأقرب إلى اللغة العربية، ففي اللغة السلتية ترد كلمة kledo وkladimo بمعنى السيف. وفي العربيةقلد فلانًا السيف: ألقى حمالته في عنقه. وقلَّد فلانًا نعمة: أعطاه عطية أو أسدى إليه

معروفًا. وتقلد السيف: علقه عليه. والأمر: احتمله. والمقلد: موضع نجاد السيـف على المنكبيـن. وأما كلمـة vwlch وتقرأ «ولج»، فهي من المصدر «ولج».

وأما التسمية البريتونية Calibur فهي مركبة من kalgo بمعنى سيف أو kaleto بمعنى صلب وborro بمعنى كبير. وقد انتهت هذه الكلمة في اللغـات الأوروبيـة لتعني العيار أو قطر عيار المدفع أو القذيفة وهي في الانجليزية caliber وفي الفرنسية calibre وفي الإيطالية calibro.

من الطريف القول إن السيف الملتصق بالصخرة في قصة آرثور لها ما يشبهها في مدينة آمد أعظم مدن ديار بكر، حيث يورد ياقوت قول ابن الفقيه إنه في بعض شعاب بلد آمد جبلًا فيه صدع، وفي ذلك الصدع سيف. من أدخل يده في ذلك الصدع وقبض على قائم السيف بكلتا يديه، اضطرب السيف في يده، وأُرعد هو ولو كان من أشدّ الناس. وهذا السيف يجذب الحديد أكثر من جذب المغناطيس. وكذا إذا حك به سيف أو سكين، جذبا الحديد. والحجارة التى فى ذلك الصدع

لا تجذب الحديد، ولو بقي السيف الذي يُحكّ به مائة سنة، ما نقصت القوة التي فيه من الجذب. وواضح أن قصة هذا السيف لا تحتاج إلا إلى آرثور جديد يسحب السيف من الصدع دون أن تصيبه الرعدة.

ثانيًا: التنّين

كان رمز آرثور بشكل معتاد هو «التنين الأحمر»، مثل ذلك الذي لأبيه {أثر} والذي كان له لقب بن دراغون متصلًا باسمه {مع أنه في نبوءات مرلين، فإن التنين الأحمر يرمز إلى البريتون، بينما التنين الأبيض يمثل الغزاة السكسون}. ومع ذلك، فإن رمز آرثور كان أيضًا دب كورنوول، وخاصةً في قلعة تنتاغل Tentagel التي كانت مكان ولادته.

قبل أن يتخذ البريتون من التنين الأحمر رمزًا، عرف هذا التنين في سومر تحت اسم «موشخوشو»، وأصلها «موش خوش» وتعني التنين الأحمر الناري، وهو كائن له رأس أفعى بقرنين، وجسم مغطى بحراشف أفعى، وقائمتان أماميتان على شكل مخالب

أسد، وقائمتان خلفيتان على شكل مخالب نسر، وذيل عقرب. وهو من الكائنات التي أوجدتها تيامات ضمن المخلوقات العملاقة لتجهز بها حملتها ضد الآلهة وهو شعار الإله مردوخ. وقد اتخذه شعارًا بعد أن استطاع أن يقهره ويتغلب عليه{6}.

يقول الأستاذ فراس السواح إن أسطورة التنين كانت شائعة في كل مناطق الشرق القديم، كما أنها شائعة في معظم الأساطير العالمية. الأمر الذي يجعل ربطها برمز معين على قدر كبير من الصعوبة، دون الوقوع في ورطة التعميم وأحادية النظرة. ولكن التفسير النفساني يبدو مغرياُ وجذابًا، خصوصًا إذا علمنا أن التفسير التاريخي لا تثبته الوقائع المستمدة من الأنثروبولوجيا والتاريخ الطبيعي. ذلك أن ظهور الإنسان قد تأخّر فترة زمنية كبيرة عن زمن انقراض الديناصورات الضخمة، التي سيطرت على الأرض فترة لا بأس بها من الزمن. فشاء حسن حظه ألا يجتمع بها أو يراها، إلا هياكل عظمية في متاحف العصر الحديث. وعلى هذا إذا اتبعنا المنطق الفرويدي، نستطيع النظر

إلى هذه التنانين باعتبارها تمثيلًا لقوى اللاشعور الفردي الذي يضطرم على الدوام بكل ما يناقض الوضع الحضاري للإنسان، تلك القوى التي تحاول دومًا اقتحام عالم اللاشعور. وهنا نستطيع اعتبار البطل الذي يقهر التنين بمثابة الفرد السويّ داخل المجتمع، الذي يستطيع كبح جماح لاشعوره والسيطرة عليه ليحيا متوازنًا مع قيم الجماعة. أما إذا اتبعنا المنطق اليونغي، فإننا ننظر إلى عملية الصراع مع التنين باعتبارها عملية بناء للشخصية الفردية يتخلص الفرد من خلالها من تأثيرات الطفولة واعتماده على شخص الأم{7}.

ونحن من جانبنا نميل إلى الاعتقاد بأن مفهوم التنين يرتبط بمفهوم الصراع في الطبيعة ووجود قوى مدمِّرة في إطار هذا الصراع، وحاجة الإنسان المستمرة إلى إيجاد الوسيلة الملائمة لمواجهة هذه القوانين. والواقع أنه رغم كل وسائل القوة التي ابتكرها الإنسان فإنه بقي عاجزًا عن مواجهة بعض مظاهر غضب الطبيعة مثل الزلازل والبراكين والأعاصير.

إن «التنين» عند سكان الساحل السوري مثلًا، يتمثل في دوامة هوائية مشبعة ببخار الماء تتشكل فوق مياه البحر، ويمكن ملاحظة تشكلها وحركتها، وهي تتقدم نحو الساحل. وإذا ما اصطدمت بالجبل ألحقت الأذى بالمزروعات. وهذه الظاهرة تتكرر بشكل دائم، ولم تعد تشكل حدثًا مهمًا يلفت الانتباه. أو لنقل إن الإنسان مقتنع بالاستسلام إزاءها ما لم يبتدع وسيلة تقيه أذاها. فإن تغلب عليها قهر «التنين».

في الماضي، كان الناس يؤمنون بوجود أرواح للطبيعة، ويعتقدون أن هذه الأرواح الخيّرة أو الشريرة هي التي تتحكم بالظواهر الطبيعية الإيجابية منها والسلبية. واجتهدوا في تصوير هذه الأرواح غير المرئية بصور محببة أو مثيرة للفزع. وربما أسهمت الأحلام في تغذية الخيال البشري، خاصة وأن الإنسان اعتقد بأن الأحلام وسيلة اتصال مع الآلهة. ومع ذلك، فإن الصور النمطية التي ابتدعها خيال الإنسان جاءت مركبة من عناصر يراها في الطبيعة، هي تلك التي أبدعها الخالق. ففي تصوّره للتنين أراد خيال الإنسان أن يبتكر صورة

مخلوق يجمع بين أهم ملامح المخلوقات التي يراها قوية وبشعة ومؤذية، وأن يطلق على هذا المخلوق اسم «التنين»، مع العلم أنه أطلق عليه أسماءً أخرى كثيرة غير هذا الاسم. ولكن هذه الأسماء ظلت محاصرة في بيئتها، واختفت معظمها من التداول أو بات تداولها محصورًا مثل اسم دراغون الذي أخذه البريطانيون عن السلت. والـ dragon في الانجليزية: حيوان خرافي له جسم أفعى وأجنحة ومخالب حادة، ويخرج اللهب من فمه. تنين. برج الحوت {في الفلك}.

ما الذي تعنيه إضافة خيال الإنسان المتمثلة في حيوان يخرج اللهب من فمه؟

هناك من يرى أنه من «تن» بمعنى الدخان الكثيف المتلوي المتصاعد، كانت كلمة «تنين» في العربية القديمة إذ شبَّهوا البركان بوحش خرافي ينفث الدخان والنار{8}. وإن صحَّ هذا، فهو يعني أنَّ من أطلقوا على التنين هذا الاسم، وصوروه بتلك الصورة، عانوا في بلادهم من ثورات بركانية نشيطة أوحت لهم بهذا التصوِّر.

لكنَّ هذا التصوُّر الذي يمثل طرفًا واحدًا من المشهد، اكتسب عند السلت صورةً أكثر تجريدًا. وسنرى أن هذه الصورة المجردة تركت تأثيرها الملموس سواء على اللغة العربية أو على اللغات الأوروبية.

يقول الأستاذان (لو روا وغويونفارش) «لاحظنا مثلًا أن أغطية قراب السيوف المزخرفة بالتنين المواجه التي يشمل توزيعها على مساحة كبيرة من أوروبا، من السين إلى الدانوب إلى إيطاليا ويوغوسلافيا وترانسلفانيا، مع كثيرٌ من الوقائع المدروسة في هنغاريا {الزخارف موجودة أيضًا على قبعات}. إن التنوع في التفاصيل لا يفسد الوحدة الأساسية للزخرف. وهذا يتبدّى بكلابين متقابلين. والتطور يتم سواء نحو قيثارات بشكل هيئة حيوان أو بشكل تنين أو عنقاء. وهي دومًا بالوضع الوجهي. ولكنها معزولة نهائيًا بواسطة خط عمودي عريض يعتبر كتخطيط منشّط للشجرة الكونية. وعلى لوحة من أوترتش، وبين صورتين متجابهتين على شكل الهيئة الخارجية لحيوان، برز بشكل بشري مرسَّم يبدو ممسكًا رأس كل

من الحيوانين. وللوهلة الأولى، ودون أن نستخلص من ذلك أي مغزى محدد. ويشمل الزخرف المعدني المنتشر ضمن نطاق واسع جدًا، سواء كان من أصل يوناني أو سيتيكي أو من جهة الرسم التخطيطي، فكرة التنين وملك الحيوانات حسب التقليد الغالي والرواية الإيرلندية المتمثلة في مفهوم «رعاة الخنازير». ومنها المستندات الآثارية لدى (ألاين بولارد) حول زوج الحيوانات الخيالية المنقوشة على قرابات السيوف اللاتينية والفن السلتي في زمن الازدهار خلال القرنين الثالث والرابع ق.م، ثم المذكرات حول القرابات المزخرفة للتنين وزوج الطيور{9}.

يكفي ونحن نقرأ مثل هذا الوصف أن نتذكر الأساور المسماة في بلادنا بـ «الحية»، وهي من أكثر أنواع المصاغ شيوعًا. هنا توجد حيتان التفتا حول بعضهما ورأساهما متقابلان.

إن هذه الأشكال من الصياغة أو التشكيل للمعادن أوالرسم من شأنها أن تخرجنا من دائرة التفكير في المعنى المجرد للتنين، إلى البحث في دائرة العلاقة

بين التن والتنين، وما يشير إليه خط التماس بينهما، وما يترتب على انتهاك هذا الخط حين يقع الاشتباك.

في اللغة العربية: تانَّ بينهما: قابل وقايس. التنُّ: المثلُ والقرنُ. والشخص {ج} اتنان{10}.

ونظنَّ أن في هذه المعاني ما يشرح تمامًا الزخارف السلتية الموصوفة. فالتضاد في الطبيعة هو صراعٌ بين «التن» و«التنين» حتى وإنُ كان التنينُ أو التنَّ من جنسك. فلا رحمة عند تجريد السيوف، ولا بدَّ من النزال عند محاولة اختراق خط التماس. لكن ما هو أخطر أن تفجِّر الطبيعة قواها التدميرية الكامنة وأن تضرب ضرباتها المروِّعة التي يجد الإنسان نفسه إزاءها دون حول أو قوة.

ومما يؤكد هذه الدلالة في العربية أن نجد «أتنَّ» بمعنى: بَعُدَ، و«تنتن» بمعنى: ترك أصدقاءه وصاحب غيرهم، أي اختار المعسكر الآخر. وأتنَّ المرضُ الصبيَّ: عاقه عن النمو، وكأنه تنينٌ يسكن جوفه.

ولأنّ خطّ التماس بين «التان» و«التنين» هو عمليًا الدرع، وكان يتخذ قديمًا من جلد الثور المدبوغ بالعفص {اللون الأحمر}، فقد وجدنا دلالة هذين الأمرين في اللغات الأوروبية مشتقة من المصدر «تان» في العربية. ففي الانجليزية ترد tangible بمعنى: ظاهر / ملموس وtangency بمعنى: لمس / ملامسة. وفي الإيطالية tangible بمعنى: محسوس / ملموس / حقيقي وtangere بمعنى: يمس / يلمس. وفي الفرنسية tangent بمعنى مماس.

وواضح أن هذه الكلمات تعني أن المواجهة بين «التان» و«التنين» تكون بالضرورة عند خط التماس، أي عند نقطة الاشتباك. وعندئذ فقط تكون المواجهة شيئًا حقيقيًا ملموسًا.

وأما التجسيد العملي لخط التماس في الواقي المتمثل بجلد الثور المدبوغ بالعفص فقد بقيت دلالته في كلمات tanin أو tannin باللغة الفرنسية بمعنى: عفص / دبغ وtang في الانجليزية بمعنى أحمر قاتم وtanner بمعنى دبّاغ الجلود وtanning بمعنى

صناعة دبغ الجلود. وكأن هذه الصناعة وجدت من أجل مواجهة «التان» للـ»تنّين».

ونجد المفهوم العربي لـ «تان» بمعنى قابل وقايس أو «التن» بمعنى المثل والقرن في الكلمة الانكليزية tantamount بمعنى: معادل / مساو / مماثل، مع ملاحظة أن لفظة mount تعني كمية أو مقدار.

في ضوء هذا التداخل بين مفهومي «التن» و«التنين»، بين اللغات العربية والأوروبية، قد يطرح السؤال المنطقي عن اعتماد تسمية الدراغون للتنين في الانجليزية. وهل لهذه التسمية من أصول عربية؟

هنا يجب أن نعود إلى النقطة التي ابتدأنا منها، وهي اعتماد التنين الأحمر الناري {موش خوشو} ليكون رمزًا للإله مردوخ في سومر وأكاد. فإذا حاولنا ترجمة اسمه إلى اللغة السلتية وجدنا كلمة ango تعني ثعبان، وكلمة dergo تعني أحمر.. وهناك أيضًا كلمة dragino لنوع من الشجر من فصيلة اللــوز، نرجــح أنه «الدراق»، وثمرته حمراء معروفة. ويمكن لاسم

«دراغون» أن يكون صيغة تفضيل من الكلمة التي تعني الأحمر أو الدراق، فهو الأكثر حمرة. ولكن إذا نحن تجاوزنا الدراق ولونه، رغم أنه يكفي تنوين كلمة دراق فتكون «دراقٌ = دراقون»، فإن أقرب كلمة عربية للفظة dragon تتمثل في المصدر «ضَرَجَ»، حيث ضرجه ضرجًا: شقه. والنارَفتحَ لها عينًا. والثوب ونحوه: صبغه بالحمرة ولم يشبعه. ويقال: ضرَّجه بكذا: لطخه. وتضرَّج الخدُّ: احمرَّ. وتضرَّج بالدم: تلطخ. والشيء: انشقَّ. والإضريج: الصبغُ الأحمر{11}.

إنَّ «التضريج» هنا بمختلف معانيه يبدو نتاج اختراق خط التماس بين «التان» و«التنين». وهو على كل حال يمثل لون الخطر: الأحمر، ولون النار: الأحمر، ولون الدم: الأحمر، ولون الدرع: الأحمر. وقد رأينا أن هذه الدلالة تمثلت في الكلمات الأوروبية «تان» و«تنين» بمعنى العفص أو الدبغ أو اللون الأحمر القاتم، بينما حافظت اللغة العربية على تعبير «ضرَّجه بدمائه» أي باللون الأحمر. وفي ضوء ذلك، يمكن الافتراض أيضًا أن كلمة dragon هي تحريف لكلمة

من نوع «ضراجون» مشتقة من المصدر «ضرج» في العربية. وربما كانت كلمة dergo السلتية بمعنى الأحمر هي أصلًا «ضرجو».

ولكن ثمة احتمال في أن تكون كلمـــة «دراغون» مشتقة من المصدر «درج» في العربية، حيث: درج فلانٌ: مات. والقوم: انقرضوا. وأدرج الشيء: أفناه. ويقال: أدرجه الله: أماته{12}. وعدا ذلك، هناك احتمال يتصل بالمصــدر «درق» حيث الدرقة: الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب. وهذا المفهوم يتفق مع ما أسلفنا عن خط التماس بين «التان» و«التنين» متمثـــلًا بالدرقـــة من الجلـد. فيكون «دراقون» عندئذ هو المسلح بالدرق. وثمة بلدة في منطقة جيزان تحمل اسم «الدرق»{13}. وهناك «دَرَوْقة» بالأندلـــس. كما أنه من الممكن أن يكون لاسم دراغون صلة بالمصدر «درع». ويكون الأصل في الاسم هو «دراعون» قلبت فيها العين غينًا لعدم وجودها في اللغة الانجليزية. ومن هذه الصيغة أسماء درعا

والدرعية والدريعاء. وبالطبع فإن «الدرع» تسميةٌ أخرى للدرق.

ونستطيع أن نمضي إلى مسافة أبعد، حيث كلمة «الضرع» في العربية تعني: المثل. {ج} ضروع. وهي بهذا تماثل كلمة «التان» في الدلالة، ويمكن أن تكون أصل كلمة «دراغون».

إن هذا التنوع اللغوي الذي يمكن أن تقابل به تسمية «دراغون» بمصادر من اللغة العربية، يرجح أن الكلمة انتقلت من الوطن العربي إلى بريطانيا منذ زمن قديم.

ثالثا: فرسان الطاولة المستديرة

طبقًا للتقليد كان هناك اثنا عشر فارسًا للطاولة المستديرة، الذين بجمعهم مع الملك يشكلون الرقم 13. وهناك الكثير من المكتبات السياحية في الغرب يمكنها أن تقدم قائمة بأسماء هؤلاء الفرسان، إضافة إلى رسم بياني للطاولة الخرافية يتبين عليه الموقع الذي كان يحتله كل فارس. ويقدّم هؤلاء الفرسان

كممثلين للكواكب وعلامات الفلك. ولكن، بما أن عدد الكواكب بحاجة إلى إكمال الرقم 12 بادّعاء وجود كوكبين غير منظورين، فإنَّ (موري هوب) تعتمد علامات الفلك، وتقدم قائمة لبيان أسماء الفرسان، والبرج الخاص بكل فارس، ثم الفضيلة التي تمتع بها كل واحد منهم{14}.

الفارس البرج الفضيلة

ترسترام الحمل الأمانة

غالاهاد الثور اللطف

لاموراك الجوزاء النبل

بورز السرطان الفضيلة

غاوين الأسد الإحسان

غاهيرس العذراء الإخلاص

بيرسيفال الميزان الشجاعة

بيديفير العقرب الفروسية

لانسيلوت القوس المروءة

غارث الجدي الرشـد

جيرينت الدلو المساعدة

كاي الحوت التواضع {15}.

لنلاحظ بدايةً أنَّ توزيع الفضائل على الفرسان بمثل هذا الأسلوب، لا يعني أن هذه الفضائل مجتمعة فيهم. فقد يتميز أحدهم في الفضيلة المسندة إليه، ولكنه لا يكون متمتعاً بفضائل أخرى. ومع ذلك، فإن التأكيد على القيم في حدِّ ذاته هو دعوة للالتزام بهذه القيم، أو هو محاولة لإحياء تقاليد المجتمع السلتي القديم التي جرى تأصيلها من خلال تلك القيم التي جرى إلباسها للفرسان.

تورد السيدة (موري هوب) هنا ملاحظةٌ ذات مغزى، وهي أنه حين يحاط آرثور بحاشيته الفروسية، مثلما

تمثلها الفضائل المذكورة سابقًا، فإنه يحكم بعظمة. ولكن خلال ما يشار إليها بفترات غيابه، حيث يكون منفصلًا عن هذه الصفات اللطيفة، فإنه يكون قابلًا للانجراح حيث يظهر الجزء المظلم من النفس الخاص به{16}. وكأنَّهُ يُرادُ هنا القول بأنَّ عظمة القائد أو الملك وانضباطه إنما تنبعان من المجتمع المحيط به، والذي يمكن أن يرمز إليه وإلى مجموعة القيم الخاصة به بفرسان الطاولة المستديرة.

هناك كثيرٌ من التفسيرات عن معنى وأصل التصور المتعلق برمزية الطاولة المستديرة، بعيدًا عمَّا تقوله المراجع التاريخية القديمة عن المساواة بين كل من يجلسون حولها. وقد قيل إنها تمثيل رمزي للحالات الـ 13 للصليب cross، الذي يرمز إلى خلود الإله، وأيضًا كممثل لاستدارة الأرض نفسها. ولكن علينا أن نلاحظ أنه مرَّت سنواتٌ كثيرةٌ بعد زمن {آرثور} إلى أن قبل الناس بفكرة كروية الأرض. وترى موري هوب أنَّ الاستنتاج الأكثر منطقية هو أن هذه الفكرة جاءت إلى الجزيرة البريطانية من بريتاني مع العديد من

الإضافات الفروسية للقصص الآرثورية القديمة، وربما اتحدت مع ديانة سريَّة ما، أو رؤية سحرية أقحمت فيها الرمزية الغنوصية{17}.

ويقول العلامة مرسيا إلياد بهذا الصدد، إنّهُ منذ القرن الثاني عشر فرضت الأسرار وفن إخفائها في أوساط مختلفة. المحبون كالمذاهب الدينية لهم لغتهم السريَّة. وقد تعارف أعضاء الدوائر الباطنية بإشارات ورموز وبألوان وكلمات سر، واللغات السرية كتعدُّد الشخصيات الخرافية والملغزة إعجازية كلها تشكل في ذاتها مظاهر ما قبل دينية. ويوجد الدليل في روايات {الطاولة المستديرة} المقامة في القرن الثاني عشر حول الملك آرثور. إنَّ الأجيال الجديدة التي تربت مباشرة أو بصورة غير مباشرة من قبل أليينور الأكيتانية وماري دي شامبانيا لم تتفحص أناشيد الإشارة القديمة. فمكان شارلمان كان مشغولًا الآن من قبل الملك الخرافي آرثور. وإنَّ المادة البريتانية وضعت تحت تصرف الشعراء مجموعة معتبرة من شخصيات وأساطير هي في جزءٍ كبيرٍ منها من أصل

سلتي، ولكنها قابلةٌ لأن تتمثل عناصر متنافرة: مسيحية، وغنوصية، وإسلامية. والذي أثار الولوع العام بالنسبة للدور الآرتوري هو شاعر مسيحي من تروي Troys كانت ماري دي شامباني قد أسبغت حمايتها عليه. وإذا كان لا يعرف شيئًا عن حياته، إلا أنه من المعلوم أنه بدأ يكتب حوالي سنة 1170 وأنه ألف خمس روايات طويلة شعرًا، ومن أشهرها لانسلوت Lancelot وبرسيفال وإريك. وفي موضوعنا يمكن القول إنَّ روايات الطاولة المستديرة أقامت ميثولوجيا جديدة في المعنى الذي كشفته هذه الروايات بالنسبة لاجتماعهم، و«تاريخهم المقدس»، وللنماذج المثالية التي يجب أن تقود سلوك الفرسان والعشاق. يضاف إلى ذلك أن ميثولوجيا الفروسية كان لها تأثيرها الثقافي الأكثر أهمية من تاريخها بمعنى الكلمة. وبدْءًا يلاحظ عدد وأهمية العناصر القديمة، وبتحديد أكثر البواعث التلقينية. وكان هنالك دومًا مسألة «بحثٍ» طويل ومتحرك لموضوعات مدهشة تقتضي، مع غيرها، تدخُّل البطل في العالم الآخر. ويمكن الاكتشاف في قواعد الانتماء إلى مجموعة الفرسان بعض تجارب

الدخول في جمعيـــة أخويـــة سرية من نوع مانر بوند Manner bund، فعلى برسيفال تمضية الليل في كنيسة حيث يرقد فارسٌ ميتٌ. وعندما يزمجر الرعد، يرى يدًا سوداء تُطفىء الشمعة الوحيدة المضاءة. وذلك هو النوع نفسه للسهاد الليلي النهاري. وإنَّ التجارب التي توجَّه إلى البطل عديدةٌ جدًا: فعليه اجتياز جسر، مغمور تحت الماء، أو مصنوع من سيفٍ قاطع، أو انَّه محروس من قبل أسود أو غيلان. إضافةً إلى ذلك يسهر على مدخل القصر حرّاسٌ آليّون، وجنيات أو شياطين. وكل هذه السين‌اريوهات تُذكر بالعبور إلى الآخرة، وبالهبوطات الخطيرة إلى الجحيم. وعندما تجري مثلُ هذه السفرات من قبل كائناتٍ حيّة، فإنها تشكل دومًا جزءًا من مسارَّة. وباقتحام مخاطر من مثل هذه الهبوطات إلى الجحيم، يتابع البطل معركة الخلود أو أي هدف خارق للطبيعة. إنَّ التجارب الكثيرة التي تتحملها شخصيات الدور الآرثوري تصنَّفُ في ذات المنظومة: في نهاية سعيهم يشفي الأبطال المرض الغامض للملك. وما إن يتمّ هذا حتى يعاودوا

حكم بلاد الغاست، أو حتى إنهم ذاتهم يقتربون من السيادة العظمى{18}.

لنعترف بأنَّ هذه المعطيات قد تساعدنا على فهم الدوافع والظروف الكامنة وراء انتاج الأسطورة الآرثورية في القرن الثاني عشر، ولكن ليس بشكل كامل. كما أنها لا تكشف لنا بشكل وطيد عن الميثولوجيا الكامنة وراء هذه الأسطورة. لذلك لا بد لنا من المزيد من البحث في هذا السياق.

تقول السيدة موري هوب «دعونا نترك النمط السائد حتى هذه اللحظة وأن نركز على ما هو معروف أكثر، أو ربما الرؤية الأكثر قبولًا مثلما قدمها مالوري Malory، برؤية آرثور في دور ملك سلتي مبكِّر، فإن ذلك يصغِّر الرمزية السحرية التي يمثلها هو وأتباعه. ولكن يجب أن نتذكر أن «آرثور» نفسه لم يكن ساحرًا. لقد كان ببساطة الممثل الدنيوي لقوة مرلين الذي كان يمثل طقوس القوة أو المدبِّر للقوى الكونية الكامنة خلف الشعاع السلتي{19}.

مبدئيًا سنقبل بهذا التصوُّر، ولكن ليس حتى النهاية. فرمزية العدد 12 في الأسطورة لها دلالاتها الأعمق. ولنرجىء مبدئيًا تناول هذه الدلالات إلى أن نحاول إلقاء نظرة على المشهد الكلي.

تقول موري هوب: الآن بالإضافة إلى الفرسان الإثنا عشر والملك آرثور نفسه، لدينا عدة رموز درامية: جوينيفير، ومورغان لو فاي، والآنسات الثلاث، والشرير موردرد، ومرلين نفسه. لنأخذ الفرسان لما يمثلونه من فضائل: الأمانة، اللطف، النبالة، الفضيلة، الإحسان، الإخلاص، الشجاعة، الفروسية، المروءة، الرشد، المساعدة، التواضع. إن موردرد هو الطاقة المضادة. إن لم يوضع تحت الضبط يأخذ السلطة بالعنف، وهكذا يقتل ملك النور. وبكلمات أخرى، إنه الوجه المظلم للطبيعة. الشرح Id الذي يكمن داخل كل واحدٍ منّا منتظرًا الفرصة للاندفاع قدمًا وممارسة التأثير الذي يقود إلى التدمير الذاتي. الآنسات الثلاث يمكن أن يمثلن الإلهة المثلثة أو حالات النفس: الغريزية والمنطقية والعاطفية التي تحتاج أيضًا لأن تبقى

متوازنة، بينما الفاتنة المتحمسة مورغان لو فاي، نصف الأخت لآرثور، التي قيل إنها كانت على علاقة حب سريٍ معه، تمثل القوى المدمِّرة في المشاعر التي هي لا مفرَّ من سقوط الكثيرين بها{20}.

إنَّ مجرَد إحلال آرثور في موقع «ملك النور» في هذا التصوُر معناه إعادة الأسطورة الآرثورية إلى ميتا الأصول، حتى وإن رُبطت الأسطورة أيضًا مع الغنوصية مثلما تبلورت في العصور الوسطى. وهذا ما يتضح من رمزية الرقم 12.

إنَّ فالنتينوس، أحد أعظم رؤساء الغنوصيين، اقتبس الشكل الهندسي المسمىٰ rhombic dodecahedron {المعيَّن ذي الإثني عشر وجهًا} كنموذج للتعبير عن رؤيته الخاصة الغنوصية. لقد نظر إلى الإثني عشر وجهًا على أنها تعبِّر عن المشاهد الإثني عشر الخفيَّة لعملية الخلق في النظام الكوني: إثنا عشر علامة للفلك – إثنا عشر حواريًا للمسيح – إثنا عشر سبطًا لبني إسرائيل – إثنا عشر فارسًا للطاولة المستديرة – إثنا عشر إلهًا أولمبيًّا – واثنا

عشر كوكبًا في نظامنا الشمسي {إذا قبل المرء وجود اثنين لم يتم التعرف عليهما بعد}{21}.

علينا أن نضيف إلى هذه المجموعة

1 – إثنا عشر ملكًا فوضوا آرثور بقيادة جيوشهم.

2 – إثنا عشر معركة خاضها آرثور.

3 – إنَّ شعار آرثور كان يتمثل بالصليب، والذي يتمثل بالرقم 13 أي {آرثور + الفرسان}، والذي يرمز إلى خلود الإله، ويرجح أن رمز الصليب هنا متحدر من التقاليد القديمة لديانة الإلهة الأم.

هذه المعطيات تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنَّ الرقم 12 في الأسطورة الآرثورية لا يعكس حقائق واقعية تاريخية، وإنما يمثل استمرارًا لرؤية دينية قديمة سابقة للمسيحية. وبالتالي، فإن شخصية آرثور الملك هي شخصية مصطنعة غايتها إعادة إحياء شخصية آرثور الإله، أو إحلال آرثور ليكون إلهًا محل الإله السلتي القديم جويديون، أو تفسير غياب هذا الإله

حين حلت الديانة المسيحية محل الديانة السلتية القديمة.

إن تمثيل آرثور بشخص «ملك النور» يبدو متساوقًا تمامًا مع قصة ظهوره في قاعة عرش «أثير بن دراغون». ففي عيد ميلاد السيد المسيح، دعا مرلين اللوردات والفرسان لمحاولة سحب السيف من الصخرة والسندان، ولكنهم جميعًا فشلوا، إلى أن جاء آرثور يوم رأس السنة الجديدة – حيث يتولى ملك النور حكم العالم من جديد – فسحب السيف بسهولة. وعندئذٍ، فإن ملك النور إما أن يكون ممثلًا بالشمس أو ممثلًا بالقمر. وسواء كان هذا أو ذاك، فإن الإثني عشر فارسًا يمثلون غالبًا عدد شهور السنة، وكل التكوينات الإثني عشرية تسير في ركاب ملك النور. والصلة بين الشهور وبين تمثيل الفرسان ببروج السماء مصدرها واضح، «فقد كان البابليون يمثلون شهور السنة القمرية بأبراج السماء الإثني عشر التي أسموها منازل القمر»{22}.

يقول فراس السواح إن حركة القمر الشهرية، كانت بالنسبة للإنسان القديم، هي المؤشر الوحيد لمرور

الزمن. فكان مرور الأيام يحسب بالليالي، ومرور الشهور يحسب بظهور القمر الجديد. وانقضاء العام يحسب بانقضاء اثني عشر قمرًا متتاليًا ولم تكن حركة القمر هذه مجرد ساعة كونية ترصد الوقت، بل كانت بالفعل هي التي تصنع حركة الزمن. فالأم القمرية الكبرى هي التي ابتدأت زمن الكون المنظم بعد أن خرجت به من أزمان الهيولى الأولى، وهي سيدته القائمة على استمراره وتدفقه. ورغم غلبة الآلهة الشمسية على سيدة القمر فإنهم لم يستطيعوا السيطرة على الزمن ولم يضعوا تقويمهم وسنتهم الشمسية إلا في وقت متأخر جدًا من تاريخ الحضارة، حيث بقي التقويم القمري الأداة الوحيدة التي استخدمها الإنسان لحساب الوقت وترقب حركة الفصول{23}.

وإذا كان الصليب رمزًا أو شعارًا لآرثور، فإن رمز الصليب يظهر أكثر ارتباطًا بالأم الكبرى في تجليها القمري. فخطّا الصليب المتقاطعان ربما يرمزان إلى الامتداد اللانهائي للحضور الإلهي، وإلى شمولية الأم

الكبرى. وإذا كان الصليب قد وجد مرسومًا على جدران المعابد النيوليتية ومنقوشًا على خزفيات تل حلف وسمارة، فإن الأم الكبرى نفسها قد نُحتت وصُوِّرت في هيئة الصليب، كما هو الأمر في مستوطنة شتال حيوك. ومع مطلع عصور الكتابة يتابع الصليب اقترانه بالقمر. ففي أهرامات الجيزة عثر على أشكال زخرفية تمثل الأم الكبرى في هيئة الصليب الذي يعلوه الهلال حيث استبدل الرأس بالهلال. وفي جميع حضارات الشرق الأدنى والبحر المتوسط يقترن الصليب بالهلال أو يستعمل كرمز تبادلي له فقد يرتكز الهلال على قمة الصليب في النصب المقدّسة والنقوش. وقد نجد الصليب إلى جانب الهلال أو في وسطه{24}.

بطبيعة الحال، نحن فيما يتعلق بأسطورة آرثور أمام مشهد الإلهة الشريكة في أكثر من صورة. هناك مشهد الزوجات الثلاث اللواتي يحملن اسم (غوينهويفار)، وهناك «سيدة البحيرة» التي زودته بالسيف السحري واستردته منه، والتي أخذته مع رفيقتيها إلى أفالون.

وبالتالي فإن أسطورة آرثور تمتزج بالأسطورة المتعلقة بالإلهة الكبرى. وهذا ما تؤكده (موري هوب) عند تناولها لما أسمته بالسحر الآرثوري، إذ تقول إن هذا الموضوع معقَّد بسبب اقحام تقليدين مختلفين وتأكيدات من ديانتين مختلفتين. ويكمن سبب ذلك في حقيقة أن كثيرًا من المعنيين بعقيدة آرثور يرونها في صورتها المسيحية المتأخرة، أكثر من صيغتها الأبكر والأصح بينما يرى آخرون أن رمزية الفروسية البريتونية أسهل إلى الاستيعاب من أشكال الآلهة القدامى المصوَّرين. والعديد من الناس معنيّون بالرواية الآرثورية، ومستواها الدنيوي، لأنها باتت تشكل لديهم مدخلًا وطنيًا {أو قوميًا} مضمونًا لتحريك العواطف في قلوب الكثيرين من السلت{25}.
وواضح أن آرثور بات في نهاية المطاف رمزًا سلتيًا، لا يقود فقط إلى العقيدة القديمة، ولكن أيضًا – وهو الأهم – إلى ما يمثله الانتماء السلتي من دلالة في البيئة الأوروبية، حيث يبدو أن الانتماء السلتي ليس منسجمًا معها ولو جزئيًا. وهذا هو أحد الأسباب المؤكدة لظهور الأسطورة الآرثورية.

في أعقاب المقدمة السابقة، تقول السيدة موري هوب إنها ستلتزم بالحقائق وعدم السماح لتصوراتنا أن تتحكم فينا، إذا أردنا الوصول إلى فهم أفضل. ولذا فإنها ستبدأ من الماضي البعيد ومعاني الآرثورية القديمة، أو أشكال الآلهة السماويين. لقد كان آرثور معروفًا بأسماء كثيرة قبل ظهور عمل جيوفري أوف مونموث الملحمي. وأيضًا يظهر في صورة بشرية في المابينوقيون. ولقد ثبت لنا أنه نمطٌ معتبرٌ للآلهة القدامى، ربّما يؤرّخ في الوطــن القديـــم. وطبقــًا لديفز كان هو «حو قادرن Hu Gadarn» الذي بمساعدة ثيرانه سحب الوحش أفانك avanc من أعماق بحيرة اليون، محتويًا بذلك الطوفان، ومنقذًا الناس من طوفان أكبر. وإن ديفز في نظريتــــه عن الطوفــــان، يرى «حو» كنوع من نوح الويلزي الذي ظهر على الشواطىء الغربية حوالي الزمن الموافق للغرق النهائي لأطلنطيس. وهي تضيف أن «حو قادرن» أو «آرثور» القديم، يجب أن يؤرّخ مع القدامى إذا نحن وثقنا بمدرسة ديفز. وتضيف إنها بعد قراءة كتاب ديفز ترى أنه يثبت العديد من النقاط المتاحة،

منها: الصلات المصريـــة والهلنستيـــة بين عقائد «كيردوين» وتلك المتعلقة بتقاليد أبيس Apis والإلياذة، كأمثلة. ونمط «آرثور» عندئذٍ له صلته مع تقاليد كيردوين. وأمجادها جرى التغني بها من قبل طالييسن {الطلة السنية = الشمس}. أحيانًا يعطى «آرثور» شخصية زوج كيردويين ويظهر طالييسن كابن لهما. والثلاثة يحكمون الأقاليم السماوية معًا. ولكن في آراء أخرى، خاصةً المابينوقيون، فإن (كيردوين) تظهر في شكل أرضي أكثر. ولكن بالتأكيد، معظم هذه الروايات التي وضعت لاحقًا في دراما الوجود اليومي، حيث الملوك والملكات واللوردات والرهبان يلعبون أدوارهم المعتادة هي ظلالٌ لذكريات الآلهة الأقدم والأبطال الشعبيين، أو كما يقترح ديفز والمنقذون من الطوفان، والذين امتلكوا معرفة تقنية أعلى من تلك التي توفرت لشعوب الأراضي التي هربوا إليها من الطوفان{26}. وقد سبق أن أوردنا وجهة النظر القائلة بأن آرثور هو الإله جويديون.

إذا كان آرثور زوجًا لـ«كيردوين» و«طاليبيسن = الشمس» ابنًا لهما، فهذا يعني أن آرثور كان في عداد الآلهة الكبار. ولكن يبدو أن هذا الاستنتاج ليس ثابتًا بشكل أكيد. فالسيدة هوب تقول في موضع آخر «كان طاليبيسن اسم الشمس، ولكنه كان معروفًا أيضًا باسم «حو قادرن» و«آرثور» و«حسوس أو إسوس»، وفي شخصية آرثور كان حرّات حديقة الأرض، الرجل الآدمي الأصلي المشار إليه بواسطة وادّل. كل أسماء الشمس باستثناء «حو قادرن» تتضمنها ثلاثية السهل plennyd {السهل} والجبل علاون alawn والغور gwron، والأرض كانت أيضًا ثلاثيـــة مكونـــة من ملكات آرثور الثلاث: الربيع والصيف والشتاء{27}. ترى هؤلاء الملكات الثلاث هنَّ زوجاته اللواتي حملن جميعًا اسم غوينهويفار؟

إن هذه الرمزية السداسية تمثل في الواقع ملامح الوطن القديم أرضًا ومناخًا. وعندئذ، فإن الرقم 12 الممثل لفرسان الطاولة المستديرة متضمن ضمن سيطرة ملكات آرثور الثلاث، فيرجح عندئذ أن يكونوا

ممثلين لشهور السنة، بينما ترمز الطاولة المستديرة للسنة نفسها، هذه التي تتكرر دوريًا.

وتذكر موري هوب أنه في رواية جيوفري لا ترد إشارة لـ«الطاولة المستديرة» و«الغرال المقدسة»، أو إلى السير لانسلوت{28}. فهذه إضافات طرأت في زمن لاحق.

يبقى أن نقول: إن هناك من ماثل آرثور مع «قوين Gwyn»، حيث قيل إن «قوين» أطلق عليه مؤخرًا اسم ملك التلوِث تيغ = حوريات ويلز، بنفس الطريقة التي وطد بها الدانان حالتهم الجنية بعد وصول الميليسيان. ويخبرنا غريفز أنه كان هناك أيضًا عقيدة «قوين» في غلاستنبري ما قبل المسيحية حيث كان هذا الإله معروفًا باسم «حارن الصيّاد»، بينما في اسكوتلندا، فإن نفس النموذج اعتمد تحت اسم «آرثور»{29}. وهذا قد يعني أن آرثور هو الإله الذي عرف في بلادنا باسم «حورون».

وبالنسبة للدرويدية الجديدة التي تبلورت حوالي نهاية القرن التاسع عشر، فإن آرثور يحتل موقعه، ليس كملك تاريخي، وإنما كأحد آلهة الطقس، أو باعتباره «ملك النور»، مرتبطًا بالفلك على كل حال، حيث أسماء العلامات الفلكية التي تمثل الظهورات المختلفة للألوهية المؤثرة على الأرض ترتكز على فعالية الشمس. فقد أطلقوا على الاعتدال الربيعي اسم إيلير Eilir {الولادة الثانية}، وعلى الصليب الصيفي Havhin {الحرارة الشمسية}، وعلى الاعتدال الخريفي الفيد Elved {الحصـــاد}، وعلى الصليب الشتوي أرثان Arthan {فصل آرثور} حيث آرثور مثل رامي النبال الشمسي مسلح بقوس وسهم مشغول بمحاربة قوى الظلام{30}.

وهذا التصور من شأنه أن يرجح أيضًا أن فرسان الطاولة المستديرة إنما يمثلون شهور السنة.

رابعًا: الغرال «الكأس المقدسة»

تقول السيدة (موري هوب) إن إحدى الموضوعات الرئيسة في الليجندات الآرثورية هو السعي وراء الغرال المقدسة، والتي ترتبط بشكل وثيق مع ال نظام الفروسي للطاولة المستديرة{31}.

ربما استنتج القارئ من هذا القول أننا أمام واقعة تاريخية مضت وانقضت، ولكن الحقيقة التي تستدعي الاهتمام هي أن الادعاءات حول هذه «الغرال» لم تنته حتى الآن، وأن الساعين وراءها ما زالوا يواصلون ادعاءاتهم بصددها. وآخر، أو أحد آخر ما صدر بهذا الخصوص، هو كتاب «شفرة دافنشي» الذي تحوَّل إلى فيلم هوليودي. وقد منع توزيع الكتاب وعرض الفيلم في بلدان منها لبنان، لكون المضمون يتنافى مع العقيدة المسيحية. وأما في الهند – حيث عرض الفيلم – فقد خرج المسيحيون في مظاهرات احتجاج ضدَّه.

من الواضح إذن أننا أمام موضوع ينطوي على حساسية وأهمية خاصة مما يستوجب تناوله في أبعاده المختلفة بقدر من التمعن والتفكير.

إنَّ الغرال بدايةً وعاءٌ يشبه الكأس{32}. ويذكر العلامة مرسيا إلياد أنه منذ عهد قريب أرجع اثنان من الباحثين الأميركيين اشتقاق العبارة غرال {كأس، إناء، حوض} للكلمة الإغريقية كراتر krater. ولهذا الاشتقاق ميزة تفسير الوظيفة الإنقاذية للغرال{33}. والاشتقاق المعروض من قبل هـ. و. كاهان {غرال = كراتر = جرّة}{34}. وواضح أن كلمة {جرة} تبدو مشتركة للاشتقاق اللغوي.

ولكن هناك من تجاوزوا مفهوم الجرّة، ومن هنا انبثقت المشكلة التي يطرحها كتاب وفيلم «شفرة دافنشي» ومن قبله كتاب لعدد من المؤلفين عن الكأس المقدسة {الغرال}. ففي كتاب «الدم المقدس والكأس المقدسة» الذي شارك في تأليفه ميشال بيجنت وريتشارد ليغ وهنري لنكولن، وبعد بحث منظم في إقليم Rennes le chateau في جنوب فرنسا، جاءوا بنظرية مثلت شيئًا ما تأسيسيًا مثل خط الدم العائد للسيد المسيح، والذي ادَّعوا أنه حمل من قبل ذريَّته إلى تلك المنطقة حتى هذا اليوم. وهم يرون أنَّ اللفظ الأبكر للكلمة

سانغريال Sangreal، كان في الواقع أكثر دقة من الرؤية المتأخرة التي أصبحت خطأ شائعًا، والتي يجب أن تقرأ Sang Raal أو Seng Real بمعنى الدم الملكي. وتقول موري هوب إنه ليس بوسعها التقليل من قيمة هذا الاجتهاد، مفترضة أن هذه اكتشافات رجال طيبين، وأنه بعد كل شيء ليس هناك سببٌ متاح للقول بأنَّ المسيح لم يكن أبًا لأطفال، ولم توجد له ذريَّة تعيش إلى هذا اليوم، وأن جيناته الوراثية، ربما كانت في وقتٍ ما في الماضي، قد جرى التستر عليها مِن قبل منظمة سريّة ما في نطاق موضوعة الـ Sang Graal. ولكنها تسلم أنَّ هذا بشكلٍ ما مستعارٌ من ليجندات الكأس القديم أو القدرون التي كانت موجودة لآلاف السنين قبل ظهور المسيحية{35}.

قيل إن الغرال وعاء يشبه الكأس كان في حوزة الملك فيشر {صياد السمك} الذي كان مقعدًا، ولكنه – أي الكأس – يفعل أي شيء فيما لو هبَّ بطلٌ من الأبطال، وبحث عنه، ووجده. ثم يطلب منه طلبًا خاصًا إن عثر

عليه فيلبيه{36}. واضح أننا أمام حكاية القمقم الذي يخرج منه المارد ويقول: شبيك لبيك في الحكايات الشعبية السائدة في بلادنا.

وطبقًا لتقاليد العصور الوسطى، قيل إن السيد المسيح – وهو غلام – قام بزيارة غلاستنبري برفقة يوسف الأريماثي الذي عاد بعد سنوات قليلة من واقعة الصلب ليعظ بالإنجيل. وقد أحضر معه – كما قيل – الكأس التي استعملت في العشاء الأخير، إضافةً إلى وعاءين يحتويان عرق ودم السيد المسيح عليه السلام، والتي دفنت لاحقًا في مكان سرِّي قرب غلاستنبري.

رؤية أخرى تحدِّد الغرال على أنها الكأس التي جمع فيها دم السيد المسيح، التي أحضرها يوسف إلى بريطانيا، وسلمت لتصان بعناية من قبل شخــص هو برون أو برونز، وهو اسمٌ آخر لـ«بران» المبارك{37}.

وهناك قصص غرال ظهرت قبل زمن طويل من حوليات كامبريا، ودونت، أو أن القصص الآرثورية لجيوفري أوف مونموث أدت إلى ظهورها. فالليجندات

الويلزية القديمة تخبرنا كيف أن آرثور أبحر في سفينته السحرية بريدوين Prydwen إلى أقاليم الأشباح في الأنون حيث بويل Pwyll هو السيد. وعند وصوله إلى هناك وجد قدرةً سحريةً، تحرسها تسع فتيات، حيث سارع إلى الاستيلاء عليها. وفي قصيدة طاليبسن «غنائم الأعماق» فإن القدرة توجد في مكان يدعى كاير سيدي أو كاير بدريفان والقلعة المربعة الأركان في الجزيرة ذات الباب القوي. وفيما يشبه ذلك، فإن الرؤية البريتونية ترى الغرال في حراسة بيلليه Pelles أو بيلور Peleur، وهو الرؤية النورماندية لبويل، في قلعة كاربونيك Car bonek التي هي في الحقيقة كاير بنُّوك، القلعة ذات القرون أو الأبراج كإشارة إلى زوايا أو مواضع كاير سيدي. الوعاء الذي اكتشفه آرثور ورفاقه وصف في القصيدة على أنه قدرة {قدرون} فوهته مرصعة بالجواهر، وكانت النار توقد تحته بأنفاس تسع فتيات. ويجري الحديث عنه على أنّه تنبؤيٌّ، ولا يمكن أن يطهو الطعام لمن لا يكون مستحقًا. وتتفق القصة البريتونية ثانية مع القصيدة، في أنَّ الغرال تُزود الفرسان بأي نوع من

الطعام يرغبون فيه، وأيضًا المستحقون فقط يمكن أن يصلوا إلى الوعاء. وهؤلاء الذين تعبَّدوا في كنيسة الغرال التابعة لبيلور بقوا شبابًا، ولم يتأثروا بمرور الزمن، بينما غرال البريتون أيضًا تشفي المرضى{38}.

وهناك ليجندةٌ قديمةٌ أخرى تخبرنا كيف أن الغرال شكلت من قبل الملائكة من الزمردة التي سقطت من جبهة الشيطان {لوسيفر} حين سقط من الجنة السماوية.. وتقول موري هوب إنه في الشرق، فإن رموز الإله كثيرًا ما يعبّرُ عنها بجوهرة في وسط الجبهة {العين الثالثة}، وقيل إنها ترتبط سيكولوجيًا مع الغدة الصنوبرية، وتؤدي إلى قدرة على الرؤية تتجاوز الحواس الخمس العادية، وأن لون الإلهة المصرية نفتيس كان أخضرَ مثل الزمردة، وكانت إلهة الأقاليم الخفية مما يمكن أن يماثل العالـــم السفلي السلتي، بينما اللون الأخضر هو أيضًا لون الشعاع السلتي{39}.

وهناك كثير من التصورات الأخرى عن الغرال، منها تلك العائدة (لولفرام فون إيزنباخ)، على سبيل المثال،

والذي كان بطل الغرال عنده كثير الغناء (بارسيفال) من الخرافة التيوتونية والأوبرا. وقد كتب حوالي سنة 1200، بعد عشرين سنة من تنصّر تروي Troyes، ومما قاله إن الكأس أُحضرت أصوليًا من السماء من قبل ملائكة محلقين ووضعت في إقليم أنجو Anjou، باعتباره الإقليم الأنسب لاستقبالها. وقد دعمت قوتها بواسطة حمامة كانت في كل يوم جمعة طيب تأتي من السماء، وترقد على الغرال كضيف مقدس، وأنها محفوظة في جبل الصلوات mont salvat، ومحروسة من قبل أربعمائة فارس هم جميعًا – باستثناء الملك – منذورون للعذرية. وتقول موري هوب إن هناك ما هو أكثر من هذا، مثلما يمكن لأي شخص معتاد على قصة بارسيفال أن يعرف، ولكنها تلحُ بقوة شديدة إلى دعوة رومانسية متنصرة، لتستحقّ اعتبارًا دينيًا جديًا. وبعد كل شيء، فإن ولفرام يخبرنا بأنه حصل على مادة قصته من الشاعر البروفنسي كيوت Kyot أو غيوت Guiot الذي اعترف بدوره أنه وجدها في كتاب عربي في توليدو كتب باسم مستعار هو فليجيتانيس {flegetanis{40.

ثمّة بعدٌ آخر للغرال، ينطوي على أهمية خاصة في سياق البحث. فحسب الرسالة الرابعة من المدوَّنة الهرمسية «أن الله أملأ جرّة Crater كبيرة من العقل وأرسلها إلى الأرض، واعتمد بشيرًا مع الأمر بأن يعلن لأعمال الناس هذه الكلمات: أغطس – أنت، أنت الذي تستطيعه، في هذه الجرة التي تراها. أنت الذي تعتقد أنك ستصعد صوب الذي أرسل الجرة على الأرض، أنت الذي يعرف لماذا أتيت لتكون. وكل أولئك الذين أصغوا أسماعهم للإعلان، والذين عُمِّدوا بهذا التعميد من العقل، هؤلاء لهم نصيبٌ من العرفان {غنوص}، وقد أصبحوا بشرًا كاملين، لأنهم تلقوا العقل. ويرى (مرسيا إلياد) أن التأثير الهرمسي على البرسيفال يبدو مقبولًا، لأنه في القرن السابع، وعلى أثر الترجمات الكثيفة للمؤلفات العربية، بدأت الهرمسيّة تصبح معروفة في أوروبا{41}.

وجاء في كتابٍ نشر عام 1939، أن العالم الفارسي (جاهان جيرس كواياجيه) لاحظ التشابه بين الغرال والمجد Gloria الملكي الإيراني هفارينا Hvarena،

والمشابهات بين أساطير آرثور والملك الأسطوري كاي خسرو. وقد قارن (هنري كوربان) من جانبه وبذكاءٍ لماح الاثنين كليهما – الإيراني والغربي – السيناريوهات والمؤسسات الفروسية، والحكايات المساريّة، متجنبًا مع ذلك فرضيات الاحتكاكات التاريخية المعروضة من قبل كواياجيه. ومن بين المشابهات العديدة، نشير إلى بنية الفروسيتين الروحيتين، واحتجاب (كاي خسرو) والملك آرثور. يضاف إلى ذلك أنه في دائرة التآليف السابقة على ولفرام، أن لوهنجرين Lohengrin، ابن بارسيفــال، مصحوبًا بكل فرسانه، يعاود نقل الغرال في الهند{42}.

وتقول موري هوب إن ليجندات الغرال لا تمثل سبقًا سلتيًا. فالإلهة المصرية نفتيس التي كرَّس لها الكأس أو الكوب، كانت تمتلك فعلًا هذا الرمز متحدًا مع غطاء رأسها. وكانت نفتيس بالتأكيد إلهة لكل ما هو خفيٌّ أو خبيءٌ. وعندئذ، ووفق المعتقد، كانت أيضًا تكشف عن أشياء لا يرغب الإنسان نوعًا ما في

معرفتها أحيانًا. ولكن هذا هو طريق التقليد الديني. كوبها الفضي يستوعب كل الرمزية المتأخرة للغرال والكأس كوعاء مقدَّس أو وعاء تصب فيه مياه النور والصدق التي هي مسكوبات الحياة{43}.

وأخيرًا، إن الكؤوس والقدور السحرية متعددة في الأدب السلتي بدءًا من هدايا التوثا دو دانان. وكان وعاء بران يستطيع استرداد المحارب الميت إلى الحياة، بينما وعاء الداقدا كان قرنًا للوفرة لا ينفد، والذي يستطيع إطعام جيش ويبقى ممتلئًا حتى فوهته. وهناك أيضًا قدرة كيردوين الخرافية{44}. وتقول موري هوب إن الطبيعة الأساسية للسلت مثلما هي مؤكدة برمزهم المفضل، القدرون أو كأس الغرال، التي تسخن إما بواسطة نيران كيردوين، أو بأنفاس الفتيات التسع، أو حرارة الشمس، تعني أن هؤلاء الناس كانوا حقًا مائيين، حسّاسين، ذوي طبيعة عاطفية عالية، مصبوغة بالحماسة وحيوية النار. وهي ترى أن السحرة السلت، الذين كان الناس موضوعًا لهم، كانوا هوائيين وقادرين على السحر، بينما السلت

أنفسهم كانوا أناسًا سريعي التأثر للغاية. وهي تتساءل: لماذا إذن افتقروا إلى قوّة البقاء الأمر الذي لاحظه سيزار ومعاصروه؟. وتجيب إن الأمر يكمن في عنصر التراب الذي يبدو غائبًا عن طبيعتهم{45}.

هذا النوع من الفرضيات لا يعنينا كثيرًا في سياق البحث. فربما كانت القوى التي واجهها السلت في أوروبا أكبر من طاقتهم. لكن ما هو أخطر هو أن السلت كانوا متنافسين متصارعين، بحيث أسهموا بأنفسهم في التمهيد للهزائم النهائية التي لحقت بهم. وما يهمنا أكثر هو إثبات أن البحث عن الغرال لا يقتصر بالضرورة على فرضية الملك التاريخي آرثور الذي نرجح أن أسطورة الغرال المنسوبة إليه لا أساس لها من الواقع. فما تجري هي محاولة حشر تجربة السلت ككل في أسطورته.

تقول موري هوب إن البحث عن الغرال يحمل معنىً أعمق من التصوُّر المسيحي العام المخترع حول توطين الكأس المقدّسة. إنَّها أكثر من ذلك فهو بحثٌ عن الأشياء غير المعروفة أو الخبيئة التي يعتقد بها.

إن المعرفة التي تؤدّي إلى فتح الأبواب للتنوير واكتساب حالة روحيّة يتمُّ الحصولُ عليها من خلال الألم، وتدريب النفس والمثابرة. في الأدب الآرثوري، البحثُ المسبق لإيجادِ الغرال أو امتلاكها يتحقق لشخصٍ طيب القلب. والتجهيز للمطلب، عندئذٍ، يفرض سلسلة من طقوس التطهير كانت ثُرى في متن الديانة التي يحترمها أو يلتزم بها المريد. لقد شكلت طقوسُهم الوثنية استعدادهم للخضوع لقوّةٍ أعلى أو لعذابات قاسية تضمن لهم السيطرة على المناطق السفلى أو المظلمة. ذلك لأنَّ الظلام، سواء في الهادس أو في روح الفرد، يهزمُ المريدَ الذي لا يملكُ الأمل أو الفهم للأسرار الخفيّة لعالم النور والصدق{46}.

إنَّ ما يؤكِّدُ وجودَ أكثر من أسطورة سلتية قديمة للبحث عن الغرال جُيِّرت لاحقًا بشكل أو بآخر إلى آرثور، هو ما نلمسه من تعدُّد الأساطير، وتعدد الأبطال، وتعدد أسماء الأماكن. ولنحاول تعقُّب عملية البحث عن الغرال من هذه الزاوية.

تقول موري هوب إنّ الرؤية الويلزية للقصة البريتونيَّة تعني شخصًا اسمه بيريدور Peredur، الذي رأى فيه رولستون شخصيّة المقدّس ثور {der reine Thor}، الباسل وطيِّب القلب حتى البلاهة مما تبقَّى في شخصيَّة الأبله في التاروت. بعد أن ثبَّتَ نفسه في قاعة آرثور، مضى بيريدور قدمًا للبحث عن الوعاء المقدس، وكثيرة كانت مغامراته. رحلاته الأوليَّة قادته إلى قلعة بجوار بحيرة حيث وجد رجلًا محترمًا يصيدُ السمك. هذه هي قلعة الغرال، مسكن الملك فيشر الأعرج حارس الأرض المقدّسة، والذي صادفَ أنَّه خال بيريدور. الرجل العجوز يخبره أنه مهما وقعت حوادث غريبة يمكن أن يشاهدها في القلعة لا ينبغي أن يتحدَّث عنها، الأمر الذي يدلُّ على التقاليد المعمول بها إذا حدث أيُّ شيءٍ كان.. بعض الدارسين لهم رأي في أن اسم الملك السمّاك فيشر له أصوليٌّ مغزىً عميقًا، ولكنَّ معناهُ فقدَ حاليًا. ولكن في كلِّ الحسابات، فقد كان هو نفسُه، وطبق الأصل مثل قوين أب نود رب العالم السفلي. وكذلك، فإنه في قصص الغرال يعطى اسم برون أو بران. إن الإله اليوناني هيفايستوس،

الذي كان حدادًا، كان أيضًا يقيم في أقاليم تحت الأرض، وكان أعرجًا مثله. وكذلك كان ويلاند. عندئذٍ يمكننا أن نفترض بأنَّ الملك السمَّاك كان ملك الظلام في عقيدة السلت الخماسية، والمعتبر من قبل بعض الباحثين على أنه الرجل المشنوق في التاروت. وكان سببُ عرجهِ طعنةُ رمح، جعلته أيضًا واهنًا ضعيفًا. وإنه فقط عند المعرفة الصادقة والحقَّة لرسالة الغرال، وفهمها جيدًا، فإن الملك السمَّاك سيبرأ وسيسُتعاد رخاء البلاد. وتقول هوب: لا يستطيع الإنسان استبعاد الشعور بأنَّ شيئًا ما يكمن في هذه الرمزية يخفي أسرارَ الآلهةِ القدامى، وأنَّ المعرفة بهم ظلت محدودة بسبب التجاهل والعمى الروحي والتعصب الديني. لقد قوبل (بيريدور) بسلسلة من الاختبارات المبهمة، زيادةً على كمية معتبرة من المعارضة من الساحرات التسع في غلوشستر Gloucester، اللواتي قام هو وآرثور بإفنائهن. ولكنَّ (بيريدور) أو بيرسفال مثلما كان يُسمَّى غالبًا، لم يقم مع آرثور بوضع الأسئلة الصحيحة أمام الملك السمَّاك الذي لم يكن قادرًا غالبًا على كسر صمته

ونطق كلمات القوة التي يمكن لفظها وطرد السحر الذي جعله أعرجًا، وأضعف الجزر البريطانية{47}.

يعتبر العلامة (مرسيا إلياد) إنَّ هذه القصَّة، التي قدَّمها الفارس الألماني (ولفرام فون إيزنباخ)، هي القصَّة الأكثر كمالًا والميثولوجيا الأكثر تماسكًا للغرال. وقد ألفها بين سنة 1200 و1210. ومما يدعو إلى الدهشة في رواية ولفرام، عدد وأهمية العناصر الشرقية. فأبو بارسيفال المدعو كاموريه، كان قد استخدم في جيش خليفة بغداد {وهذا يعني ببساطة أن ربط الرواية مع آرثور الملك لا أساس له طالما أن آرثور وجد قبل وجود الخلافة العباسية بقرون}. وعمُّ بارسيفال الراهب تريفريزنت Trevrizent كان قد سافر في شبابه إلى آسيا وإفريقيا. وسيصبح إبن أخت برسيفال الكاهن يوحنَّا، الملك الكاهن الشهير والغامض الذي حكم في الهند. والأول الذي كتب تاريخ الغـرال والذي كان قد أوصله إلى كيوت {المرجع المعتمد للمؤلف} هو الحكيم «الوثني» {أو مسلم أو يهودي} فليجيتانيس. ومن المقبول اليوم أن ولفرام كان يملك معلومات

دقيقة، وعلى درجة من الاتساع، من الحقائق الشرقية، من سورية وبلاد فارس حتى الهند والصين. وقد حصل عليها على ما يرجح، من الصليبيين والتجّار الطليان العائدين من الشرق. وما هو ذو قيمة بالنسبة لموضوعنا، هي الأساطير والمعتقدات والطقوس ذات العلاقة مع الغرال، المثارة فقط من قبل ولفرام. وعلى العكس من الكاتب كريتيان دو تروي، الذي كان قد سبقه في الإشارة إلى الغرال، فإن ولفرام يمجد فضيلة ودور أمفورتاس Amfortas الملك السمَّاك. وهذا هو الرئيس لنظام فروسية المعبد المسمَّى Templeisen الذين نذروا للطهارة تمامًا كالمعبديين. فهم قد اختيروا من قبل الله وتسنموا مهمات خطيرة. وإن خمسًا وعشرين سيدة من الأشراف قد خدمن الغرال{48}.

نعتقد في ضوء هذه المعطيات أنَّ اسم آرثور مقحمٌ في أسطورة البحث عن الغرال، وأن الإضافات التزيينية الشرقية لا تلغي الأصل السلتي للأسطورة.

تلك كانت الرؤية الويلزية للبحث عن الغرال، فماذا عن الرؤية البريتونية؟

يقول (مرسيا إلياد): يجب أن يؤخذ في الحسبان نيَّة الكتاب بأن ينقلوا، بواسطة مؤلفاتهم، بعض تقليدٍ باطني، كما فعل ذلك المؤمنون بالحب، أو رسالة هادفة «لإيقاظ» القارىء، حسب النموذج المثبت فيما بعد من قبل دانتي. وتلك هي حالة الرمزية وسيناريو الغرال. نغمٌ مجهولٌ من قبل الروايات الأولى، ذات المصدر البريتوني للعصر الآرثوري. ولم تظهر الغرال إلا حوالي سنة 1180 لدى كريتيان دي تروي. وكما كتب عنه ي. فندريس «لا يوجد في أي أدب سلتي مهما كان غنيًا، أية قصة أمكن استخدامها نموذجًا للتأليفات المتنافرة مما استخرجه أدبنا القروسطي من هذا النوع «أي الغرال»{49}.

وعن كريتيان، تقول موري هوب إنه بدأ ترجماته البريتونية سنة 1165، وقيل إنه المسؤول عن إحضار الساغا الآرثورية في الأدب الشعري لأوروبا، وإعطائها الخط العام والشخصية التي ظلت مقبولة. أحد أعماله

عن تريستان Tristan قد فقد، ولكنَّ مقدمة لانسيلوت البحيرة في القصة تُعزى إليه. كتب أيضًا «كونت الغرال» الذي فيه أنتُجت ليجندة الغرال وبرسيفال مبكرًا، ما لم يكن مظهرًا أوليًا. لم تكن الرواية مع ذلك كاملة، ولم يخبر أحدٌ ما إذا كانت الغرال حقيقة! وتضيف: إنه يبدو هناك القليل من الشك حول التأثير البريتوني على القصة الآرتورية بطاولتها المستديرة والمؤسسات الفروسية التي نسبت أخيرًا إلى قاعة آرثور في كاير ليون في أسك. وهكذا، فمن أجل فهم الطبيعة الحقيقية لآرثور، وكل ما تمثله عقيدته، فإن المرء لا بدَّ وأن يضع الفروسية الفرنسية والتروبادور والروايات المعبرة عنها من النمط الرفيع {أو الأدنى، وفق الحالة} في الاعتبار، بالإضافة إلى التأثيرات الإثنية لتلك الأمم الأخرى الذين تضمنت الروايات حكاياتهم الشعبية وجسدتها باستمرار{50}.

في إطار كتاب Vulgate، فإن الفصل السابق لموت الملك آرثور كان «البحث عن الغرال». وفي ذلك الغزو القديم، فإن فرسان الطاولة المستديرة، ذهبوا للبحث

عن الكأس المقدسة. ولم يسمح للانسلوت برؤية الكأس نظرًا لكونه مذنبًا، وذلك بسبب علاقاته الصبيانية مع الملكة. وفي نهاية قصة الغرال، فإنَّ فارسًا واحدًا تمكن من رؤيتها، وقد عاد إلى لوغريه Logres. أمَّا الآخرون إما أنهم ماتوا أو ذهبوا إلى أماكن أخرى. النهاية الوحيدة جعلت الكأس بين الملك آرثور ولانسلوت ومؤلف الفولغيت كتب الكتاب الأخير لشرح ما حدث لآرثور ولانسلوت والملكة بعد انتهاء مغامرة الغرال{51}.

من الواضح أن الحديث عن الغرال، جاء مرتبطًا بفرسان الملك آرثور، في فترة الحروب الصليبية. ولعل هذا ما يفسر قول موري هوب إنَّ ليجندات الغرال نصَّرت ببساطة الرؤى القديمة لموضوعة «القدرون»، وقد ألبست بزخارف الفروسية البريتونية وقدِّست بواسطة الليجندة الأخيرة الأعلى التي أكسبتهم مباركة الكنيسة والاحترام الذي يتطلبه ذلك{52}. وهذا أيضًا ما يشير إليه مرسيا إلياد إذ يقول إنّهُ مهما كان التفسير المعطى لمؤلفات ولفرام، إلى من أكمل خطاه،

فإن رمزية الغرال والسيناريوهات التي تحكمها جميعًا تمثل كلها بوضوح توليفًا روحيًا جديدًا يُمكن أن تتماهى فيه معطياتُ تقاليد مختلفة. فخلف الفائدة المشوِّقة بالنسبة للشرق نكتشف الخيبة العميقة المثارة بواسطة الصليبيين، واستلهام التسامح الديني الذي شجَّع عليه التقارب مع الإسلام، والحنين إلى «فروسية روحيّة» حسب نموذج فرسان المعابد الحقيقيين. أما أن يتعلق هذا كله بتركيب، فإنَّ إدخال الرموز المسيحية {سرُّ القربان، المقدس، الرمح} وحضور عناصر من أصل هرمسي، يثبتُ ذلك. إنَّ معاودة اكتشاف الهرمسية الإسكندرانية كانت سمحت بالأمل بمسارَّة بواسطة العرفان {غنوص}، أي الحكمة الموغلة في قدمها والعالمية {أمل عرف أوجه أثناء النهضة الإيطالية}. وكما هو الشأن بالنسبة لكل الأدب الآرثوري، فإنه من غير الممكن معرفة ما إذا كانت التجارب التلقينية المتحملة من قبل الفرسان قد ناسبت الطقوس بمعنى الكلمة أم لا. كذلك الأمر، فإنه سيكون من العبث الاعتقاد بالقدرة، بمساعدة الوثائق، على تأكيد نقل الغرال إلى الهند، أو إلى أي مكان آخر

في الشرق. وتمامًا كجزيرة أفالون التي اعتزل فيها آرثور، أو بلاد العجائب (سبهامبالا) من التقليد التبتي، فإن الشرق حيث انتقلت إليه الغرال ينتمي إلى الجغرافيا الأسطورية. والذي يهمُّ هنا، هو رمزية اختفاء الغرال. إنها تعبِّر عن عدم إمكانية إدراك تقليد سرِّي بدءًا من مرحلة تاريخية معينة. إنَّ الرسالة الروحية للسيناريو القائم حول الغرال تستمرُّ بإثارة خيال وتفكيـــر معاصرينا، وبصـــورة عامة فإن ميثولوجيا الغرال تشكل جزءًا من التاريخ الديني للغرب، حتى ولو أنها – كما يحصل أحيانًا – تتطابق مع قصَّة اليوتوبيا{53}.

ولكن، لماذا لا نتصوَّر أن الفكرة القائلة بعودة الغرال إلى الشرق مصدرها الاعتقاد بأنها جاءت أصلًا من الشرق، مثلما أن إعادة السيف كاليبور إلى سيدة البحيرة مصدره أنها هي من أعطته إلى آرثور في الأصل؟.

ما يجعل طرح سؤال من هذا النوع يبدو غريبًا الآن، هو أن الأسطورة الآرثورية باتت تحتل مكانةً خاصة

لدى الغرب. تقول (موري هوب) إن العلم الروحاني الآرثوري، وليجندة الغرال على الخصوص، لم تكن منتشرة أكثر مما هي اليوم بفضل وسائل الإعلام {وخاصة السينما}. فالبطل البارُّ الباحثُ عن الحقِّ هو موضوعٌ طازجٌ دائمًا، والذي غالبًا ما يشمل حسًا إضافيًا من الإلحاح أو الأهمية في أوقات الأزمة العالمية. وبينما يستطيع كثيرون أن يجدوا الغرال الخاص بهم داخل حدود عقيدتهم، فإن آخرين من بيننا، هم مثل بيريدور، يبحثون عمليًا ساعين قدمًا للحصول على إجابات لألغاز الملك السمَّاك. إن رحلاتنا ستأخذنا إلى أقاليم بويل أو قوين، أو أننا سنجد أنفسنا، وقد قطع علينا الطريق المطلوب بغدر أولئك الذين وثقنا بهم كأصدقاء أو أقارب. ولكن مثل الخالد فول Fool فإننا نعلق حقيبة سفرنا البسيطة على ظهرنا، ونمضي إلى حافة الجرف، مع أليفنا المخلص ومثل كلب مرلين الأسود نشدُّ بقلقٍ على مشاعرنا لتحذرنا من خطر ممكن. ولكن لقد كانت طريق البلهاء للاندفاع إلى حيث تخاف الملائكة أن تطأ المكان.

وبعد كل شيء فإن البراءةَ والمشاعر الطفولية للجوَّال هي على طول الأزمنة ما تمثل الحماية الأمثل{54}.

ويبقى علينا أن نتأمّلَ بعمق قول العلامة مرسيا إلياد: «إن الضغط على الدراويد في عهد الأباطرة أوغست وتيبر وكلود إنما كان يهدف للقضاء على الوطنية الغالية. ومع ذلك، عندما نقص الضغط الروماني بشكل واضح في القرن الثالث تولدت نهضة فجائية للدين السلتي، واستعاد الدراويد سلطتهم. وفي إيرلندا استمر الدراويد في الوجود حتى القرون الوسطى، شأنهم في ذلك شأن البنى الدينية الأخرى. وما هو أكثر من ذلك أن إبداعية العبقرية السلتية الدينية ستعرف أوجًا جديدًا في الأدب المنتعش بدءًا من القرن السابع حول الأبطال المدخلين في الاستقصاء عن الغرال{55}.

وأخيرًا تذكرُ موري هوب أنه جرت مساواة آرثور مع الإله البريتوني أرتايوس Artaius الذي قيل عنه أيضًا إنه سرق قدرةً مقدَّسةً من المعرفة {غرال} من الآلهة{56}.

وهنا وجهة نظر في غاية الأهمية

فهي أولًا تعني أن آرثور إله.

وهذا الإله ثانيًا له اسم مواز هو أرتايوس {الحارث}. وهذا يذكرنا بأسطورة الحارث الصعب ذي القرنين في الأسطورة اليمنية، والذي ضرب في الأرض غربًا وشرقًا للبحث عن الأسباب {المعرفة = الغرال}.

وأخيرًا إنّ الغرال هي قدرة مقدّسة من المعرفة، أي العلم والخبرة. ولقد كان هذا في الواقع هو المفهوم الذي ركزت عليه قصيدة «غنائم الأعماق»، ومن ذلك

ألستُ من يُنازَعُ على فضائل تلك التركةِ

من الحكمة والعلوم، إذا ما أشيرَ إليها،

والتي كانت قد أعلنت أربع مرّاتٍ في المربع المغلق

حيثُ الجملة الأولى التي نطقت من القدرة

التي كانت قد بدأت تدفأ بأنفاس الفتيات التسع

ألم تكن هذه هي قدرةُ حاكم العمق؟

ما هو نوعها مع حافةٍ من اللآلىء حول حدودها

إنها لا تسخِّن الطعام للجبان

الذي لا يحافظ على قسمه المقدَّس

وضدَّهُ يُشرعُ السيفُ اللامعُ المضيء

وفي يدِ حامل السيف هو سوف يبقى

وقبل مدخل بوابة الجحيم

فإن قرون النور ستحترق

وعندما ذهبنا مع آرثور في أعماله الجليلة

باستثناء سبعةٍ لم يعد أحد من كاير Vediwid.

ألستُ من يناضلُ من أجل شرفِ تركة الحكمة والعلوم

التي تستحقُّ الانتباه

في الحظيرة المربعة الجدران

في الجزيرة ذات الباب القويِّ

فإنَّ نورَ الغسق والظلام الدامس

اختلطا معًا

بينما كان النبيذ الصافي

هو الشرابُ الموضوعُ أمام الدائرة الضيّقة

ثلاثة هو الرقم الذي يمكن أن يملأ القارب Prydwen

أقلعنا في البحر

وباستثناء سبعة،

لم يعد أحدُ من كاير ريغور {75}Caer Rigor.

نحن نميلُ إلى الاعتقاد بأن المسرح الموصوف في هذه القصيدة هو القدس بالذات، وليس أي مكان آخر، فكل ملامح الجغرافيا المقدسية مشارٌ إليها في النص.

فالقدرة يحمل اسمها وادي قدرون، وهو الوادي الذي يحتفظ باسم القدرة بصيغتها السلتية قدرون، وكاير Vediwid هو غالبًا وادي الواد وهو وادي التربيون {أي الأرض المخصصة للصيد وفق اللغة السلتية}، والجزيرة ذات الباب القوي هي القدس نفسها والمربع المغلق هو المنطقة المقدسة على جبل الموريا، والدائرة الضيقة هي الصخرة المشرفة.

هوامش

{1} موري هوب، السحر السلتي العملي، ص 111.

{2} م. ن، ص 114.

{3} م. ن، ص 204.

{4} الملك آرثور، عن الإنترنت، ص 17.

{5} آدم ليفن، عن الإنترنت، ص 19.

{6} د. إذزارد وآخرون، قاموس الآلهة والأساطير، ص 122.

{7} فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، ص ص 197 و198.

{8} ياسين عبد الرحيم، موسوعة العامية السورية، ص 368.

{9} فرانسوا لو روا وغويونفارش، مدنية السلت، ص ص 26، 27.

{10} المعجم الوسيط، ص 89.

{11} م.ن، ص 537.

{12} م. ن، ص 277.

{13} كمال الصليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص 166.

{14} موري هوب، السحر السلتي العملي، ص ص 198 و199.

{15} م. ن، ص 199

{16} م. ن، ص 200.

{17} م. ن، ص 201.

{18} مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ج 3، ص ص 103 و104.

{19} موري هوب، م.س، ص 198.

{20} م.ن، ص 199. ويلاحظ أن الـ Id هنا هي اختصار Idho التي هي ببساطة «عدو» أو لنقل النفس الدساسة.

{21} م. ن، ص 202.

{22} فراس السواح، لغز عشتار، ص 93.

{23} م. ن، ص ص 92 و93.

{24} م. ن، ص ص 90 و91.

{25} موري هوب، م. س، ص 197.

{26} م. ن، ص ص 197 و198.

{27} م. ن، ص 154.

{28} م. ن، ص 111.

{29} م. ن، ص 45.

{30} م. ن، ص 154.

{31} م. ن، ص 120.

{32} ماكس شابيرو وآخر، معجم الأساطير، ص 109.

{33} مرسيا إلياد، م. س، ص 119.

{34} م. ن، ص 120.

{35} موري هوب، م. س، ص 124.

{36} ماكس شابيرو، م.س، ص 109.

{37} موري هوب، م. س، ص 120.

{38} م. ن، ص ص 120 و121.

{39} م. ن، ص 121.

{40} م. ن، ص 123.

{41} مرسيا إلياد، م. س، ص 119.

{42} م. ن، ص 120.

{43} موري هوب، م. س، ص 121.

{44} م. ن، ص 121.

{45} م. ن، ص 161.

{46} م. ن، ص 122.

{47} م. ن، ص ص 122 و123.

{48} مرسيا إلياد، م. س، ص ص 118 و119.

{49} م. ن، ص 118.

{50} موري هوب، م. س، ص 53.

{51} آدم ليفن، م.س، ص 15.

{52} موري هوب، م. س، ص 124.

{53} مرسيا إلياد، م. س، ص ص 120 و121.

{54} موري هوب، م. س، ص ص 124 و125.

{55} مرسيا إلياد، م. س، ج 2، ص 167.

{56} موري هوب، م. س، ص ص115.

7 – عائلة آرثــور

لا شك أن أحد العناصر الهامة في تحديد ملامح الشخصية المدروسة، وهل هي تتعلق بإله أم بإنسان، إنما تتمثل في عائلته. فممن تتكون عائلة آرثور؟.

حسب بعض المصادر، فإن الجد الأعلى لأرثور كان اسمه كونان أو كنعان Conaan، يليه جد اسمه أوربين أو عربين Urbien ثم يعقبه سليمان Solomon. وكان اسم الجد المباشر من ناحية الأب هو كونستانتين، بينما اسم الجد المباشر من ناحية الأم هو أملاود أو عملاود Amlawdd. وأما الجدة من ناحية الأم فهي جويرت Gwert. وسبق أن ذكرنا أن والد آرثر المدْعى هو أثر أو أثير بن دراغون، وأن والدته إجيرنا.

لنتوقف بداية عند هذه المجموعة من الأسماء لنرى إن كان منها ما هو مشتق من أسماء الأماكن في المنطقة العربية قبل أن نتابع البحث عن عائلة آرثور، مع العلم بأنه من المنطقي أن نسلم بداية بأن الأسماء الواردة

في أسطورة آرثور بمضامينها المتعددة لا تخلو من وجود اجتهادات للمؤلفين، وليس من الضرورة أن تكون جميعها عائدة للوطن القديم.

نقف أولًا عند اسم الجد الأعلى. ونلاحظ بداية أنه يكاد يكون صيغة نطق سلتية من اسم «كنعان» جد الكنعانيين المفترض. ومع ذلك، فإننا لا نرى مسوّغًا في استبعاد الاحتمالات الأخرى في صيغة الاسم. وعندئذ، يمكننا أن نورد أسماء المواقع التالية التي يمكن أن تكون لها صلة اشتقاق من الاسم السلتي بقراءاته المحتملة المتعددة

1 – القنان: يورد ياقوت قول أبي عبد الله السكوني: إذا خرجت من حبشي جبل يمنة عن سميراء سرت عقبة ثم وقعت في القنان، وهو جبل فيه مياه يدعى العسيلة، وهو لبني أسد. وقال الأزهري: قنان جبل بأعلى نجد. وبئر قنان: موضع.

2 – القنانان: كأنه تثنية القيان. والواقع إنها صيغة سلتية معروفة في التسميات مثل منان = منانان.

ويرد في شعر لبيد ذكر صحراء القنانين في قوله

فنكب حوضي ما يهم بوردها يمر بصحراء القنانين خاذلا

3 – القنع: حكى نصر أن القنع جبل وماء لبني سعد بن زيد مناة بن تميم باليمامة على ثلاث ليال من جو الخضارم.

4 – القنع: اسم ماء بين الثعلبية وجبل مربخ.

5 – قنوان: جبلان تلقاء الحاجر لبني مرة، وهي من جهة الغرب عن الحاجر.

6 – قنونى: من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن منجهة مكة قرب حلي.

7 – قنوى: اسم جبل.

8 – قنيع: ماء بين بني جعفر وبين بني أبي بكر.

9 – القنيعة: بركة بين الثعلبية والخزيمية بطريق مكة لأم جعفر.

10- قنيّ: من قرى اليمامة بناحية الريب.

11- قنينات: موضع في حرم مكة.

12- القنينيات: اسم حفر في بلاد بني تغلب يقال له القنيني ويجمع على القنينيات.

13- كنانة: خيف بني كنانة مسجد منى بمكة، وشعب بني كنانة بين الحجون وصفي السباب.

14- كنّ: اسم جبل.

15- كِنَن: جبل باليمن من بلاد خولان العالية عال يرى من بعد.

16- كَنَن: جبل من أعمال صنعاءعلى رأسه قلعة يقال لها قيلة لبني الهرش.

17- آل كنعان: في وادي بيشة.

18- القِنعان: قبيلة في عسير.

19- قنن: قرية في منطقة المجاردة.

20- بيت القانعي: من قرى جبل مسار غربي مناخة.

21- الكونعة: من قرى حصن ظفران بوصاب العالي.

22- قنا: ميناء حضرموت اشتهر قديمًا. وموضع في أعلى حيس.

23- قنات وقنيامواقع في لبنان.

24- الكنان وكونا وكونين: مواقع في لبنان.

25- كنا: موضع بالجوف في اليمن يسمى أيضًا كنن.

26- كنة: عزلة من ناحية دمت وأعمال النادرة.

إن الجد الذي يلي كنعان أو كنان هو أربين Urbien. وثمة مواقع عديدة أيضًا يمكن أن تكون لها صلة باسم هذا الجد في المنطقة العربية. ومن هذه المواقع

1 – أراب: موضع في شعر لسهيل بن عديّ.

2 – إراب: من مياه البادية. ويوم إراب من أيام العرب. ويخط اليزيدي في شرحه: إراب ماء لبني رياح بن يربوع بالحزن.

3 – أرابن: اسم منزل على نقا مبرك ينحدر من جبل جهينة على مضيق العفراء قرب المدينة.

4 – أربونة: بلد في طرف الثغر من أرض الأندلس.

5 – أرَبَة: اسم مدينة بالمغرب.

6 – عربين: بلدة في غوطة دمشق.

7 – عَرَبان بليدة بالخابور من أرض الجزيرة.

8 – عَرَب: ناحية قرب المدينة المنورة.

9 – العروب: اسم قريتين بناحية القدس في فلسطين.

10- عربونة: موقع في فلسطين.

11- إرياب: عزلة واسعة في بلاد يريم من أعمال ذمار تشمل أكثر من أربعين قرية.

12- بنو عريب: وطن في بلاد رداع.

13- جرن عريب: بلدتان في الكلاب.

14- عربية: خربة في بلدة بني نعيم بمنطقة الخليل.

15- ريبون: في لبنان.

16- ريبون: قرية خربة بحضرموت قرب حريضة.

17- بيت ريب: حصن في جبل مسور المنتاب وأعمال صنعاء.

18- قصر أربة: لبنان.

يأتي الآن الجد سليمان {سولومون}. ولنلاحظ أن هذه الصيغة مشتقة من العربية سليمان وليس من

التوراتية شلمي. ومن بين المواقع التي تحمل هذا الاسم

1 – ساقية سليمان: قرية مشهورة من نواحي واسط.

2 – سَلمُنت: موضع قرب عين شمس في مصر.

3 – سُلمانان: اسم موضع قرب برقة. هما أيضًا واديان في جبل لغنى يقال له سُواج. وسلمانين واد يصب على الدهناء شمالي الحفر حفر الرباب بناحية اليمامة بموضع يقال له الهُرار.

4 – سلمانان: من قرى مرو.

5 – سلمان: قيل هو جبل. وقال أبو عبيد السكوني: السلمان منزل بين عين صيد وواقصة والعقبة، وبين عين صيد والسلمان ليلتان، وواقصة دون ذلك. وبين العقبة والسلمان ليلتان. قال: والسلمان ماءٌ قديم جاهلي وبه قبر نوفل بن عبد مناف، وهو طريق إلى تهامة من العراق في الجاهلية. قال أبو المنذر: إنما سُمّي طريق سلمان باسم سلمان الحميري وقد بعثه

ملك في جيش كثير يريد شمر يرعش بن ناشر ينعم بن تبع بن ينكف الذي سُمِّي به سمرقند لأنه كسر حائطها. وفي كتاب الجمهرة: ولد عمم بن نمارة بن لخم بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد مالكًا، وسلمان الذي سمّي به حجارة سلمان وكان نازلًا هناك، وهو فوق الكوفة. وكان من مياه بكر بن وائل. ويوم سلمان: من أيام العرب المشهورة لبكر بن وائل على بني تميم. وقال نصر: سلمان بحزن بني يربوع موضع آخر.

6 – سليماناباذ: محلة أو قرية من نواحي جرجان، نسب إلى سليمان. وسليماناباذ من نواحي همذان.

7 – ساليمانيستا: الصيغة الرومانية لبلدة سالة وهي قرية أثرية في محافظة السويداء.

8 – سالمية: قرية في منطقة شهبا من محافظة السويداء.

9 – السلمية: مدينة سورية ترقى إلى الألف الثالث قبل الميلاد.

10- سلمين: قرية في محافظة درعا.

11- برك سليمان: قرب أرطاس في فلسطين. ولنلاحظ أن اسم أرطاس يتفق مع إحدى الصيغ التي يرد فيها اسم آرثور عند السلت.

12- عراق سليمان: موقع في بلدة بيت جبرين بمنطقة الخليل، ويحتوي على مغارة محفورة في الصخر وقاعات وممر وغرفة بها صهريج ومغر ومعاصر منقورة في الصخر. وفي البلدة أيضًا كهف آخر اسمه عراق الخيل.

بعد سولومون يأتي الجد المباشر لآرثور وهو كونستانتين. وواضح أن صيغة الاسم شائعة بالقاف أكثر من الكاف. ومن أسماء المواقع التي يمكن أن تكون لها صلة بهذا الاسم

1 – القسطينة: قرية تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة غزة، وتبعد عنها 38 كم على طريق القدس – غزة.

2 – قسطانة: قرية بينها وبين الري مرحلة في طريق ساوة يقال لها كستانة.

3 – القسطنطينية: عاصمة الروم في المشرق. واسمها اليوم اصطنبول في تركيا.

4 – قسنطانة: حصن عجيب من عمل دانية بالأندلس.

5 – قسنطينية: مدينة وقلعة يقال لها قسنطينية الهواء. وهي قلعة كبيرة جدًا حصينة عالية لا يصلها الطير إلا بجهد. وهي من حدود إفريقية {الجزائر}.

إن جدّ آرثور من ناحية الأم هو أنلاود أو أملاود. ولعل أساس الاسم هو لاود أو لاوذ مع العلم بأنه يمكن أن يتطابق مع اسم أملد أو أملط، وعموما هنا مواقع عديدة يمكن أن تكون لها صلة بهذا الاسم منها

1 – اللدمن مدن فلسطين المعروفة.

2 – لود بار: موقع في فلسطين كان في منطقة الخليل.

3 – بيت ليد: بلدة في فلسطين.

4 – خربة بيت ليد: بلدة في فلسطين.

5 – خربة لد: قرية في فلسطين.

6 – لوذ الحصى: موضع في جزيرة العرب.

7 – لوذ: جبل باليمن بين نجران بني الحارث وبين مطلع الشمس. وليس بين اللوذ وبين مطلع الشمس من تلك الناحية جبل يعرف.

8 – لوذان: في رجال ألمع.

9 – اللد: في منطقة الليث.

10- اللدة: في منطقة الجائزة.

11- لوذان: في منطقة القصيم بنجد.

12- لدّانفي منطقة الطائف.

13- اللد: في منطقة الطائف.

14- ألوذ: موضع في شعر هذيل

رب هامة تبكي عليك كريمة بألوذ أو بمضاجع الأضجان

والأضجان ببلاد هذيل بتهامة.

15: فج المولدة: قرية في الجوف الأعلى في اليمن.

16- أملط: من مخاليف اليمن.

وأما الجدة من ناحية الأم فهي جويرت Gwert. وهو اسم يمكن أن يتقولب في صيغ متعددة. وقد يكون له صلة بموقع جيروت: من بلاد مهرة بأقصى أرض قضاعة، أو جيّرة: موضع بالحجاز في ديار كنانة وقيل على ساحل مكة. ولكن إذا كان الاسم هو عويرت، فإن عوير بلدة في جزيرة العرب، وعوير جبل في البحر بين البصرة وعمان. وعوير من قرى الشام أو ماء بين حلب وتدمر. والعيرة موضع بأبطح مكة. والعير جبل بالمدينة المنورة، والعير واد. وأما إذا كان الاسم بصيغة غويرت، فإنه عدا عن دلالة الغور يمكن أن

يأخذنا إلى مواضع كثيرة مثل الغرو وغرة وغُرَي وغريان والغريان والغرية والغوارة وغورة وغورين والغوير وغيران. والغرو موضع قرب المدينة المنورة، وغريان قلعة باليمن في جبل شطب، والغرية قرية من أعمال زرع من نواحي حوران، والغُريَّة أغزر ماء لغنيّ قرب جبلة، وغُريّ ماءٌ في قبلي أجأ، والغوارة قرية بها نخل وعيون إلى جنب الظهران، والغورة موضع أقطعه النبي {صلعم} مجّاعة بن مرارة من نواحي اليمامة، والغوير ماء لكلب بأرض السماوة بين العراق والشام، والغوير ماء بين العقبة والقاع في طريق مكة، وغوير موضع في شعر هذيل. ومن الممكن أن يكون هذا الاسم دالًا على الجورة، والجورة قرية على الساحل الفلسطيني، كما أن هناك خربة تدعى الجورة في خراج بيت أولا بمنطقة الخليل. وغوار موقع في لبنان. وكفر جرّة بلدة بلبنان، وذي جرّة الاسم القديم لبلاد سنحان والروس واليمانيتين من خولان جنوب صنعاء.

قيل إنه كان لآرثور أعمام هم: مينس Maines وباندراغون وأوريليوس أمبروزيوس. ومن بين هؤلاء

يستوقفنا هنا مينس لأن الآخرين عولجا في موضع آخر، حيث يتداخل اسم باندراغون مع اسم الأب أثر بن دراغون، بينما عدَّ الاسم الثاني عائدًا لمرضن{مرلين}. وما لم يكن هو الاسم العربي مؤنس، وقد يلفظه بعضهم «مئنس»، فإنه غالبًا من الجذر منس ما لم تكن نهاية الـ es مقحمة. عندئذ قد يكون أصل الاسم «معن» أو «معين»، وربما تمثل في موقع معان المعروف في شرقي الأردن، أو في موقع معين وهي بلدة في ذي جبلة باليمن، ومملكة معين اليمنية. وتل معين جنوب جبال الخليل على بعد نحو 14كم الى الجنوب الشرقي من الخليل ونحو 6كم جنوب شرقي يطا وهو تل على قمته آثار بلدة معون الكنعانية، ويعنينا هنا بشكل خاص كونه في محيط الموقع الذي تركزت فيه أسماء الأماكن المتعلقة بأسطورة آرثور. ولكن اسم مينس أيضًا يمكن أن يتمثل في منيش من قرى باقم في صعدة، ثم من عزلة بني معافى باليمن. وعدا ما سبق هناك أيضًا بئر معونة بين أرض عامر وحرة بني سليم، ومعين اسم حصن باليمن، والمعينة من قرى مخلاف سنحان.

ويمكن أن تكون لهذا الاسم صلة مع اسم مناع وهي هضبة في جبلي طيء، ويقال المناعان وهما جبلان. وهناك المناعة اسم جبل، كما أن الاسم يستدعي «مناة» وهي من آلهة العرب في الجاهلية، وكانت صخرة لهذيل. وهناك عديدٌ من المواقع التي تبدأ بلفظة «منية» أو «منى». والمونسية قرية في صعيد مصر على شرقي النيل دون قوص، والمينا منزل بين صعدة وعشر من أرض اليمن، و«مينز» من قرى نسا باليمن، وهي طبق الأصل من اسم مينس. والمعنية بلدة في لبنان، واسم لست قرى في اليمن. وبنو معين عزلة من ناحية حبيش باليمن. ومؤنس بلدة في لبنان، وبني مونس من قرى همدان.

كان لآرثور أيضًا خالٌ اسمه «دوق إليس». ويمكن أن نلتقي باسمه أيضًا في مواقع منها: ألش مدينة بالأندلس من أعمال تدمير، وفي «ألعس» اسم جبل في ديار بني عامر بن صعصعة، وفي ألوس بلدة قرب عانات والحديثة في العراق، وفي «أليس» وهو الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس

في أول أرض العراق من ناحية البادية، وهي من قرى الأنبار. وآلس هو اسم نهر سلوقية قريب من البحر بينه وبين طرسوس مسيرة يوم. وظهر الليسينة: موقع في لبنان. ولسيا مخلاف بعمان، ولسيس من حصون زبيد باليمن. وإذا كان الاسم عليس بالعين، هناك عالز اسم موضع جاء في شعر الشماخ، والعلث قرية على دجلة بين عكبرا وسامراء، وعلوس اسم قرية، وعلوس{بتشديد اللام} من قلاع الأكراد من ناحية الأرزن. وعوالص جبل لبني ثعلبة من طيء. واللسي جبل معروف شرقي مدينة ذمار، ولاسا بلدة في لبنان.

وكان لآرثور أختٌ تسمّى غويار Gwyar، التي كانت أم جوالشماي، الذي يعني اسمه صقر مايو، وجوالشيفد، الذي يعني اسمه صقرالصيف {جوال الصيف}. وكان جوالشماي معروفًا أكثر في الليجندات الفرنسية والانكليزية باسم قاوين Gawain أو Gauvain. ولكن هناك اضطراب متعدد في تحديد أخوات آرثور ومن كانت أم قاوين في سياق الليجندة الآرثورية.

وطبقًا لجيوفري وويس وليامون فإن أثر وإغرين كانا والدين لآرثور ولابنة تدعى أنّا Anna {حنّة} والتي تزوجت الملك لــوت Lot ملك أوركني Orkney. وقد اعتبرت مورغان لو فاي أيضًا أختًا لآرثور. ولكن ليس من المؤكد إن كانت أخته أو نصف أخته. ولم يذكر جيوفري أبدًا اسم مورغان في تاريخه، ولكن في عمله الأخير {Vita Merlini} الصادر 1151 فإن مورغان كانت واحدةً من الأخوات والساحرات اللواتي عشن في أفالون. وفي مؤلف جيرالد الويلزي المسمّى Tour of Wales الصادر 1188م جرى تعريف مورغان بالإلهة الويلزية الأم مودرون Modron، أمّ مابون Mabon الإله الويلزي للشباب. ومودرون جرى تعريفها أيضًا على أنها زوجة أورِين ريقيد Uryen Rheged المعروف أيضًا باسم Urien، وأم أُوين Owain / Yvain. ويرد في الليجندات اللاحقة أنه كان لآرثور ثلاثة نصف أخوات هن مورقوس Morgawse وإيلين Elaine Blasineومورغان لو فاي. وقد تزوجت مورقوس من «لوت» ملك أوركني، وإلين {بلاسين} من نتتريه Nentres ملك غارلوت

Garlot، بينما كانت مورغان زوجة أوريين ملك غور Gorre، وهو أخو «لوت»{1}.

لنتوقف قليلًا عند مجموعة الأسماء السابقة.

نقف بداية عند اسم «جويار». وهنا قد نجد هذا الاسم بين مواقع مثل: الجوار شعبٌ بالحجاز قرب المدينة في ديار مزينة، أو الجيار موضع من أرض خيبر. وهناك جيّار موضع بالبحرين، وجيّر كورة من كور مصر القبلية، وجيران جزيرة في البحرين بين البصرة وسيراف، وجوران قرية على باب همذان، وجور مدينة بفارس لبينها وبين شيراز عشرون فرسخًا، وجور قرية من قرى أصبهان. وهناك موقع جوفر، ويقال ذو جوفر واد لبني محارب بن خصفة. ولنتذكر موقع الجورة الساحلي في فلسطين والواقع بجوار عسقلان حتى أنها توصف بجورة عسقلان.

ولننتقل الآن إلى اسم ابنها المفترض قاوين.

إن اسم «قوين» يبدو واسع الانتشار في المنطقة العربية، ولكن ربما لتداخله في بعض الحالات مع اسم قاين والقين وقوفانون أو قوييبنيو. وقد رأينا أنه عرف أيضًا باسم جوالشماي {الجوال السماوي} وجوالشيفيد {جوال الصيف}. وعلينا أن نميز أيضًا في التسميات السلتية بين قاوين موضع البحث هنا وقوين «=قوٍ} وقويون {=قويٌ}، حيث تختلف دلالة الاسم في كل حالة كما هو الحال في العربية إذ تدل كلمة قوٍ على الضعف بينما تدل قويٌ على القوة. ومع ذلك، فإننا إذا اقتصرنا على الأسماء الأقرب إلى صيغة اسمه، سيكون بوسعنا الإشارة إلى المواقع التالية

1 – القفيان: وهو موضع.

2 – قوّان: موضع في قول ذي الرمة

جاد الربيع إلى روض القذاف إلى

قَوَّيْنِ وانحسرت عنه الأصاريم

3 – قون: اسم موضع.

4 – قونية: المدينة المعروفة في آسيا الصغرى.

5 – قوين: قال الليث: قونٌ وقوين موضعان.

6 – أم القيوين: إحدى الإمارات العربية المتحدة.

7 – قيوان: موضع بصعدة من بلاد خولان باليمن.

8– قينية: قرية كانت مقابل الباب الصغير من دمشق، صارت الآن جزءًا من المدينة.

9 – قفين: بلدة في فلسطين.

10- خربة كوفين: في بيت أمر بمنطقة الخليل.

11- كفين: قرية من منطقة عزاز من محافظة حلب.

12- قيفة: من قبائل رداع شرقًا وغربًا في اليمن.

13- قين: ماءلفزارة.

14- قين: من قرى عثر في أوائل اليمن.

15- قينة: قرية من عزلة جبل مرَّان ناحية حيدان.

16- قينة: من قرى جبل عيال يزيد.

17- القان: من بلاد اليمن في ديار نهد بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة.

18- قينان: بلدة في سافلة نقيل صيد {سمارة}.

19- قينة: بلدة من مخلاف حجاج ناحية جبن بالجنوب من رداع.

20- القاين: قرية قديمة وهي خربة يقين الكنعانية على بعد 3 أميال جنوب شرق الخليل.

21- كيفون: بلدة في لبنان.

وأما عن اسم «جوال» الذي يعني الصقر في السلتية، فيمكننا أن نقف عند المواقع التالية

1 – جيلا: بلدة في لبنان.

2 – وادي جيلو: في لبنان.

3 – بيت جالا: في فلسطين شمال غرب بيت لحم.

4 – الأجاول: موضع قرب ودّان فيه روضة الأجاول.

5 – جوالة: حصن في وادي نخلة.

6 – هجرة الجيلاني قرية تهامية.

7 – حي جيلو: في مدينة القدس.

8 – جالا: قرية تابعة لبيت أمر في قضاء الخليل.

وأما عن أخت آرثور المدعوة «أنّــا»، ولعل صحيحه «حنّة» فإننا نجده في الصيغتين

1 – أنّــا: يقول ياقوت: عدة مواقع بالعراق – عن نصر.

2 – أُنَـــى: وادٍ قرب السواحل بين الصّلا ومدين يطؤه حجاجُ مصر، وفيه عينٌ يقال لها «عينُ أُنى».

3 – أنىاسم بئر في المدينة من آبار بني قريظة. وهناك نزل النبي {صلعم} لما فرغ من غزوة الخندق وقصد بني النضير.

4 – الحناءتان: نقوان أحمران من رمل عالج.

5 – الحنَّاءة: موضع.

6 – الحنَّانة: ناحية من غربي الموصل.

7 – الحنان: كثيب كبير كالجبل. والحنَّان: رمل بين مكة والمدينة قرب بدر. وهناك أيضًا أبرق الحنَّان.

8 – بردس حنَّا: بلدة في فلسطين.

9 – صندحنا: بلدة في فلسطين. وهي في محيط مجموعة مواقع تجسد أسطورة آرثور.

10- بيت حنينا: موقع في فلسطين.

11- دير حنا: بلدة في فلسطين.

12- حنن: موضع في اليمن ورد في نقوش يدع أمر من مكربي سبأ. كما وردت في نقوش ذرحان أشوع في حضرموت، وهي في بلاد تمنع {تمنة}.

13- حنان: بلدة بالجوف في اليمن.

14- الحنان: رمل بين مكة والمدينة قرب بدر.

15- حنين: واد قريب من مكة.

16- حنوفي بلاد البقوم بتهامة عسير.

أما اسم الملك «لوت»، فنجده في موقع «باب لُت»، وهي قرية بالجزيرة بين حران والرقة. ولواتة ناحية بالأندلس، وقبيلة من البربر. لكن هذا الاسم يمكن أن يكون هو لد. وقد عالجناه بهذه الصيغة في موقع آخر.

والغريب أن نجد عددًا من المواقع التي يمكن مقابلتها مع اسم مملكتــه التي يفترض أنها في بريطانيا «أركني». فهناك «أرقانيا» يذكر ياقوت أنه اسم لبحر الخزر، وهناك أرقنين: بلد بالروم غزاه سيف الدولة.

وهناك «أركان» ماءٌ بأجأ أحد جبلي طيىء لبني سنبس. وهناك أُرُك: جبل، وقيل اسمُ مدينة سلمى أحد جبلي طيء. ويوم ذي أُرُك من أيام العرب، وهو واد من أودية العلاة بأرض اليمامة. وأرك: مدينة صغيرة في طرف برية حلب قرب تدمر، وأرك أيضًا طريق في قفا حَضَن: جبل بين نجد والحجاز. وأركون: حصن منيع بالأندلس. وأريك اسم جبل بالبادية. وقيل جبلان أسود وأحمر إلى جنب النقرة. وقيل: أريك جبل قريب من معدن النقرة شقٌّ منه لمحارب وشقٌّ لبني الصادر من بني سليم. وهناك أريكة، ماء لبني كعب بن عبد الله بن أبي بكر بقرب عفلان. وإذا كان أصل الاسم هو «عرقني» فمن حقنا عندئذ أن نفكر في موقعي عراق سويدان وعراق المنشية في فلسطين. وكذلك في عراق سليمان وعراق الخيل في بلدة بيت جبرين.

إن اسم مورغان لو فاي أيضًا. يمكن أن نجده في اسم «مرجانة/ مرغانة» وهو سفح مرجانة في جبل أروند، والأمراج موضع في شعر الأسود بن يعفر بالجو في اليمامة. و«مرغة» بين مكة وبدر. ومراغة بلدة عظيمة

في بلاد أذربيجان. وإذا كانت الغين مبدلة من العين هناك مريع اسم موضع بين نجران وتثليث على طريق المختصر من حضرموت. وثمة احتمالات أخرى منها بئر مرق بالمدينة المنورة، ومورق غرب دورا الخليل، ووادي مور في تهامة اليمن، وخربة مرّينا في بيت أمر بالخليل.

وأما لقب فاي، فنجده في موقع فاوة من مخاليف الطائف، وموقع فايا بين منبج وحلب وكانت كورة كبيرة. وربما أيضًا في موقع قرية الفاو في وادي الدواسر. وفأو طريق بين قارتين بناحية (الدو) بينهما فج واسع يقال له (فأو الريان). وفاو قرية بالصعيد شرقي النيل. وهناك كفر فو في لبنان، وعزلة فو في اليمن، والفواهة: عزلة من ناحية جبل راس وأعمال الحديدة بالشرق الشمالي لمدينة حيس باليمن، وفيّ من قرى الصغد. ويمكن لاسم فاي أن تكون له صلة بالمصدر فاح. وفيحان موضع في بلاد بني سعد، وقيل واد. وفيحة من ديار مزينة.

وقد رأينا أن بعضهم اعتبرها مودرون وأم مابون. وربما كان اسمها مختلطًا ببعض الصيغ في أسماء الأماكن العربية. فهناك مثلًا ماذرايا وكانت قرية فوق واسط في العراق. وهناك المدراء اسم ماء بنجد لبني عقيل وآل الوحيد بن كلاب وماءة لبني نصر بن معاوية برُكبة، وبنعمان هذيل جبل يقال له المدراء. ومَدرى: جبل بنعمان قرب مكة. ومدرى: موضع. قيل: ومن مياه الضباب المَدْرى على ثلاث ليال من حمى ضرية من جهة الجنوب. المدراة: اسم واد. وهناك مديرا بجوار دوما قرب دمشق. والمدار موضع بالحجاز في ديار عدوان أو غدانة. ومدران موضع في طريق تبوك من المدينة. ومدر قرية باليمن على عشرين ميلًا من صنعاء. والمدر اسم جبل أو واد. والمدرة موضع.

وأما زوجها المدعو «أورين رقِد»، فقد نجد اسمه متمثلًا في بعض أسماء المواقع التالية

1 – إرَن: موضع في ديار بني سليم بين الأتم والسوارقية على جادة الطريق بين منازل بني سليم وبين المدينة.

2 – أروان: اسم بئر بالمدينة، وقد جاء فيها ذروان وذو أروان.

3 – الأرين: خيفُ الأرين من نواحي المدينة المنورة.

4 – أُرَينة: من نواحي المدينة المنورة.

5 – أريان وأرينة: من أسماء القدس.

6 – إريانبلدة مشهورة تقع ضمن ناحية القفر بالجهة الغربية من يريم باليمن.

7 – أوار: موضع في شعر ابن أبي خازم

من اللائي غذين بغير بؤس منازلها القصيمة والأوارُ

والقصيمة وأوار باليمامة.

8 – أوارة: بناحية البحرين.

9 – رون والرونة: عزلة وواد خصيب من ناحية بني حشيش باليمن. وبلدة وقرية في شرعب.

10- أرنم: واد حجازي، وقيل فيه أريم.

11- أروي: مدينة تابعة للمعافر.

12- إير: ناحية بالمدينة.

13- يارون: في لبنان.

14- يارين: في لبنان.

15- رونة المقاش: من أعمال صعدة باليمن.

16- يرنا: اسم رملة في جزيرة العرب.

وإذا كان الاسم أصلًا يبدأ بحرف العين، أي عرين أو عورين، فيمكننا أن نقف عند المواقع التالية

1 – عرناية: في لبنان.

2 – عرنو: في لبنان.

3 – العرين: عزلة في اليمن.

4 – بطن عرنة: واد بحذاء عرفات.

5 – عرنة: في الجولان بسوريا.

6 – العرنية: في فزارة.

وأما اسمه رقد Rheged فإنه يستدعي المواقع التالية

1 – رقد: من بلاد غطفان.

2 – الرقيدات: ماء لبني كلب.

3 – رهقة: حصن في جبل ملحان بالمحويت.

4 – رخية: بلدة من بني ضبيان من مخلاف جبن رداع.

5 – رخية: من بلاد حضرموت من جهة الشمال.

6 – راخية: بلدة في رداع من أعمال ذمار.

7 – ركضة: من أسماء زمزم.

وفيما يتعلق باسم «عوين» Owain أو Yvain، فنجده في مواقع منها

1 - عوانة: ماءان بالعرمة.

2 - العوانة: موضع جاء في الأخبار.

3 - عوائن: جبل بالسراة كثير العشب.

4 - عُيانة: حصن من حصون ذمار باليمن.

5 - عِيانة موضع في ديار بني الحارث بن كعب بن خزاعة.

6 – عونيات: في لبنان.

7 – عونية: في لبنان.

8 – عوين: قرية في البيضاء باليمن، منها العليا والسفلى.

9 – العوينة / العوينات: في قضاء إزرع بسوريا.

10- عنة: من مخاليف اليمن.

11- بيت عينون شمال شرق الخليل بمسافة 5 كم. موقع أثري يعتقد أنه يقوم على رقعة بيت عنوت الكنعانية.

12- عيان: بلد باليمن من ناحية مخلاف جعفر.

13- عينين: جبل بأحد.

14- عينان هضبة جبل أحد بالمدينة.

15- عينان: جبل باليمن بينه وبين غمدان ثلاثة أميال.

16- عينين: ماء في ديار عبد القيس بالبحرين.

وربما كان هذا الاسم قائمًا في اسم العونيد وهو موضع قرب مدين بين مصر والمدينة قرب الحوراء. والعويند أيضًا قرية باليمامة لبني خديج إخوة بني منقر. وقيل العويند: من مياه بني نمير ببطن الكلاب. وإذا قُرئ بالفاء فهناك «عفينة» في منطقة صلخد في

جبل العرب. وإذا قرئ بصيغة أوين فهناك أيوان حصن في قرية العزازي من جبل إريان وأعمال يريم. وأون موضع يقال ذي أوان أوذات أوان في الجزيرة قرب المدينة المنورة بينهما ساعة من نهار.

وننتقل إلى «مورقوس»، فنجد اسمها في موقع «مركوز»، وهو جبل في شعر الراعي، يصف نساء، ومما يرد فيه

بأعلام مركوز فعنز فغرّبٍ مغاني أم الوبر إذ هي ما هيا

وهناك أيضًا مَرقص بلدة ناحية الحزم في اليمن.

وربما أمكننا أن نضيف إليه اسم «موركيش» وهو حصن من أعمال أشبيلية.

والآن، ماذا عن إلين {بلاسين}؟

هناك موقع قرب مراكش بالمغرب اسمه «إيلان»، وآلين من قرى مرو على أسفل نهر خارقان، وألات عين بإضم من ناحية المدينة، وألات ذي العرجاء والعرجاء أكمة،

وألاتها قطع من الأرض حولها. وألال اسم جبل بعرفات، وقيل جبل عرفة نفسه. وأليون مدينة بمصر، وألية ماءة من مياه بني سليم. وألية اسم إقليم من نواحي إشبيلية، وإقليم من نواحي إستجة بالأندلس. وأليون بلدة في عزلة بني سيف من المواسط بالحجرية في اليمن. ولكن إذا قُرئ الاسم بصيغة «علين» فسنجد الكثير من الـمواقع التي تحمل أسماء مشتقة منه. ومن هذه المواقع

1 – العلا: اسم لموضع من ناحيــة وادي القرى بينها وبين الشام نزله رسول الله {صلعم} في طريقه إلى تبوك.

2 – العلا: موضع في ديار غطفان.

3 – العلاء: موضع بالمدينة أطم أو عنده أطم.

4 – العلاتين: كورة بنواحي حمص بالشام.

5 – العلاة: جبل في ديار النمر بن قاسط لبني جشم بن زيد مناة. وعلاة لبني هزان باليمامة. وعلاة حلب:

بالشام. والعلاة والعليّة لبني هزان وبني جشم والحارث ابني لؤي. والعلاة: كورة كبيرة من عمل معرة النعمان.

6 – علان: من نواحي صنعاء اليمن.

7 – العلانة: من نواحي ذمار باليمن. حصن أو بلد.

8 – العلاية: اسم موضع.

9 – عللان: ماء بحُسمى.

10- عَلن: واد في ديار بني تميم.

11- العليّة: العليّة والعلاة: جبلان باليمامة.

12- العالية: قرية في منطقة تل أبيض بالرقة.

13- علاَّ: موقع أثري في مركز ومنطقة محافظة السويداء.

14- عليا قرية في منطقة شهبا. وغيرها كثير.

15- خربة علين: في خراج بلدة صوريف في قضاء الخليل. وبجوارها خربة كرابين وخربة أبي الشوك، مما يرجح وجود علاقة للموقع بأسطورة آرثور.

16- عاليتا: في لبنان.

17- عالية: في لبنان.

18- العال: قرية في سوريا.

19- عولي: وطن وجبل العوالي في اليمن.

20- العالية: ما فوق نجد إلى أرض تهامة وإلى ما وراء مكة.

وأما بصيغة «بلاسين»، فيمكن رصد أسماء مواقع منها

1 – بلاس: بلد بينه وبين دمشق عشرة أميال {حوش بلاس}.

2 – بلست: من قرى الاسكندرية.

3 – بلس: جبل أحمر في بلاد محارب بن خصفة.

4– أبلستين: مدينة قديمة مشهورة في الشمال السوري قريبة من أفسس مدينة أصحاب الكهف.

5 – طر فلسية / طر فلسين: مواقع في لبنان.

6 – كفر فالوس: بلدة في لبنان.

7 – المفاليس: جبل وقرى عامرة في الحجرية باليمن.

هناك في الواقع أسماء أخرى ظهرت في مصادر أخرى لأشخاص من عائلة آرثور. ولا بأس من تقصِّي هذه الأسماء.

من بين أبناء الأخ أو الأخت يظهر إلى جانب قاوين وعوين كل من: أغرافين Agravaine أو أعرافين وغاهيرس Gaheris وغاريث Gareth وأخيرًا غاليشن Galeshin.

إذا أخذنا الاسم الأول بصيغة أعرافين فقد نجد هذا الاسم في مواقع مثل: الأعارف جبل باليمامة، والأعراف ومنها أعراف لبنى وأعراف غمرة وأعراف نخل. ويوم الأعراف من أيام العرب. وهناك مواضع عديدة يقال لها عرفة. والأعرف اسم للجبل المشرف على قعيقعان بمكة. والأعيرف جبل لطيء لهم فيه نخل يقال له الأفيق. وإذا كان الاسم بحرف الغين، يمكن أن نجده في مواقع كثيرة، منها: الغراف وهو نهر كبير بين واسط والبصرة، وغرف موضع، وغرفة اسم قصر باليمن، وغرفة موضع من اليمن بين جرش وصعدة في طريق مكة. والغرفي موضع باليمن. وغريف جبل لبني نمير. وعمود غريفة أرض بالحمى لغني بن أعصر. قال أبو زياد: التسرير واد، وفيه ماء يقال له غريفة ولها جبل يسمى غريفًا. وغريفة موضع بجوار دمشق، والغريفة موضع. ومن المواقع الأخرى غرفين وغريفة في لبنان، والجراف قرب صنعاء وأخرى في شرعب وثالثة حميرية بها آثار قديمة، والأجراف عزلة ناحية وصاب الساحل باليمن، وعفاص غرفين موقع في لبنان، وكفر جريف في لبنان أيضًا.

ويمكن أن يكون هذا الموقع متمثلًا في خربة كرابين في صوريف شمال غرب مدينة الخليل. ولنلاحظ أن المواضع المشتقة من المصدر غرف يمكن أن تكون لها صلة أيضًا باسم «أوغفران العملاق».

والآن ماذا عن غاهيرس؟.

هنا – خلافًا للحالة السابقة – قد يكون حرف الـ g مبدلًا من الجيم أو الغين أو حتى القاف. وقد تكون الهاء أصلية أو حرف وقف. عندئذ، هناك جروس من مدن الغور بين هراة وغزنة في الجبال. وجروس مياه لبني عقيل بنجد. وهناك الجريسات موضع بمصر. والجريسي موضع بين القاع وزبالة في طريق مكة على ميلين من الهيثم للقاصد مكة. والجريش موضع من ديار مضر قرب الرقة بسوريا. ومن الممكن أن تكون للاسم صلة باسم آل قراس: هضاب بناحية السراة، وآل قراس: جبل في ناحية هذيل. كما يمكن لهذا الاسم أن يكون غرزة وهي موضع في بلاد هذيل. والغريز ماء بضرية في ممتنع العلم يستعذبه الناس لشفاههم لقلته. وقريس: مدينة ولعلها في موقع

الخراب المعروفة بقريس بجانب قرية رصابة الكبيرة في سهل جهران باليمن. وقرادة موضع في لبنان.

وننتقل إلى غارث، ولعله غارس. كما يمكن أن يكون أصله قارظ أو قارط. ومنها قرظان من حصون زبيد باليمن، وذو قريظ موضع باليمن، وقراضة حصن باليمن لابن البليدم القدمي. وقراضم اسم موضع بالمدينة، وقراضية موضع معروف، وقرات واد بين تهامة والشام كانت به وقعة. وقرهد من قرى خولان بن عامر ناحية ساقين. والغرس بئر غرس بالمدينة وهي بقباء، ووادي الغرس بين معدن النقرة وفدك، وغرسة قرية بين الموصل ونصيبين.

ويبقى أخيرًا غاليشن وربما قاليشن. والاحتمالات المتعلقة بنطق هذا الاسم متعددة. ويمكننا تتبع هذه الاحتمالات ضمن المواقع التالية

1 – غلاس: حرة غلاس إحدى حرار العرب.

2 – غُلز: موضع في ديار غطفان كانت به وقعة لحصين بن الحمام المرّي.

3 – قالس: موضع أقطعه النبي {صلعم} بني الأحب من عذرة.

4 – قالوص: موضع بمصر.

5 – قانيش: حصن بالأندلس من أعمال سرقسطة.

6 – قلسانة: ناحية بالأندلس من أعمال شذونة.

7 – قلس: موضع بالجزيرة السورية.

8 – قلشانة: مدينة بإفريقيا.

9 – قلوس: قرية على عشرة فراسخ من الري.

10- قلوسنا: قرية على غربي النيل بالصعيد.

11- القليس: مدينة أبرهة بن الصباح باليمن.

12- قليوش: على ستة أميال من أريولة بالأندلس.

13- قنيلش: حصن بالأندلس من أعمال قرمونة.

14- جالصة: مدينة في وسط جزيرة صقلية.

15- جلس: الجلس عند العرب ما ارتفع من الأرض. وقد انتقلت هذه الكلمة مع السلت إلى بريطانيا، مثلما انتقل معهم اسم الغور للأماكن المنخفضة. وجبل جالس يقع إلى الشرق من مدينة الخليل بفلسطين مباشرة.

16- أم علاس: خربة في خراج بلدة بيت أولا في قضاء الخليل.

17- مغلس: وتقع شمال غرب الخليل بحوالي 30كم.

يرد في «الموسوعة الحرة» أن القليل نسبيًا من أعضاء عائلة آرثور في المواد الويلزية حملوا إلى أعمال جيوفري والروائيين الآخرين. جده أنلاود وليدغ وخالاته أو عماته لم يظهرن، وكذلك أبناؤهن. كما لم يظهر أي واحد من أبنائه أو علاقاته الأبوية. فقط العائلة النواة بدا أنها قامت بالرحلة: زوجته غوين

هويفار Gwenhwyfar{التي صارت غوينيفير Guinevere}. والده أثر. أمه إجيرنا. وابن أخته جوالشماي {قاوين}. وكما لاحظ روبرتس، فإن والدة جوالشماي – وهي أخت آرثور – فشلت في القيام بالرحلة، فمكان Gwyar أخذ من قبل أنّا Anna زوجة لوث في صياغــة جيوفري، بينما مدراوت Medraut {Mordred} صنع على أنه ابن أختٍ ثانٍ لآرثور {وهي حالة لم تكن قائمة في المادة الويلزية}. إضافةً إلى ذلك، فإن أعضاء عائلة جدد دخلوا التقليد الآرثوري من وجهة النظر اللاحقة. لقد أُعطـــي «أثَر» عائلةً جديدةً، شاملةً ابنًا وأبًا. بينما آرثور كسب أختًا، هي مورغان لو فاي Morgan le Fay {أول من اعتبرها أختًا لآرثور هو كريتيان دو ترويبه}، وولدًا جديدًا هو لوهولت Loholt في نص كريتيان المعنون إريك وعنيد «Eric and Enide». وثمة عضوٌ ذو مغزى في عائلة آرثور هي نصف الأخت مورقوس ابنة غورلو Gorlois وإجيرنا وأم قاوين وموردرد في الروايات الفرنسية {تحلّ محل أنّــا في رواية جيوفري في هذه الحالة}{2}.

في الأسطورة الويلزية، فإن الترياداة تُدوِّن ثلاث ملكات لآرثور. كلهنّ حملن اسم غوينهويفار. وكنَّ يسمّينَ غوينهويفار ابنة غوينــت {Gwent {Cywryd، وغوينهويفار إبنة غويثير Gwythyr ابن غريداول، وغوينهويفار ابنة غوغفران Gogfran العملاق. وهذا – في نظر بعضهم – يذكر بثلاثي آلهات الحرب الموريغان من ثلاث آلهات أمهات يقابلن دانو Dano في الأساطير الإيرلندية. في بعض الحالات، غوينيفير أو غوينهويفار كانت ترى كإلهة مثل مورغان لو فاي{3}. ونحن نميل إلى الاعتقاد بأن هؤلاء يمثلن فصول السنة.

ثمة وجهة نظر ترى أن آرثور اتخذ لنفسه زوجة من آلهات العالم الأسفل، ولا حاجة للدهشة إذا وجدنا أب غوينهويفار المسمى Ogyrvran شخصية تمثل في جميع الأبعاد التصور السلتي لحاكم العالم الأسفل. لقد كان عملاقًا في الحجم، وكان مالك القدرون التي خرجت منها ثلاث حوريات. وكان سيد الشعراء الذين اعتقدوا أنه الملهم لفنهم. وفوق هذا، فإن اسمه، إذا ما

حلل إلى أصله occur vran، يعني بران الشرير، أو الغراب، طائر الموت. ويقرن التقليد الويلزي آرثور بثلاث زوجات، كل منهن تدعى غوينهويفار. هذا الترتيب عينه قد يعزى إلى الولع السلتي بالثلاثيات، وإن المرء يمكن أن يقارن ذلك مع الثلاثة نماذج من «إتين» اللواتي عبرن في القصة الخرافية عن إيوكيد Eochaid وهن: إيرم Airem وإتين Etain ومدر Mider. وكل واحدة من نسخة غوينهويفار كان لها أب. الأولى كانت ابنة Ogyrvran، والثانية ابنة Gwent Gwyrd والثالثة ابنة Gwyrthur ap Greidawl والأخير هو نفسه فكتور بن سكورشر الذي حاربه قوين بن نود في الأسطورة القديمة تلك المعركة الخالدة من أجل امتلاك كروديلاد. إن هذا الصراع الخالد نفسه بين قوى النور والظلام من أجل امتلاك العذراء الرمزية يعادُ ثانية في الدائرة الآرثوريةولكنه ليس من أجل كروديلاد، ولكن من أجل غوينهوفار، وليس مع غويرثور وإنما مع آرثور. وإننا نبدو أمام شكل كورنيشي للأسطورة، حيث إله الظلام يدعى «ملواس Melwas» وليس قوينواس

Gwynwas أو قوين، والذي هو اسمه في الويلزية. يقبــع «ملواس» في كمين طوال السنة، وأخيرًا نجح في حمل غوينهويفار إلى قصره في أفيليون. ولكن آرثور يتعقبه، ويحاصر ذلك المكان القوي، مثلما فعل إيوكيد إيرم، في الرؤية الجايلية للقصة الكونية. فالميثولوجيا مثلها مثل التاريخ، تكرر نفسها. وملواس كان مضطرًا لاستعادة غوينهويفار إلى ربها الحقيقي.

ومع ذلك، فإنه ليس ملواس الذي قام في النصوص المعروفة جيدًا للقصة بالاصطدام مع آرثور من أجل حب غوينهويفار. إن الاتجاه المبكر الأكثر انتشارًا يجعل منافس آرثور هو ابن أخته مدراوت. وهنا فإن البروفيسور رايس يسجل مقارنة واضحة بين الليجندة البريطانية عن آرثور وغوينهويفار ومدراوت والقصة الجايليكية عن إيرم وإتين ومدر. كلا الأسطورتين تتطابقان، لأن الأسماء لكل الأزواج تتفق في معناها الأساسي. إن «إيرم» مثل «آرثــور» يعني اسمــه «الرجل الحراث» الإله الخاص بالزراعة. وإن إتين «المضيئة» توازي تمامًا غوينهويفار «الشبح الأبيض»،

بينما مدر ومدراوت كلاهما يأتي اسمه من الجذر نفسه، وهي كلمة تعني «ليضرب»، إما حرفيًّا أو مجازيًا. وبإعمال العقل، وفي محاولة الوصول إلى قرار، في محاولة تفسير هذه الأسطورة، علينا أن نبعد السؤال الغاضب عن معنى الميثولوجي. أليس نهارًا وظلامًا يكدحان من أجل الفجر؟ أو الصيف والشتاء من أجل الربيع المحبوب؟. أليست صيغة شبحية هي مغامرة بذر الحبوب التي تحتاج إليها حياة الإنسان وتعتمد على قوى غير منظورة أكثر من اعتمادها على ذكاء المزارع؟. حين يمكن لهذه الأسئلة أن تحل، فإن كثيرًا من أساطير السلت يمكن أن تفسَّر. في كل مكان يدور الصراع نفسه من أجل العروس المسروقة: واحد يملك أسلحة النور، والآخر هو بطل للظلام!

وحتى في رؤية سير توماس مالوري لقصة آرثور، التي أخذها من روايات فرنسية، حرفت عن أصولها التقليدية، نجد الأسطورة باقية. فمكان مدراوت الأصلي كعاشق لملكة آرثور أخذ في الروايات من قبل سير لانسيلوت، الذي إن لم يكن الآن إلهًا سلتيًا غير

مكتشف بعد، سيكون استدعاء لترتيبات نورماندية. ولكن القصة التي تجعل مدراوت منافس آرثور حفظت حين وضع في الحسبان كيف أن سير موردرد تزوج غوينيفير بالإكراه، كجزء من التمرد الذي قام به ضد ملكه وخاله. هذا النزاع كان أسطورة سلتية قبل زمن طويل من أن يصبح جزءًا من فترة بدايات التاريخ المبكر لبريطانيا. الترياداات تخبرنا كيف أن آرثور ومدراوت اعتليا عرش كل واحد منهما أثناء غياب الآخر. مدراوت ذهب إلى Kelli Wic في كورنوول، أكل وشرب كل شيء استطاع العثور عليه هناك، واستشار الملكة غوينهويفار في الانتقام لأن آرثور ذهب إلى قاعة عرش مدراوت وقتل رجلًا ووحشًا. كفاحهما انتهى فقط في معركة كاملان: وذلك هو الصدام الأسطوري، الذي سعى الباحثون لجعله تاريخيًا.

في الواقع إن الباحث في الدراسات السلتية بحاجة للعودة إلى اللغة العربية من أجل فهم أفضل للأساطير السلتية. لقد رأينا كيف أن اسم جوينهيفار قد فُسِّر

بالشبح الأبيض. وهو تفسير قد لا يسعفنا في فهم ثالوث جوينهيفار. ولكن إذا نحن عدنا إلى اللغة العربية سنجد أن الجون يحمل دلالة اللونين المتناقضين: الأسود والأبيض. وعندئذ، فإن اللون الثالث لا بد وأن يكون خليطًا منهما، أي رماديًا. وهو اللون الذي يسميه السلت غلس.

وهكذا بات واضحًا أن اسم زوجة (آرثور جوينهيفار) موجود عندنا تحت اسم جون. وهناك عدة مواقع تحمل هذا الاسم. ومن المواقع التي يوردها ياقوت: الجونان: قاعان أحمران يحقنان الماء. وقيل الجونان: قرية من نواحي البحرين عند عين محلّم دونها الكثيب الأحمر. ومن أيام العرب يوم ظاهرة الجونين. والجون: جبل وقيل حصن باليمامة من بناء طسم وجديس. وجونةاسم قرية بين مكة والطائف، يقال لها الجونة. وهناك جونية من أعمال طرابلس من ساحل لبنان وموقع آخر في لبنان يحمل اسم جون، وثمة تل يحمل اسم الجونة في عرطوز جنوب دمشق. والجون عزلة في اليمن.

وإذا كانت جوينهويفار تمثل عنصر الأرض فهل نسلم بأن القسم الثاني من اسمها يعني الشبح؟. نميل إلى الاعتقاد بأن المقطع «هويفار» في الاسم ليس سوى كلمة حفار العربية، وقد يكون عفار أيضًا، مع ملاحظة التقاطع في الدلالة بين حفار وعفار.

ومن أسماء المواقع الحفرية: حفار موضع في تهامة اليمن، والحفائر ماء لبني قريط على يسار الحاج من الكوفة ببطن وادٍ يقال له المهزول، وحفري اسم مكان في نقوش المسند اليمنية، والحفير إلى الجنوب الغربي من بئر السبع في فلسطين، وحفر البطاح: موضع، ووادي حفر: موضع آخر. وحفر الرباب: ماء بالدهناء من منازل تيم بن مرة، والحفر من منازل أبي بكر بن كلاب، وحفر السبيع موضع بالكوفة، وحفر ضبَّة ركايا بنواحي الشواجن، وحفير موضع بين مكة والمدينة، والحفرة موضع بالقيروان، وحفير: نهر بالأردن من منازل بني القين بن جسرو وموضع بنجد، وماء لغطفان.

هل للآباء المفترضين لجوينهويفار صلة بالألوان أو بالفصول أو بتعاقب االليل والنهار؟.

لقد قدمت لنا الفكرة السريعة عن أوغير فران على أنه بران الشرير. وبران هو اسم الغراب. وواضح أن كلمة «أوغير» هي من كلمة أوغر في العربية، أي أثار الحقد وحرَّض عليه، وهي من صفات الشرير. لنلاحظ أن هذا المفهوم هو مفهوم أخلاقي بحت لا علاقة له بالطبيعة، فإذا أردنا مقاربته لغويًا بما يخرجنا من هذا المأزق، فلنتذكر عندئذ كلمة «الهجير». وفي «لسان العرب» الهجير والهجيرة والهجر والهاجرة: نصف النهار عند زوال الشمس إلى العصر. وقيل في كل ذلك إنه شدة الحر. والتهجير والتهجر والإهجار: السير في الهاجرة. وفي الحديث: إنه كان صلى الله عليه وسلم يصلي الهجير حين تدحض الشمس، أراد صلاة الهجير يعني الظهر. وقد هجر النهار وهجَّر الراكب، فهو مهجر. وفي حديث زيد بن عمرو: وهل مهجَّر كمن قالَ أي هل من سارَ في الهاجرة كمن أقام في القائلة. وهجر القوم وأهجروا وتهجروا: ساروا في الهاجرة. قال الأزهري:

وسائر العرب يقولون: هجر الرجل إذا خرج بالهاجرة، وهي نصف النهار. ويقال: أتيته بالهجير وبالهجر. وحكي عن ابن السكيت عن النضر أنه قال: الهاجرة إنما تكون في القيظ وهي قبل الظهر بقليل وبعدها بقليل. قال: الظهيرة نصف النهار في القيظ حين تكون الشمس بحيال رأسك كأنها لا تريد أن تبرح. ولنلاحظ أن كلمة فران في العربية تأخذنا إلى الفرن بحرارته المرتفعة وليس الى الغراب.

وهناك مواقع حملت اسم هجر في الجزيرة العربية، منها: هجر البحرين، وهي مدينة تجارية قديمة، وهناك «هجر» أخرى وهي قرية من قرى المدينة المنورة. والهجر والهجير: موضعان، وهاجر: قبيلة. وبنو هاجر: بطن من ضبة. والسيدة هاجر هي أم أبينا إسماعيل. والهجران: مدينتان متقابلتان في رأس جبل حصين في اليمن. والهجر بلغة أهل اليمن القرية. والهجرة: من نواحي اليمامة قرية ونخيلات لبني قيس بن ثعلبة. وهجرة البحيح: من نواحي صنعاء. والهجرين: نخل

لقوم شتى باليمامة. والهجيرة: موضع. والهجيرة: ماء لبني عجل بين الكوفة والبصرة.

وبوسعنا الآن أن نقدر بأن الأب الثاني لزوجة آرثور، والمسمَّى كوريد، هو القرُّ أي البرد، وأن أصل اسمه هو قوْرَد بالقاف. ولعل الدال هنا مبدلة من التاء. وحين نتعقب الأسماء ذات الصلة باسمه في المنطقة العربية نجدها أيضًا كثيرة، ومنها

1 – قراسوالقرس أكثف الصقيع وأبرده. وآل قراس هضاب بناحية السراة وكأنهن سمين آلب قراس لبردهن.

2 – قراس: موضع من بلاد هذيل.

3 – قراص: ماءفي ديار كلاب لبني عمرو بن كلاب.

4 – قرات: واد بين تهامة والشام كانت به وقعة.

5 – قرَّان: اسم واد قرب الطائف.

6 – قران: قرية باليمامة.

7 – قران: بين مكة والمدينة بلصق أبلى.

8 – قرَّان: اسم واد قرب الطائف.

9 – قِران ناحية بالسراة من بلاد دوس كان بها وقعة.

10- قِرّان: من الأصقاع النجدية. وقيل: جبل من جبال الجديلة وهي منزل لحاج البصرة.

11- قرتا: من قرى البصرة.

12- قرتوة: اسم موضع.

13- قرّ: اسم موضع.

14- القرارة: قرية في قطاع غزة.

15- كرتيّا: ويمكن أن يكون أصل التسمية بالقاف «قرتيا» وهي قرية في جنوب فلسطين.

وهناك أيضًا العديد من التسميات مثل: قرد والقردودة وقردوس وقردة وقرَدَا والقرَدية، كلها قريبة في النطق من الصيغة السلتية، ولكنها قد تكون أبعد من حيث الدلالة. وكذلك هناك صيغقورة وقورين وقورى وقورية وقورًا وقور والقيار والقيارة. ومن صيغة «قونت» هناك أيضًا قون وقونية وقوان وغيرها.

عمومًا نحن هنا نتحدث عن فصل القرّ {البرد} بعد أن تحدثنا عن فصل الحر {القيظ أو الهجير}. والآن، ماذا عن ثالث آباء جوينهويفار؟.

إنه غويتر بن جريداول. وهو عويثر بن الجرد. فنحن هنا نميل إلى أن الغين مبدلة من العين، فهو عويثر. ومعروف عندنا من نصوص أوغاريت وجود إله باسم عثتر العارض. وهو الذي احتل موقع بعل حين قتل هذا الأخير على يدي موت. لكنه لم يستطع أن يملأ مكانه. وهذا الإله معني بالري القائم على الطرق الصناعية، بخلاف بعل الذي يؤمِّن الأمطار. ولذلك يجري التمييز بين الأراضي البعلية وأرض العثور التي

تعتمد على الري. ومن المواقع التي يمكن أن تكون لها صلة بهذا الاسم نورد ما يلي

1 – العتر: جبل العتر بالمدينة من جهة القبلة يقال لها المستنذر الأقصى وكان العتر صنما يقرّب له عتر أي ذبيحة.

2 – عِثوَر: اسم واد خشن المسلك.

3 – عثارى: واد.

4 – عثران: اسم موضع.

5 – عثرٌ: بلد باليمن.

6 – عثر: موضع وهو مأسدة. وقال الهمداني: عثر بلد باليمن بينها وبين مكة عشرة أيام.

7 – العثير: اسم موضع.

8 – عِثيَر: ذو العثير موضع بالحجاز يرى أنه من بلاد بني أسد.

9 – عثير: موضع بالشام.

-10 غنثر: قرية بناحية مهين من محافظة حمص. ويميل الظن أنها في نفس الموقع القديم أوتورا {عوثرا} المجاور لجبل أبي رياح شمال بلدة القريتين. ولعل هذه القرية تحمل اسم غوينثور في صيغته السلتية.

-11 عثرين / عترين: مواضع في لبنان.

-12 ياطر / يعطر: مواقع لبنانية يرجح أنها تحريف «يعثر».

-13 عثر: مدينة تهامية خربة على شاطئ البحر الأحمر، وقد جاء ذكرها في نقوش المسند الحميرية.

وأما جريداول / الجرد في اسمه، فمن الأماكن المتصلة به: أجارد في بلاد تميم، وأجارد اسم موضع في بلاد عبد القيس، وواد ينحدر من السراة على قرية مطار لبني نصر، وواد من أودية كلب وهي أودية كثيرة تنشل من الملحاء، وهي رابية منقادة مستطيلة، ما

شرق منها فهي الأوداة، وما غرب فهو البياض. وجرد والجرود مواقع في لبنان وسوريا، والجرداء وجردان أسماء قرى في اليمن. ووادي جردان من أودية اليمن الكبيرة.

ويبقى أن الدلالات المرتبطة بعتتر أو عشتر العارض إنما تشير إلى فترة الربيع التي تعتمد فيها الزراعة على الري.

وهكذا يبدو واضحًا أن نساء آرثور اللواتي يحملن اسم جوينهويفار إنما هن فصول السنة أو حالة الأرض في هذه الفصول، وأن الصراع الذي تسجله الأسطورة ما هو إلا صراع الفصول.

رأينا كيف جرى تفسير اسمي «مدر» و«مدراوت» بمعنى «ليضرب»!. وقيل إن هذا المعنى قد يكون مجازيًا. ورأينا أيضًا أن الموازي الثالث لكل من «مدر» و«مدراوت» هو «ملواص». والواقع أن صيغة «ليضرب»! التي يقترحها باحث غربي جعلتنا نفكر على الفور بـ«المدراية»، وهي أداة تذرية القمح على

البيدر. وعند الفلاحين في بلادنا – كما هو معروف – فإنها سرعان ما تتحول إلى أداة شجار للضرب عند ثوران خصام. ولكن لو فكرنا قليلًا فيما يجمع بين الأسماء الثلاثة لوجدنا أنه الطين الناجم عن المطر الغزير في أرض طينية موحلة. فهو «المدرة» وهو «اللاصة»، مما يعني أن هؤلاء يرمزون إلى فصل الشتا، بينما يرمز خصومهم إلى فصل الصيف، والنزاع بين الطرفين يدور على فصل الربيع.

من أسماء المواقع التي تتقاطع مع اسم ملواص يمكن إدراج ما يلي

1 – ملاص: قلعة حصينة في سواحل جزيرة صقلية.

2 – ملشون: من قرى بسكرة من ناحية إفريقياة القصوى.

3 – مليص: موضع في ديار بكر.

4 – مولس: حصن من إقليم القاسم من أعمال طليطلة بالأندلس.

5 – ميلاص: من قرى صقلية.

ومن اسم مدر نستطيع إيراد الأمثلة التالية

1 – المدراء: اسم ماء بنجد لبني عقيل وآل الوحيد بن كلاب. وماءة لبني نصر بن معاوية بركبة.

2 – المدراء: جبل بنعمان هديل.

3 – مَدْرى: موضع. ومن مياه الضباب المدرى على ثلاث ليال من حمى ضرية من جهة الجنوب.

4 – المدراةاسم واد.

5 – مِدران: موضع في طريق تبوك من المدينة، ويقال له ثنية مدران.

6 – مَدَرقرية باليمن على عشرين ميلًا من صنعاء.

7 – المَدر: اسم جبل أو واد.

8 – المدرة: ذو المدرة موضع.

9 – المادور: مرسى على البحر لأجدابية بين برقة وطرابلس الغرب في ليبيا.

10- ريد المدارين: موقع في اليمن.

يضاف إلى ما سبق أن الترياداات الويلزية تدوّن عن آرثور أنه كان له ثلاث عشيقات هن

الطويل. غارون Garwy ابنة غاروي Indeg إندق المسن. Henin ساق الجنيّة} ابنة حينن{ Garwen Gendawd المتواضعة} ابنة جنداود{ Gwyl غويل {ذي الذقن الكبيرة}{4}.

فماذا عن هؤلاء العشيقات؟.

نلتقي مع اسم «إندق» في مواقع منها

1 – أنداق: قرية على ثلاثة فراسخ من سمرقند.

2 – أنداق: قرية بينها وبين مرو {طهران} فرسخان.

3 – أندُق: قرية بينها وبين مدينة بخارى عشرة فراسخ.

4 – أندكان: من قرى فرغانة.

5 – أندكان: من قرى سرخس.

6 – أندة: مدينة من أعمال بلنسية بالأندلس.

7 – أنطاق: ناحية قرب تكريت.

أما «غارون» فيمكن أن نجد اسمها في مواقع كثيرة منها

1 – غُرَان: اسم موضع بتهامة. وقال ابن السكيت: غران واد ضخم بالحجاز بين ساية ومكة. وقال عرام بن الأصبغ: وادي رهاط يقال له غران.

2 – الغرَّان: اسم موضع.

3 – الغرُّ: موضع بينه وبين هجر يومان. وغر ماء لبني عقيل بنجد أحد ماءين يقال لهما الغران.

4 – الغرو: موضع قرب المدينة المنورة.

5 – غريان: قلعة باليمن في جبل شطب.

6 – الغريَّان: والغري نصب كان يذبح عليه العتائر. والغريان: طربالان وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

7 – الغريان: خيالان من أخيلة حمى فيد بينهما وبين فيد ستة عشر ميلًا يطؤهما طريق الحاج.

8 – الغارية: بلدة في منطقة صلخد من محافظة السويداء.

9 – الغريّة: أغزرماء لغني قرب جبلة.

10- غُرَيّ: ماء في قبلي أجأ أحد جبلي طيء.

11- الغورة: من نواحي اليمامة.

12- غوروان: من قرى هراة.

13- غوريان: من قرى مرو.

14- الغارية الشرقية: قرية في ناحية خربة غزالة من محافظة درعا.

15- الغارية الغربية: في محافظة درعا.

16- الغرّة: قرية في الجزيرة العليا بناحية تل تمر من محافظة الحسكة.

وأما أبوها هينن فنجد اسمه في هنُّن قرية من نواحي اليمن، وفي هينن ناحية من سواحل تلمسان من أرض المغرب. وهونين بلدة في لبنان، وبنو هين من قبائل حجور باليمن، وهينين من قرى حضرموت، وهيني جبل في نهم، والهان جبل في أنس نسبة الى قبيلة الهان من سبأ.

وأخيرًا نصل إلى عشيقته الثالثة وهي «غويل». وهنا نجد بعض المواقع ومنها

1 – غويل: موضع يورده ياقوت.

2 – غولان: اسم موضع.

3 – غول: جبل. وقيل: الغول ماء معروف للضباب بجوف طخفة به نخل. قال العامري: غول والخصافة جميعًاللضباب وهما حيال مطلع الشمس من ضرية في أسفل الحمى. أما غول فهو واد في جبل يقال له إنسان. وكانت في غول وقعة للعرب لضبة على بني كلاب.

4 – غيل: موضع في صدر يلملم.

5 – غيل: موضع قرب اليمامة.

6 – الغيل: واد لبني جعدة في جوف العارض يسير في الفلج.

7 – الغيل: غيل البرمكي، وهو نهر يشق صنعاء.

8 – الغيل: بلد بصعدة باليمن.

9 – الغيلة: اسم موضع في شعر الأعشى.

هذا عن عشيقاته، والآن ماذا عن أولاده؟.

مع أن أكثر أولاده شهرةً كان موردرد في التقليد الأبكر {بواسطة جيوفري وآخرين} فإن موردرد كان ابن أخته. لأن مـــوردرد كان ابن الملك «لوت» و«أنـا» أو «مورقوص» أخت آرثور. ولكن في نصوص مثل Huath Merlin و«الفولغيت» قيل إن موردرد كان ابنه بواسطة نصف أخت آرثور مورقوص. وبعضهم قال إن مورغان لو فاي كانت أم موردرد.

قيل إن آرثور لم يكن له أطفال من زوجته غوينيفير، باستثناء ما ورد في كتاب Perlesvaus من أنه كان لهما ولد اسمه لوهوت {أو Loholt}، وأن أمه هي غوينيفير. ومع ذلك، قيل إن لوهوت كان ابن آرثور، ولكن من زوجةٌ تسمَّى ليسانور Lisanor [عن كريتيان دو تريبيه]. وكان لوهوت أحد فرسان الطاولة المستديرة، كما كان أيضًا أحد الفرســـان الذين أســـروا من قبل «غوارد» لورد «دولوروس»، حيث سقط مريضًا خلال سجنه. وطبقًا لمالوري، كان الابن يسمَّى بور Borre {أو Boarte} وكانت الأم تسمَّى

ليونورس Lionors. التماثل بين اسمي المرأتين ليسانور وليونور يفترض أن «لوهوت» و«بور» هما شخص واحد. ووفقًا لمؤرخ القرن التاسع نينيوس، فإن آرثور كان له ولد يسمى أمْر {لعله عمرو} Amr. ونينيوس يقول إن آرثور قتل ابنه، ولكنه لم يقل لماذا فعل ذلك. وكان آرثور قد دفنه في قبرٍ بجوار النبع المسمى بحيرة أمر Licat Amr في إقليم إرسنغ Ercing. وما كان عجائبيًا بالنسبة لهذا القبر أنه يتغيَّر في الطول في مختلف الأيام. ويرى بعضهم أن «أمر» أو عمرو يمكن أن يكون نموذجًا لموردرد. وفي أسطورة «كلحوش وأُلوِن» كان آرثور أبًا لولد اسمه قويدر Gwydre، ربما بواسطة غوينيفير. وقد قتل قويدر من قبل دب وحشي عرف باسم توراك ترويث Twrach Trwyth. وفي نهاية نص «حلم رونبوي» كان لآرثور ولد آخر يسمَّى الياشو {لعله إلياس} Liacheu بينما يرد في بداية الرواية الويلزية «جيرنت وإينيد» أن آرثور كان له ولد يدعى أمهار Amhar، وهذا يمكن أن يكون هو نفسه «أمْر» المذكور عند نينيوس. ولكن هذا ليس مؤكدًا وما من

مصدر أعطى المعلومة بأن هؤلاء الأولاد هم أبناء غوينهويفار{5}.

وتذكر «الويكيبيديا» إنه مع أن آرثور أعطي أولادًا في كل الروايات الآرثورية المبكرة والأخيرة، فإنه لم يضمن أجيالًا ذات مغزى من ذريته. وهذا جزئيٌّ بسبب الميتات المبكرة السابقة لأوانها لأبنائه في تلك الروايات. كان «أمْرْ» الأول الذي ذكر في الأدب الآرثوري. وقد ظهر اسمُهُ في القرن التاسع في «تاريخ إقليم بريتونيا»، حيث ورد فيه القول: «هناك معجزةٌ أخرى في الإقليم المسمّى إرسنغ.. قبرٌ وضع هناك بالقرب من نبع دعي «ليكات أمْرْ»، واسم الرجل المدفون في القبر كان يدعى هكذا: أمر Amr. إنّـه ابن آرثور الجندي، وآرثور نفسه قتله ودفنه في ذلك الموضع. وقد جاء الرجال لقياس القبر ووجدوه أحيانًا بطول ستة أقدام، وأحيانًا أخرى تسعة، وأحيانًا إثناعشر، وأحيانًا خمسة عشر. في أي وقت تقيسُ طوله فإن المرّة الثانية للقياس ستكون نتيجتها

مختلفة. وأنا نفسي وضعت هذا الأمر موضع الفحص»{6}.

لماذا قام آرثور بقتل ابنه «أمْر»؟ الجواب ليس معروفًا. المرجع الوحيد الآخر الذي أشار إلى «أمر» جاء في رواية غالفريديان الويلزي {Geraint}، حيث قال إن أمهار Amhar ابن آرثور هو واحد من حجَّاب آرثور الأربعة مع ابن بدوير Bedwyr المسمى أمهرن Amhren. وقويدر أيضاً كان غير محظوظ حيث قتل من قبل الدب العملاق تورك ترويث بجانب اثنتين من خالات آرثور – ولا مراجع أخرى تشير إلى إنقاذ قويدر وخالات آرثور. وعرف المزيد عن ابن آرثور المسمى إلياشو. فهو واحدٌ من الرجال الثلاثة الموهوبين في جزيرة بريطانيا، طبقًا للترياذة رقم 4 وأنه حارب بجانب «كاي» في القصيــدة الآرثورية المبكرة Pa gur yv y porthaur مثل والده هو في .Y Gododdin. ويظهر إلياشــو في القرن الثاني عشر وفي الشعر الويلزي اللاحق كمقياس للمقارنة البطولية، ويبدو أيضًا أنه يظهر كمثال للفولكلور المحلي. وبأخذ

هذه المصادر معًا، يتضح أن إلياشو في كل هذه المراجع نظر إليه على أنه شخصية معتبرة في الدائرة الآرثورية المبكرة. وإلياشو أيضًا يموت، مع المتكلم في قصيدة غالفريديان Ymddiddan Gwayddno Garanhir ac Gwyn fab Nudd ذاكرًا أنه كان موجودًا حيث قتل إلياشو بن آرثور. ومما جاء في القصيدة

أنا كنتُ حيثُ ذبحَ إلياشو

إبن آرثور، الممجّد في الأغنيات

حين زعقت الغربان فوق الدم.

وأخيرًا، فإن لوهولت قتل من قبل السير كاي حيث أن الأخير يمكن أن يحصل على الثقة بهزيمة العملاق لوغرين Logrin في الـ Perlesvaus، بينما الابن الآخر معروف فقط من مصدر ربما يعود إلى القرن الخامس عشر في مصدر ويلزي، قيل إنه مات في حقل كاملان. وهذا الولد هو «دوران 7}Duran»{.

أحد المصادر على الإنترنت يحصر أبناء آرثور كما يلي: موردرد – بور – أديلوف Adeluf – أمر – آرثور الصغير – قويدر أو كويدر – إلينوت – لوهولت أو لوهوت – مورغان الأسود – باتريك الأحمر – رولاند.

سبق وتناولنا موردرد تحت اسم مدراوت، وليس واضحًا إذا كان الاسمان يؤديان ذات المعنى. ولكن من الواضح أن اسم موردرد مركب من مورد + رد. واللفظة الثانية تعني الأحمر. عندئذ يمكن أن يكون اسمه هو المارد الأحمر. وأسماء المواقع التي تحمل مثل هذا الاسم كثيرة في المنطقة العربي، ومنها

1 – مارث: ناحية من جبال عمان.

2 – مارد: حصن بدومة الجندل.

3 – ماردة: كورة واسعة من نواحي الأندلس.

4 – مارد: من أرض اليمامة. وقال الحفصي: مارد قصيرٌ بمنفوحة.

5 – ماردين: قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دنيصر ودارا ونصيبين.

6 – مراد: حصن قريب من قرطبة بالأندلس.

7 – مردان: ثنية مردان بين تبوك والمدينة.

8 – مرداءموضع بهجر.

9 – مرداء مضر: قرية كان بها يوم بين أبي فديك الخارجي وأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد.

10- مردا: قرية قرب نابلس.

11- المرود: موضع بين الجحفة وودان من ديار بني ضمرة من كنانة.

12- المريداءقرية بالبحرين.

13- مُرَيد: أطم بالمدينة لبني خطمة.

والآن ماذا عن بورّ؟.

لعل هذا الاسم يخفي وراءه صيغة أخرى مثل برع أو برح ما أدى إلى تشديد الراء. كما يمكن أن يكون الأصل في الاسم هو بارٌّ بمعنى البرِّ. وعمومًا هناك العديد من المواقع مما يتقاطع مع اسمه، نذكر منها

1 – بار: من قرى نيسابور.

2 – سوق البار: بلد باليمن بين صعدة وعثر، وهو على التحديد بين الخصوف والمينا. وقيل البار بلد قبلي توراب وشرقيها شامي.

3 – باري: قرية من أعمال كلواذا من نواحي بغداد.

4 – باور: موضع باليمن.

5 – بُرع: جبل بناحية زبيد باليمن فيه قلعة.

6 – بَرْع: حصن من حصون ذمار باليمن.

7 – بَرْعَة: من مخاليف الطائف.

8 – البروية: ناحية باليمن تشتمل على قرى كثيرة ومزارع.

9 – البرة العليا والبرة السفلى: قريتان باليمامة.

10- بريَّانة: مدينة بالأندلس.

11- بوار: بلد باليمن له ذكر في الأخبار.

12- بورة: مدينة على ساحل بحر مصر قرب دمياط.

13- بوري: قرية قرب عكبراء في العراق.

14- البروةبلدة في فلسطين.

15- بوريا: بلدة في فلسطين.

16- بورينبلدة في فلسطين.

17- برِّي الشرقي: بلدة في منطقة السلمية في سوريا.

18- بواريت: خربتان أثريتان في منطقة الصنمين من محافظة درعا.

19- تل برنات: يقع إلى الشمال الغربي من بيت جبرين عند الضفة الشمالية لوادي زيتا.

20- البرناطة: خربة تقع في خراج بلدة كدنا الواقعة شمال غرب الخليل بمسافة 25 كم.

وهذا الموقع الأخير وسابقه ينطويان على أهمية خاصة كونهما يردان في النطاق الجغرافي الذي تركزت فيه أسماء الرموز الآرثورية.

الاسم الثالث من أسماء أبناء آرثور هو أديلوف ولعله عادلوف أي عادل. ولكن ثمة غرابة هنا في إضافة الفاء هنا في ضوء ما نعرفه عن اللغة السلتية. ويمكن أن يكون الاسم تحويرًا للاسم الألماني أدولف. ومثل هذه الملاحظة يمكن أن تطال أيضًا باتريك الأحمر ورولاند. والواقع أن هذه الأسماء مقحمة في مصادر متأخرة. ولنتابع الآن بقية أبناء آرثور.

نقف عند لوهوت، وقد يرد أيضًا بصيغة لوهولت. وحرف الـh في الاسم قد يكون مبدلًا من الحاء، كما أن

حرف التاء قد يكون مبدلًا من حرف آخر أقرب إلى الدال. ومع ذلك يمكن مقاربة الاسم مع أسماء المواقع التالية

1 – لحاء: واد من أودية اليمامة كثير الزرع والنخل.

2 – لحظة: مأسدة بتهامة، يقال أسد لحظة كما يقال أسد بيشة.

3 – لحوظ: من جبال هذيل.

4 – اللخ: موضع في شعر امرئ القيس.

5 – اللوح: ناحية بسرقسطة يقال لها وادي اللوح.

6 – لخية: في وادي أضم.

7 – هلثا: وهو صقع من أعمال بصرة بينها وبين البحر.

8 – الهلية: قرية من أعمال زبيد.

9 – الهويت: قرية من قرى وادي زبيد باليمن.

10- هيلاء: جبل أسود مرتفع من جبال مكة يقال له الهيلاء تقطع منه الحجارة للبناء وللأرحاء.

11- هيوة: حصن لبني زبيد باليمن.

12- أهول: بلدة بحضرموت.

13- الهلية: بلدة من أعمال زبيد في تهامة اليمن.

14- هيلان: جبل مشهور يطل على مأرب.

15- هله: موضع في رازح بصعدة.

16- الهلة: في أسافل حجور باليمن.

17- هوت: بلدة يمنية جاء ذكرها في نقوش المسند.

18- هولى: جبل بنجد لبني جشم.

19- حولا: قرية في لبنان. والحولة سهل في فلسطين.

20- بنو حوال: من قبائل حمير.

21- حولايا: قرية في سورية. والحولة قرية أخرى في محافظة حمص.

22- ذو حولان: بلدة وحصن في ضواحي مدينة ذمار.

ونأتي الآن إلى «أمر». وأول ما يخطر بالبال أن هذا الاسم هو عمرو لولا أنه يرد في صيغة أخرى هي «أمهار». والطريف أن نلاحظ بأن المواقع التي تحمل الاسمين في بلادنا كثيرة، وأكثر من تلك التي تحمل اسم عمرو. فمن صيغة أمر نورد المواقع التالية

1 – الأمراء: بلد من نواحي اليمن في مخلاف سنحان.

2 – أمَر: موضع غزاه رسول الله {صلعم}. قال الواقدي: هو من ناحية النخيل، وهو بنجد من ديار غطفان. وكان رسول الله {صلبعم} خرج في ربيع الأولى من سنة ثلاث للهجرة لجمع بلغه أنه اجتمع من محارب وغيرهم، فهرب القوم منهم إلى رؤوس الجبال، وزعيمها دعثور بن الحارث المحاربي، فعسكر

المسلمون بذي أمر. والأمر في الأصل الحجارة تجعل كالأعلام.

3 – أمْر: موضع بالشام، قال الراعي فيه

قُبَّة سماويةٌ ظلت محلاةً برجلة الدار فالروحاء فالأمر

4 – أمر: موضع في برية الشام من جهة الحجاز على طرف بسيطة من جهة الشمال.

5 – أمّرموضع.

6 – أمرة: موضع في شعر الشماخ والأبي تمام.

7 – أمرة مفروق: وهي في أرض بني يربوع.

8 – إمْرة: اسم منزل في طريق مكة من المدينة بعد القريتين إلى جهة مكة وبعد رامة، وهو منهل. وفي كتاب الزمخشري: إمّرة ماءٌ لبني عميلة على متن الطريق. وقال أبو زياد: ومن مياه غني بن أعصر إمّرة

من مناهل حاج البصرة. قال نصر: إمَّرة الحمى لغني وأسد وهي أدنى حمى ضرية.

9 – بيت أمَّر: بلدة في منطقة الخليل في فلسطين.

وهذا الاسم الأخير مهم في هذا السياق لاجتماعه مع مجموعة أسماء ترجح أن أصل أسطورة آرثور وجدت في تلك المنطقة من فلسطين.

وأما من اسم «أمهار» فنجد من المواقع

1 – أم أمهار: وهو اسم هضبة.

2 – أمهار: ذات أمهار موضع بالبادية.

ولنلاحظ هنا أن أمهار تأتي في العربية كجمع مُهر.

وننتقل من «أمر» إلى «قويدر» أو «كويدر». وهنا نجد الأسماء التالية

1 – كذْراء: مدينة باليمن على وادي سهام.

2 – كدر: قرقرة الكدر. قال الواقدي: بناحية المعدن قريبة من الأرحضية بينها وبين المدينة ثمانية برد. وقال غيره: ماء لبني سليم. وقال عرام: في حزم بني عوال مياه آبار منها بئر الكدر.

3 – القديرية: بلدة في فلسطين.

4 – قدير: موقع أثري في بادية الشام من منطقة تدمر.

5 – قديران: قرية في منطقة الباب من محافظة حلب.

6 – كدير: مزرعة في منطقة تدمر.

7 – كديران: خربة أثرية في محافظة الرقة.

8 – قِدران: قرية في وادي بني عمر الأشاعيب على المنحدرات البحرية من بلاد زهران.

9 – الكداري: قرية من أعمال أبي عريش بمنطقة جيزان.

10- جدور: خربة في خراج بيت أمر بمنطقة الخليل.

11- جبل قداريم: يقع إلى الجنوب الغربي من صفد.

ومن أبناء آرثور أيضًا «دوران». واسمه أيضًا يبدو عربيًّا. ومن المواقع التي تحمل هذا الاسم

1 – دوران: ذو دوران موضع بين قديد والجحفة.

2 – ذو دوران: وادي يأتي من شمنصير وذروة، وبه بئران يقال لإحداهما رحبة وللأخرى سكوبة، وهما لخزاعة.

3 – دوران: موضع خلف جسر الكوفة.

4 – ذو دوران: بأرض ملهم من أرض اليمامة كانت به وقعة في أيام أبي بكر رضي الله عنه بين ثمامة بن أثال ومسيلمة الكذاب.

5 – دوَّران: من قرى فم الصلح من نواحي واسط.

6 – ديروتان: قرية في منطقة القرداحة بسوريا.

7 – الديرونة: خربة أثرية في منطقة حارم من محافظة إدلب.

8 – الدارين: اسم لثلاث قرى في منطقة الطائف ولقرية في مرتفعات زهران.

9 – دورا: وتقع جنوب غرب الخليل على بعد 10كم.

10- دوران: جبل في يحصب العلو شرقي قرية منكث عليه حصن حرب.

11- دور: من أشهر أودية العدين بالغرب من إب بمسافة 3كم.

12- دروند: موضع بين الحجة والزجيج على جادة حجاج البصرة.

13- ضوران: بلدة في آنس.

14- ضوران: قرية في جبال الحشا.

15- ضوران: من ناحية البستان باليمن.

16- توران: في مبين بالشمال من حجة.

وهناك عشرات المواقع التي تحمل أسماء دورا والدوير وداريا والدير. وما يهمنا التركيز عليه أكثر في هذا البحث موقع دورا الخليل في منطقة الخليل بفلسطين.

من أبناء آرثور أيضًا «إلينوت». وهو اسم محيِّر في صيغته. ويمكن مقاربته مع أسماء منها

1 – إيلان: موضع قرب مراكش بالمغرب.

2 – لينة: موضع في بلاد نجد عن يسار المصعد بحذاء الهُرّ وبها ركايا عادية نقرت من حجر رخو وماؤها عذبٌ زلال. وقال السكوني: لينة هي المنزل الرابع لقاصد مكة من واسط وهي كثيرة الركى والقلب. وثمة أسطورة تدور حول هذا الموقع، حيث

يورد ياقوت القول في تفسير شعر لمضرس الأسدي: لينة ماءٌ لبني غاضرة، يقال إن شياطين سليمان احتفروه، وذلك أنه خرج يريد اليمن فتغذى بلينة وهي أرض خشناء فعطش الناس وعز عليهم الماء. فضحك شيطان كان واقفًا على رأسه، فقال له سليمان: ما الذي يضحكك؟. فقال: أضحك لعطش الناس وهم على لجة البحر. فأمرهم سليمان فضربوا بعصيِّهم فأنبطوا الماء{8}.

3 – اللين: اسم قرية بمرو.

4 – اللين: أكبر قرية من كورة بين النهرين التي بين الموصل ونصيبين.

5 – لين: موضع في قول عبيد بن الأبرص

تغيّرت الديار بذي الدفين فأودية اللوى فرمال لين

6 – أليان: في منطقة الليث.

ومن إلينوت ننتقل إلى اسم «لياشو». ويبدو هذا الاسم وكأنما هو إلياس. وفي العربيةرجل أليس: شجاع. والأليس أيضًا: الذي لا يبرح مكانه. وأليس‌حسن الخلق. والليث: الليس مصدر الأليس. وهو الشجاع الذي لا يبالي الحرب ولا يروعه{9}.

ومن المواضع التي يحتمل أن تكون لها صلة باسم لياشو

1 – أليس: الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس في أول أرض العراق من ناحية البادية. وفي كتاب الفتوح: أليس قرية من قرى الأنبار.

2 – الليث: وادٍ بأسفل السراة يدفع في البحر أو موضع بالحجاز. وقيل الليث: موضع في ديار هذيل.

وقد ورد في بعض المصادر أن آرثور كان له ابن اسمه كدوان Kedwan، وهو أيضًا اسم عربي واضح. وينقل ياقوت قول أبي منصور: أكدى الرجل إذا بلغ الكدى وهو الصخر. وكدأ النبت إذا أصابه البرد فلبده في

الأرض أو عطش فأبطأ نباته. ومن المواقع المشتقة من هذا المصدر

1 – كداء: بأعلى مكة عند المحصب دار النبي {صلعم} من ذي طوى إليها. وكدى بأسفل مكة عند ذي طوى بقرب شعب الشافعيين ومنها دار النبي {صلعم} إلى المحصب فكأنه ضرب دائرة في دخوله وخروجه. وأما كُدَيّ مصغرًا فإنما هو لمن خرج من مكة إلى اليمن وليس من هذين الطريقين في شيء.{10}.

2 – كدى: جبل بمكة.

3 – كودا أو قودا: مملكة كانت في الشمال السوري.

4 – كود أثال: موضع قتل فيه الصميل بن الأعور الضبابي. وقيل: ماء لبني جعفر، وقيل جبل.

5 – كدنا: بلدة تقع شمال غرب الخليل بمسافة 25 كم.

6 – الكود: موضع في أبين.

7 – كدن: موضع في عمان.

8 – كفر كدة: في لبنان.

9 – كداد: بلدة من عزلة آل عمار ناحية الصفراء في صعدة.

10- الكداكد: قرية من عزلة بني سرحة من أعمال إب.

11- خودان: جبل في يريم.

وأخيرًا، كانت لآرثور ثلاث بنات هن: علن Ellen وغينث Gyneth وميلورا Melora.

إن اسم ميلورا – كما هو واضح – ليس عربيًا، ومع ذلك قد يكون تصحيفًا لكلمة مينورا بحيث حلت اللام محل النون. ومن المعروف أن من أسماء القدس قديمًا مينورتا بمعنى الشمعة أو الضوء: المنارة.

أما علن فمن بين الكثير من المواقع المعبرة عن العلو نكتفي بالإشارة إلى موقع علان من نواحي صنعاء

باليمن، والعلانة من نواحي ذمار حصن أو بلد، وعللان وهو ماء بحسمى، وعلن واد في ديار بني تميم. والعلية والعلاة جبلان باليمامة. وعليّ: موضع في جبال هذيل. ولنتذكر خربة علين الواقعة في بيت صوريف بمنطقة الخليل.

وأما غينيث فيمكن أن يكون لاسمها صلة بالمواقع التالية

1 – غانظ: وهو اسم موضع في نونية لابن مقبل.

2 – غان: واد باليمن يقال له ذو غان.

3 – غناظ: موضع باليمامة فيه روضة.

4 – غيناء: قنة في أعلى ثبير الجبل المطل على مكة.

5 – الغين: اسم موضع كثير الحمَّى.

6 – غينة: موضع باليمامة.

7 – غينة: موضع بالشام.

8 – غنية: قرية كانت في حوران قرب بلدة نوى.

9 – غونية الفوقا وغونيا التحتا: في منطقة الخليل بفلسطين.

10- بنو غيان: حي.

وعدا عن ذلك، فإن اسم غينيث قد يكون تحريفًا لاسم الإلهة عناة بإحلال الغين محل العين. ومعروف أن من الأماكن المنسوبة إليها في فلسطين وهي كثيرة «عنثوث» بالثاء، كما أن «تل عيتون» في منطقة الخليل منسوب إليها.

وعلى هذا النحو يبدو واضحًا أن معظم الأسماء التي نسبت لعائلة آرثور هي أسماء مشتقة ليس فقط من اللغة العربية، ولكن أيضًا من أسماء المعالم الجغرافية والحضارية في الوطن العربي.

كيف يمكن أن نفسر ظاهرة من هذا النوع؟.

هناك احتمالان

1 – أن تكون أسطورة آرثور قديمة وتعود إلى الوطن القديم. وقد جرى استعارة معظم أسماء أبطال الأسطورة من الرواية القديمة.

2 – أن تكون معظم الأسماء الواردة في الأسطورة مشتقة من اللغة السلتية القديمة، وأن هذه اللغة كانت لا تزال تحمل الكثير من ملامحها الأصلية، مما عكس نفسه على أسماء أبطال الأسطورة.

ومن خلال تعقبنا للأسماء، لاحظنا أنه بالإضافة إلى جزيرة العرب بالمعنى الواسع، أي التي تشمل بلاد الشام، ومعها بلدان المغرب االعربي، فإن هناك أسماء تتواجد في مناطق مثل إيران والقوقاز والأندلس. وقد يكون لهذا الأفق دلالة في توضيح نطاق انتشار السلت في العالم القديم قبل الاستقرار في غرب أوروبا.

هوامش

{1} بحث بعنوان King Arthur – عن الإنترنت.

{2} بحث بعنوان King arthur,s family عن الوكيبيديا – الإنترنت.

{3} بحث King Arthur، عن الإنترنت.

{4} م. ن.

{5} م. ن.

{6} الويكيبيديا، عائلة الملك آرثور، عن الإنترنت.

{7} م. ن.

{8} ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 29.

{9} إبن منظور، لسان العرب، ص 3639.

{10} ياقوت، م. س، ج 4، ص 439.

8 – حروب آرثور

لنعترف بأنَّ تناول حروب آرثور في حدِّ ذاتها ليس ضروريًا لأغراض هذا البحث، ولكننا بالمقابل لن نستطيع تشكيل صورة كليّةٍ حول الأسطورة الآرثورية دون الإشارة إلى هذه الحروب. على أن الأمر الغريب في هذه المسألة هي أن الباحثين الغربيين يذكرون أن أسماء أماكن المعارك غريبة ومجهولة بالنسبة لهم، بينما نستطيع أن نجد هذه الأسماء كلها دون استثناء في المنطقة العربية!!.

في البداية كنّا قد تناولنا شخصيّة الملك ريوثاموس الذي ترى العديد من المصادر الغربية أنه هو من أطلق عليه فيما بعد اسم آرثور، والحرب التي خاضها ضد القوط على الأرض الفرنسية وهزم فيها، وفقد خلالها قوته. وقد حدث هذا حوالي عام 470 م. وقد بدا في تلك القصة أن ريوثاموس ذهب لمساعدة إمبراطور روما.

ولكن الروايات الآرثورية، تورّطُ آرثور في ثلاثة حروب كبيرة

الحرب ضد السكسون. الحرب ضدْ الإمبراطور الروماني. الحرب ضد موردرد.

وبدايةً، يبدو آرثور قائدًا للمعارك، قبل أن يوصف بأنه «ملك» أو حتى «إمبراطور».

في مقدمته لكتاب «موت آرثور»، فإن العلامة الويلزي والمؤرخ سير جون رايس، يشير إلى أنه في حوليات كامبريا المؤرخة في 537 وهي إحدى الوثائق الأقدم المتاحة في بريطانيا، هناك آرثور يشار إليه ولكن ليس في صورة ملك، وأيضًا ذكرَ الصليب على أنه رمزٌ له. وقيل بأنه متماثل مع القديس جورجيوس {الخضر}. وكتاب طاليبسن أيضًا يشير إليه على أنه Imperator Defectu Oracolorum ويذكر أنه كان يخدم بانتظام من قبل دراويد يتنبأون له. ويخبرنا رولستون أن الذكر الأقدم لآرثور وجد في عمل المؤرخ البريطاني نينيوس، الذي وضع كتابه حوالي عام 800

م، ومعلوماته استمدها من مصادر عديدة تشمل آثارًا قديمة، وبعض الميثولوجيات، وحوليات رومانية، وأخبار القديسين، وخاصة جرمانوس. والنتيجة وجهة نظر مرومنة ومسيحية للتاريخ البريطاني، حيث تُرى بريطانيا مشتقة من حقبة تروجان الرومانية. ومع ذلك، فإن معالجته عن آرثور جاءت مختصرةً وغامضةً{1}.

إذا سلمنا بأن آرثور كان قائدًا للمعارك لجيوش اثني عشر ملكًا، يفترض أنهم من السلت، فإنَّ حروبه الأولى يجب أن تكون ضد السكسون.

يكتب نينيوس، حوالي 800 م: «عندئذٍ، حارب آرثور ضدَّهم {السكسون} في تلك الأيام جنبًا إلى جنب مع ملوك بريطانيا، ولكنه هو نفسه كان قائد المعارك {دوق بللوروم}. المعركة الأولى كانت على فم نهر جلين Glein. الثانية والثالثة والرابعة والخامسة على نهر آخر يدعى دوجلاس doglas في إقليم لينويس Linuis. المعركة السادسة على نهر يدعى بسَّاس Bassas. السابعة كانت المعركة في غابة كليدون

Celidon التي يسميها البريتون Cat Coit Celidon.
الثامنة كانت المعركة على قلعة غورنيون Gurnion
حيث حمل آرثور صورة العذراء المقدسة، أم الرب،
على كتفيه، وبفضل قوة الرب يسوع المسيح ومريم
المقدسة، هزم السكسون وتعقبهم طوال النهار بمذبحة
عظيمة. المعركة التاسعة حوربت في مدينة لقيون
Legion التي تسمى كاير ليون. المعركة العاشرة
خاضها على شاطىء نهرترات ترورويت Trat
Treuroit. والمعركة الحادية عشرة التي دارت على
جبل برقيويين Breguoin الذي يسميه البريتون
Bregion. الثانية عشرة والأخيرة كانت المعركة على
جبل بادون Badon. ويقول آدم ليفن إن بعض
الأماكن المذكورة بعد ذلك في الأعمال الأخرى مثل
دائرة فولغيت كانت ربما نفس الشيء مثل تلك
المذكورة أعلاه، وأن هذه الأسماء هي بوضوح قديمة،
ربما من لغة أخرى غير الانجليزية. وهكذا فإنه خلال
الترجمة السيئة تغيرت الأسماء. وضياع الوثائق
الأصلية، ربما جعل الكتاب المتأخرين يأخذون تلك

الأسمـــاء ويتوسعون في الأحداث لصنــع قصة أكثر تشويقًا{2}.

وما نفهمه من ملاحظات الباحثين الغربيين بشكل عام هو أن أسماء الأماكن المشار إليها في حروب آرثور مع السكسون لا وجود لها على خريطة بريطانيا، أو أنه من المتعذر التعرف على أمكنتها. وبالمقابل ودون التقيد بمواصفات المواقع فإن الأسماء تبدو مماثلة لأسماء مواقع في المنطقة العربية. وهنا تتكرر معنا الظاهرة التي وجدناها في تعقب الأسماء المشابهة لعائلة آرثور.

لقد كانت المعركة الأولى على نهر غلين أو جلين Glein. وهناك العديد من المواقع التي تحمل أسماء قريبة من اسم هذا الموقع في منطقتنا، نذكر منها

1 – وادي الغيل: في منطقة القنفذة في السراة.

2 – الجل: وهو قريب من السلمان، بينه وبين واقصة ثمانية أميال. وقال الحازميجل موضع بالبادية على

جادة طريق القادسية إلى زبالة بينه وبين القرعاء ستة عشر ميلًا، وهو بينها وبين الرمانتين.

3 – جلوة: من مياه الضباب بالحمى حمى ضرية. وربما قيل له جلوى بالقصر.

4 – جليانة: حصن بالأندلس من أعمال وادي ياش.

5 – جليَّة: موضع قرب وادي القرى من وراء بدا وشغب.

6 – جولى: موضع.

7 – الجولان: في الجنوب السوري.

8 – جولان: قرية في منطقة عين العرب من محافظة حلب.

9 – جلين: قرية في محافظة درعا.

10- الجيل: قرية من أعمال بغداد.

11- جيلة: من حصون أبين باليمن.

12- غولان: اسم موضع. عن ياقوت.

13- الغولة: من الأودية الكبيرة باليمن.

14- جلية: قرية في فلسطين تقع في محيط المواقع التي تتركز فيها الأسماء المتعلقة بأسطورة آرثور.

موقع المعارك اللاحقة كان على نهر دوغلاس أو علاس. وهناك خربة في فلسطيبن اسمها دير قالوس تقع في خراج قرية خربتا المصباح الى الجنوب الغربي من رام الله. وهناك بلدة اسمها مغلس تقع إلى الشمال الغربي من الخليل، أي أقرب الى المواقع الآرثورية في فلسطين. وثمة أيضًا موقع أم علاس في منطقة الخليل شمال غرب بيت أولا. وعدا ذلك: علوس اسم قرية، وعلوس من قلاع الأكراد من ناحية الأرزن، وحرّة غلاس إحدى حرار العرب، وتوجد في سورية قرية اسمها أجلاس تقع الى الشرق من سراقب.

وأما إقليم «النويس» فمن المواقع التي تحمل أسماء مشابهة له: نواز قرية كبيرة في جبل السماق من أعمال حلب، والنواش: من حصون اليمن، ونوز: قرية من بخارى، ونوسا: كورة من كور أسفل الأرض في مصر، ونوش: عدة قرى بمرو، ونويزة: قرية بسرخس.

قيل إن الموقعة الثالثة كانت على نهر البسّاس. وهو اسم وادٍ في شمال فلسطين. وبسّاء بيتٌ بنته غطفان وسمته بسّاء مضاهاةً للكعبة. وبسّاسة من أسماء مكة في الجاهلية. وبُس: جبل في بلاد محارب بن خصفة. وقيل بُس ماء لغطفان، وقيل بُس: موضع في أرض بني جُشم ونصر ابني معاوية بن بكر. وقيل بس: جبل قريب من ذات عرق. وقال الغوري: بس موضع كثير النخل. وبسي من جبال بني نصر والجُمُد أيضًا. وبُس وبُسيان: جبلان في أرض بني جشم ونصر وقيل إن بسيان موضع فيه برك وأنهار على أحد وعشرين ميلًا من الشبيكة بينها وبين وجرة، وكانت بها وقعة مشهورة.

ننتقل الآن إلى / موقع كليدون / قليدون. وقيل إنها غابة. ولدينا هنا موضع قلدون في إقليم القلمون في جبال لبنان الشرقية، وقلد الذياب موقع في لبنان. وهناك موقع القلادة، وهو جبل من جبال القبلية. وقلد من قرى السود شمال عمران باليمن، وبنو قليد قرية ناحية مناخة. والكلديون جزء من التكوين القبلي في سرو يافع / حمير، كما أنهم تولوا حكم بابل في أواسط الألف الأول قبل الميلاد. وإذا افترضنا أن الكاف أو القاف في بداية التسمية مبدلة من الخاء، فإن خالدة بلدة في لبنان، وخلدة في عمّان، وآل خلاد من قبائل جيزان، والأخلود عزلة من أعمال المخا وأخرى في ذي السفال باليمن.

ويأتي بعد ذلك ذكر قلعة غورنيون وربما قورنيون. وهنا نجد الكثير من المواقع التي تحمل أسماء مشابهة، نذكر منها

1 – غوار: موضع في لبنان.

2 – غورين: موضع.

3 – غوريان: من قرى مرو.

4 – قارونية: موضع.

5 – قرّان: واد قرب الطائف، وقرية باليمامة، وقران بين مكة والمدينة بلصق أبلى. وقران: قرية بمر الظهران.

6 – قرن: قرن باليمن سبعة أودية كبار. والقرن: جبل مطل بعرفات ويقال له قرن المنازل، وقرن البوباء وادي يجيء من السراة، وقرن باعر حصن باليمن، وقرن قرية من نواحي بغداد.

7 – القرنينفي أعلى وادي دولان من ناحية المدينة.

8 – القرين: موضع في شعر ذي الرمة.

9 – القرين: نجدة باليمامة.

10- القرينتان: هضبتان طويلتان في بلاد بني نمير.

11- القرينة: اسم روضة بالصمان. وقيل واد.

12- القرينين: جبلان بنواحي اليمامة، والقرينينفي بادية الشامو والقرينين: من قرى مرو.

13- القرينين: موضع في ديار طيء يختص ببني جرم.

14- قورين: مدينة بالجزيرة.

15- الغور: اسم لتهامة وما يلي اليمن منها. والغور غور الأردن بفلسطين.

ونتوقف الآن عند مدينة لغيون {كاير ليون}. وواضح أن الياء حلت فيها محل الجيم، وهذا يضعنا أمام احتمالات عديدة، نذكر منها: اللجون في منطقة القدس، ولجأ: اسم موضع. واللجاة: كورة واسعة في سوريا. وهو أيضًا جبل عن يمين الطريق قرب ضرية. واللجون: مرج طوله ستة أميال كثير الوحل صيفًا وشتاء. واللجون أيضًا: موضع في طريق مكة من الشام قرب تيماء. وهناك أيضًا اللوقة بقرب اللوى بين جبل طيء وزبالة بها ركايا طوال. ولنضف إلى

الاحتمالات بلدة بيت لقيا في فلسطين، وwadi لية قرب الطائف، وأليون قرية في عزلة بني سيف، وإلية قرية في كسروان بلبنان، وحصن إيوان في قرية العزازي من جبل إرياب وأعمال يريم، ولأي موضع من نواحي المدينة، واللاءة ماءة من مياه بني عبس، ولحيان اسم قبيلة، وردهة لبني أبي بكر بن كلاب، ولوان موضع في جزيرة العرب، ولوية موضع بالغور بالقرب من مكة في طريق حاج الكوفة، ولينة موضع في بلاد نجد.

ويأتي اسم نهر «ترات». وربما كان تصحيفٌ لاسم وادي التراث في جنوب غرب الجزيرة العربية. وهو واحد من مجموعة أودية كبيرة منها بيشة والرمة وتثليث ورنيا والدواسر. وثمة مواضع أخرى منهاتاراء بين المدينة وتبوك. وقيل أيضًا موضع بالشام. وهناك تاران جزيرة في البحر الأحمر عند مدخل خليج العقبة، وهي تحمل اسم الإله السلتي تارانيس. وتاهرت: مدينتان متقابلتان بأقصى المغرب بين تلمسان وقلعة بني حماد، وهي على نهر يأتيها من جهة

القبلة يسمى مينة، وهو في قبلتها، ونهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تاتش، وهو في شرقيها. وهناك أيضًا نهر تيرا من نواحي الأهواز.

ونأتي الآن إلى جبل برقيون أو برغيون {برعيون}. والأسماء المشتقة من المصدر برق بالعشرات، ونكتفي هنا بذكر موقع برقان بالبحرين، والبرقانية: ماء لبني بكر بن كلاب ثم لبني كعب بن أبي بكر يقال لهم بنو برقان. وبرقتان: موضع. ولكن قرية برقة في فلسطين قد تكون هي الأكثر صلة بقصة آرثور لوقوعها ضمن منطقة انتشار أسماء أبطال الأسطورة. وأما إذا أخذت الكلمة بصيغة برعيون، فإن بُرع جبل بناحية زبيدة باليمن، وبرعة من مخاليف الطائف، وبرع جبل شامخ شهير بالشرق من مدينة الحديدة، وبرع حصن من حصون ذمار، وذي البراع بلدة من عزلة القدس ناحية المواسط وأعمال الحجرية.

ونصل إلى آخر هذه المجموعة من المعارك، وهي معركة جبل بادون التي انتصر فيها آرثور على السكسون. وتسمية جبل بادون هي تسمية عربية

واضحة. ولنا أن نتذكر بأن من أسماء الإله البابلي مردوخ الخمسين اسم «إيبادون» الذي يروي الحقول حاكم السماء والأرضموزع الزرع والكلأ الذي نظم السدود والقنوات ورسم خطوط المحراث. وأما في اللغة الانجليزية فإن كلمة abaddon تقابل كلمة أبدية بالعربية، والكلمة الانكليزية تعني الهاوية أو جهنم. والأبدية في العربية هي الخلود في الآخرة سواء في الجنة أو في جهنم. وهذه الدلالة تقابل كلمة abode الانجليزية بمعنى أبد. وهي صيغة من الفعل abide بمعنى مكث أو بقيأو سكن.

بوسعنا الافتراض إذن إن جبل أبادون جاء اسمه من دلالة الأبود في المكان، وهي صيغة عربية الاشتقاق. ومن المواقع العربية التي تحمل هذه التسمية

1 – أبيدة: منزل من منازل أزد السراة. وقال ابن موسى: أبيدة من ديار اليمانيين بين تهامة واليمن.

2 – أبدة: اسم مدينة بالأندلس من كورة جيَّان.

3 – بدّا: بلدة في حوض دمشق.

4 – بادة وبادت: بلدة في عبس وأعمال ميدي في اليمن.

5 – بادية: بلدة من ناحية اليمامة.

6 – بدى: بلدة في هجر.

7 – بدّا يعقوب {ضبا}: منطقة في مدين الجنوبية.

8 – بوذا وبوذان: بلدة خربة في أبين باليمن.

9 – بدوة: جبل بنجد لبني العجلان.

10- البدا: بلدة في حضرموت يقال لها حورة.

11- البادة: بلدة في البيضاء باليمن.

12– وادي أم البدون: من أودية الجانب الغربي للبحر الميت يقع جنوبي وادي مر. يبدأ من خشم أبو قديد ويمر شمال رأس الزويرة ويصب في البحر الميت.

13- كفر بدذاة: في لبنان.

14- بنو بدّا: من قبائل الحدا ثم من بني بخيت.

ترى هل استعيرت أسماءالمواقع التي جرت فيها المعارك من موروث سلتي قديم مجهول أم أن مؤلفي أسطورة آرثور بحثوا عن تسميات تنسجم مع اللغة السلتية فجاءت هذه التطابقات بمحض الصدفة؟.

الفصل الثاني من حروب آرثور، كان مع الإمبراطور الروماني.

في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، ظهر عمل بعنوان «المقفاة عن موت آرثور». المؤلف مجهول، لكن القصيدة مكتوبة بالأسلوب الملحمي الذي شاع في الشعر الانجليزي. الرؤية هنا لا تشبه سلسلة فولغيت الأبكر، إذ أنها تركز على الملك آرثور بدلًا من فرسانه مثلما فُصِّلت الروايات. يبدأ الكتاب من النقطة التي قيل فيها إن آرثور طُلبَ منه إطاعة روما. الكلمات الغاضبة تبودلت بين كل من آرثور والإمبراطور

الروماني لوكيوس إبريوس Lucius Ibrius مهددين بأسلحتهما، وكلاهما ذهبا إلى الحرب{3}.

في رؤيةٍ أخرى أن الإمبراطور يأتي بنفسه إلى آرثور لمطالبته بالولاء لكنه انشغل في معركة صغيرة، قاتلًا كاي Kay، ومصيبًا غيرفلت بجراح {وهما من فرسان الطاولة المستديرة}. عندئذٍ، الملك آرثور، وقد رأى هاتين الضربتين وكان مهمومًا تمامًا أن الفاعل هو الإمبراطور، اندفع على حصانه باتجاهه، وبسيفه الحاد والقاطع واللامع ضرب الإمبراطور على خوذته. لا شيء أمكن من منعه من جعل نصل سيفه يخترق رأسه حتى أسنانه. عندئذ، وضع آرثور جثة الإمبراطور في نعش {وأرسلها إلى روما كجزية}. هنا، لم يكتف آرثور بإرسال جزية احتقار إلى روما، ولكنه قتل الإمبراطور نفسه. تلك هي نهاية الحادثة{4}.

رواية كتاب «المقفاة» تقول إن كثيرًا من فرسان الطاولة المستديرة قتلوا في الحرب مع الإمبراطور. ولكن في النهاية، انتصر آرثور وذبح لوكيوس. عندئذٍ، تحوَّل آرثور إلى دوق في فرنسا، بادئًا هزائم أوروبا

بعد التقدم عبر إيطاليا والحصول على التاج الإمبراطوري بواسطة الرومان ومباركة البابا{5}.

وهكذا جرى تصعيد آرثور إلى إمبراطور لروما، ولكن في لحظة انهيار روما نفسها.

يقول العلامة توينبي إنه في سنة 406 وما بعدها، كانت الشعوب الناطقة بالهندية الأوروبية والإيرانية تهرب لأي اتجاهٍ غربي أمام الهون وكانت الإمبراطوريِة الرومانية الغربية تتعرض للغزو، كما كانت تغلب على أمرها. وقد نهبت روما بالذات على يد القوط الغربيين سنة 410، وعلى أيدي الفندال سنة 455. وقد أصبحت حكومة الإمبراطورية الرومانية الغربية عاجزة قبل سنة 476 بمدة طويلة {لنلاحظ هنا أن موت آرثور حدد بحوالي سنة 470}، وهي السنة التي نزع فيها إدواكر، وهو قائد الجند، السلطة من يد آخر إمبراطور روماني في رافنا {وهي العاصمة الملجأ التي اتخذتها الإمبراطورية الغربية في القرن الخامس للميلاد}. وكان المعنى الظاهـر لانتزاع

السلطة توحيد الإمبراطورية تحت سيادة الإمبراطور زينو {حكم 474 – 491}{6}.

وهكذا يلاحظ أن أصحاب الأسطورة الآرثورية أرادوا أن ينسبوا إلى آرثور واقعة الاستيلاء على روما، ومبايعته إمبراطورًا، وكأنهم يريدون بهذا الادعاء اختزال تاريخ السلت الطويل المبدد تحت تأثير الهزائم الأخيرة، ووقوع معظم مناطق السلت تحت الاحتلال.

ولكن، إذا كان آرثور قد وصل إلى ما وصل إليه من انتصارات على السكسون داخل بريطانيا، وعلى روما نفسها داخل أوروبا، فكيف أضاع روما وضاع مع روما؟ وكيف أضاع بريطانيا وأضاع معه البريتون الذين اضطروا للهجرة من بريطانيا إلى القارة الأوروبية وخاصة إلى إقليم بريتاني؟.

الجواب على هذا السؤال هو الخيانة.

وما دامت حربه مع موردرد وهي الثالثة بين حروبه، تقع تحت عنوان الخيانة، فلنعالجها إذن في فصل مستقل.

هوامش

{1} موري هوب، السحر السلتي العملي، ص ص 109 و110.

{2} آدم ليفن، عن الإنترنت، ص 18.

{3} م. ن، ص 19.

{4} م. ن، ص 15.

{5} م. ن، ص 19.

{6} أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، ج 2، ص 35.

9- الخيانــة

من الطبيعي أن تكون «الخيانة» هي الفعل الوحيد، الذي يمكن أن ينسب إليه تقويض أمجاد قائد منتصر. وهذه الخيانة يجري الحديث عنها في أسطورة آرثور بحيث تطال أكثر من شخص واحد من المحيطين به.

ووفق الروايات المتوفرة، فإن الخيانة لم تبدأ في زمن آرثور، وإنما سبقت ذلك الزمن. والرواية تقول إن أوريليوس أمبروسيوس كان أخًا لأثر بن دراغون، وابنًا للملك البريطاني كونستانتين، وإنه في السنوات التي تلت الانسحاب الروماني من بريطانيا، أصبحت بريطانيا جزيرة مكونة من ممالك صغيرة متفرقة، مما يذكرنا بمرحلة ملوك الطوائف في الأندلس. وقد حاول أوريليوس أن يوحد هذه الممالك الصغيرة في مواجهة الأعداء المشتركين مثل الإيرلنديين والبكت {وهم من السلت أيضًا}والسكسون. وقد تبعه أثر بندراغون في هذه المهمة. ولكن قبل أن يتم هذا، عمد فورتيجيرن إلى قتل كونستانتين واغتصاب عرشه. وزاد على ذلك

أن دعا السكسون لغزو بريطانيا بدعوى المساعدة على صد غزوات البكت. وحين اعترض شعب فورتيجيرن وبعض أبنائه على استدعاء السكسون، وبعد أن رأوا أن فورتيجيرن فضلهم على شعبه الخاص، حاولوا طرد السكسون. وقام هنجست وهورسا، القائدان السكسونيان المتحدران من أودن، سيد آلهة الإسغارد، باعتراضهم، وانفجر القتال.

وحاول فورتيجيرن صنع السلام. ولكن في لقاء تفاوضي حول السلام، سحب هنجست والسكسون الذين معه الخناجر التي كانوا يخبئونها في أحذيتهم، وانعطفوا على لوردات البريطانيين غير المسلحين وملوكهم الضعفاء، وذبحوهم جميعًا، ولم ينج منهم سوى (فورتيجيرن) الذي أعطى أراضيه لهنجست مقابل إنقاذ حياته، وسمح له هنجست بالمغادرة ليعيش في ذعر، مما دفعه للهرب إلى ويلز.

وفي ويلز بدأ (فورتيجيرن) ببناء قلعة، ولكنه فشل في إكمالها. ذلك أنه كلما كان يقترب من إكمال بنائها كانت أساساتها تنهار تحتها. وقد استشار سحرته

بصدد هذه الظاهرة الغريبة، فأخبروه أن عليه أن يجد ابنًا لا أب له، وقتله، ووضع عظامه ودمه في أساسات القلعة. وقد أرسل (فورتيجيرن) الرسل للبحث عن مثل هذا الولد. وحين جاءوا إلى مدينة تدعى كاير مرضن {كاير مارثن الحديثة}، وجدوا بعض الصبية يلعبون عند بوابة المدينة. وفجأة انفجر شجار بين صبيين، هما مرلين {الواقع أن اسمه مرضن} ودينابوتيوس. وعندما تجادلاو تفاخر دينابيوتيوس أنه من دم ملكي وعيّر مرلين بأنه لا أب له. وبذلك وجد رسل فورتيجيرن ضالتهم، واختطفوا الصبي مرلين وأخذوه إلى فورتيجيرن.

اعترض مرلين على قرار الملك بقتله، واتهم سحرة فورتيجيرن بالكذب، ووعد بحل مشكلة أساسات القلعة بنفسه، مما جعل فورتيجيرن يتخلى عن قرار قتله. وفي رؤية، أبلغ فورتيجيرن أن الأساسات تسقط لأن هناك بركة تحت الأرض التي تقوم عليها القلعة، ويوجد في البركة تنينان نائمان يستيقظان في الليل. وحين يستعر بينهما العراك تنهار الأساسات. وبدأ

مرلين يتنبأ: «واأسفاه للتنين الأحمر، لأن نهايته قريبة، وإن عرينه سيحتل من قبل التنين الأبيض الذي يقف مع السكسون الذين دعوتهم أنت. التنين الأحمر يمثل الشعب البريطاني الذي سيغلب على أمره من قبل التنين الأبيض».

وصمَّم مرلين على تحذير فورتيجيرن بالقول إن الرؤية كانت علامة على أنه لن يبقى ملكًا لبريطانيا. وقال إن أوريليوسأمبروسيوس ابن الرجل الذي خانه فورتيجيرن ليستولي على عرشه، سيهب لطرد السكسون، ولقتل فورتيجيرن. وبعد ذلك غادر مرلين قاعة فورتيجيرن المظلمة والتحق بأوريليوس، وصار مستشاره الرئيس. وقد نجح أوريليوس في كل الأشياء التي تنبأ بها مرلين، مثل طرد السكسون وقتل فورتيجيرن.

وفي سنة 395م خلال حكم أوريليوس ظهر مذنَّبٌ في السماء. وبعد ذلك بفترة قصيرة نجح عميل لأحد أبناء الخائن فورتيجيرن في دس السم لأوريليوس. وانتقل العرش الى أثر بندراغون. وقد أخبر مرلين أثر

بأن المذنَّب يشير إلى صعود قوته. واستمر أثر في مطاردة السكسون، وحقق الانتصارات. وبدأ يبحث عن امرأة تنجب له وريثًا للعرش. ولسوء الحظ، استقرت عينه على امرأة كانت قد تزوجت للتو، وهي «إغرين»، دوقة تنتاغل وزوجة غوريلوس دوق كورنوول. وكان الاثنان أثر وغورولوس على وشك الدخول في معركة من أجل المرأة. وكانت الجزيرة البريطانية ستغرق مرة أخرى في الحرب. وقد تقاتل أثر وغورولوس لبعض الوقت قبل أن يفلح أثر في محاصرة غورولوس في كورنوول قرب قلعة تنتاغل. وفي الليلة السابقة على خوض المعركة الأخيرة، طلب أثر من مرلين أن يمكنه من إغرين. وقام مرلين عن طريق السحر بجعل أثر مماثلًا لغورلوس، ومكنه من دخول القلعة. وقد استقبلت إغرين أثر ظانة أنه زوجها، وصارت حاملًا بآرثور من أثر. وفي اليوم التالي سيطر أثر على ميدان المعركة وقتل غورلوس. وصارت إغرين زوجة لأثر بعد ذلك بقليل. لكن الرواية لا تقول لنا بعد قصص الخيانة والخداع المتبادلة هذه لماذا لم يحتضن أثر الطفل، وكيف تخلت عنه أمه.

على كل حال، إن هذه الوقائع تبين أن البلاد عانت من الاقتتال بين الكلت وبعضهم البعض، مثلما عانت من الخيانة في تعامل بعضهم مع بعضهم الآخر، وأن الخيانة المنسوبة إلى موردرد وجوينيفير لم تكن أول الخيانات، بل كانت استمرارًا لوقائع الخيانة التي قادت إلى الهزيمة وإلى خروج السلت من دائرة القوة إلى دائرة الضعف.

في كتاب «الفولغيت»، وبسبب النغمة المسيحية لمؤلفه، حيث العظة أن المرء يجب أن يعيش كمسيحي طيِّب من أجل قطف النعم الإلهية، المسماة «الكأس المقدسة»، نجد المؤلف يستخدم لانسلوت، الذي ارتكب الذنوب بشكل متكرر، مصدرًا لتدمير العرش، بدلًا من تركيز الضوء على آرثور وغزواته الأوروبية. وهو ينسب إلى لانسلوت أنه تسبَّب في الاضطراب بسبب شأنه الصبياني مع الملكة{1}.

تقول الأسطورة إن لانسلوت الذي حرم من الحضور في قاعة العرش بوجود الملكة بسبب طيشه، كان في حربٍ مع آرثور بسبب قاوين Gawain. لقد حدث أن

قتل لانسلوت أخ قاوين المدعو قاهرييت Gaheriet. وهكذا، فإن قاوين يقنع الملك بإعلان الحرب على لانسلوت. وعلى ذلك، فإننا نرى تغيرًا ذا معنى في الشخصيات، حيث قاوين يقود الملك كما لو كان قرقوزًا. يريدُ الملك أن يصفّي حسابه مع لانسلوت، ولانسلوت نادمٌ ومجاملٌ تجاه الملك. ولكن قاوين يدفع آرثور للمضيّ إلى الحرب، وقد فعل. وبينما لانسلوت وآرثور في الحرب، أعطيَ موردرد رعاية المملكة{2}.

من هو لانسلوت؟

تقولُ موري هوب: لقد علمنا أن السير لانسلوت البحيري of lake، كان إضافةَ بريتونية متأخرة للقاعة الآرثورية. وإن «رجل النساء» لانسلوت يمثل بوضوح الحب الرومانسي، حيث يتوازن بقدر ما يكون آرثور معنيًا. إغراء الملكة من قبل لانسلوت {طبقًا لرؤية وحيدة} قيل عنه إنه كان مسمارًا دقَّ في نعشِ آرثور{3}. وهي تذكر أنه في رواية جيوفري لا توجد إشارة للطاولة المستديرة والغرال المقدسة أو السير

لانسلوت، وأنه باستثناء التلميح إلى أفالون لا يوجد أي عنصر روحي{4}.

لنلاحظ أنَّ لانسلوت هو من بين فرسان الطاولة المستديرة، وقد رأينا كيف أنه مثَّل بفضيلة «المروءة». لكن ما قيل عنه – وإن كانت تهمته الطيش – يكادُ يكون مبررًا لإسقاطه يوازي سقوط يهوذا الإسخريوطي من بين تلاميذ السيد المسيح. غير أن لانسلوت مرتبط أيضًا بسيدات البحيرة، أي بالإلهة المثلثة، مما يعني أن ثمة في القصّة نغمة مسيحية ضد عقيدة السلت القديمة. ولكن ألا نلاحظ أن اسم لانسلوت بهذه الصيغة والسلوك المنسوب إليه يذكرنا مباشرة بكلمة «سلت» أو «انسل» في العربية. وعندئذ فإن هذا الاسم لا بد وأن يذكرنا ببلدة أسلوت في لبنان، ولقد ربط بعضهم بين هذا الاسم وبين وأسل الذي هو واد في بلاد دهمة من أعمال صعدة، ووأسل قرية من قرى خولان العالية، والصلت بلدة خربة في حقل البون وبها آثار قديمة. ويبقى أن اسم بلدة أسلوت هو الأقرب إلى اسم لانسيلوت.

يقول آدم ليفن: لعل الفارق الأكبر بين معطيات المؤلفين المبكرين ومؤلف الفولغيت هو سلسلة الأحداث التي قادت موردرد للبقاء في مملكة لوغريه. في القصص الأخرى، آرثور سيغادر لمحاربة الرومان الذين يطلبون الولاء والخضوع. في الفولغيت، فإن لانسلوت هو الذي تسبب في الاضطراب بالضرورة بسبب شأنه الصبياني مع الملكة. ولأنها رواية، فإنها تركِّز أكثر على الفرسان وتجاوزاتهم، سواء الوظيفية أو الجنسية، أكثر مما تركز على آرثور. الرواية تقليدٌ من العصور الوسطى يسير في حوارٍ روائي، يتعاملُ مع البطولة، والخيال، أو الأحداث الخارقة، وغالبًا في شكل استعارة. الروايات تختلف عن التواريخ لأنها تضيف كثيرًا من اللون والمغامرة إلى القصة بدلًا من التسجيل الأمين للوقائع. ولأن الملك في القاعة الملكية معظم الوقت، فإن الروايات تتعامل مع المغامرة وما فوق المعتاد. لذلك تعاملت الفولغيت مع فرسان آرثور، خاصة مع لانسلوت، أكثر مما تعاملت مع آرثور نفسه{5}.

لكنَّ الخيانة الأخطر هي تلك المتعلقة بموردرد.

خلال وجود آرثور على البرّ الأوروبي، يستقبل الأخبار عن فسق موردرد وإمساكه بالعرش. الرسول في هذا المشهد هو سير كرادوك Cradok الذي فرَّ من كاير ليون، بعد أن قبض عليه من قبل الرجال البرابرة المستأجرين من قبل موردرد. يقول كرادوك لآرثور: «سيدي نائبك شرِّير ومتوحش في سلوكه. فلقد كتب علينا الهمَّ منذ غادرت أنت. لقد استولى على قلعتك، وتوَّجَ نفسهُ ملكًا. لقد خرج على كلِّ ضوابط «الطاولة المستديرة». لقد قسّمَ المملكة، وأحاط بها كما يرغب متصلًا مع السراسين والسكسون في كل اتجاه. ولقد أحضر عصابةً من الرجال البرابرة: بِكت ومرتزقة وفرسان محترفين من إيرلندا وأرجيل. رجال خارجون على القانون. وهناك أيضًا السير شلدريك Childrik نصِّبَ كزعيم». ويقول ليفن: إن قائمة الشعوب التي تحالف معها موردرد نمت عمّا كانت عليه في البداية. ففي الأعمال المبكرة، كان آرثور في بريطانيا يحارب السكسون وعددًا قليلًا من القبائل الجرمانية. أعمال

العصر الوسيط تضيف محاربين من الإيرلنديين والبكت {وكأنها تشير إلى الصراعات بين السلت أنفسهم}. الآن موردرد تواصَلَ مع معظم أعداء الشعب البريطاني، كلا الجرمانيين والسلت. وهذا هو الغدر الأكبر في الأعمال المذكورة. آرثور قاد معظم فرقه، وعاد قافلًا إلى بريطانيا لوقف موردرد. هناك معركة كبيرة في البحر كسبها آرثور. عندئذٍ، سير قاوين يرسو بقاربه المليء بالرجال ويهاجم جيش موردرد. يتراجع موردرد مع جيشه عبر كورنـــوول إلى التامـــار Tamar حيث يكتب رسالة إلى جوينيفير {زوجة آرثور} ينبئها بأن تهرب من يورك إلى إيرلندا، وأن تأخذ أطفالها معها. بدل ذلك، هي تهرب إلى كاير ليون وتصير راهبة{6}.

لقد قيل إن الملكة أسرعت من يورك إلى كاير ليون مع فارسين لحمايتها. وخلافًا لتقرير جيوفري، فإن ليامون يدَّعي أن جينيفير لم تصبح حقًّا راهبة ولكنها فقط اختبأت كراهبة حيث يقول: «لقد جاءت إلى كاير ليون ليلًا، مع اثنين من فرسانها، وكان رأسها مغطى بالوشاح

المقدس، وبقيت هناك كما لو كانت راهبة». وثمة مشهد مشوق في الفولجيت يتمثل في الحوار بين الملكة جوينيفير ودير الراهبات عندما هربت لأنها اعتقدت أن من ينتصر في المعركة بين آرثور وموردرد سيقتلها. لقد ذهبت إلى دير الراهبات. ومع أنها أبلغت أنها لا تستطيع أن تصبح راهبة على الفور لأن الملك آرثور سيقتل الراهبات بسبب قبول زوجته بينهن، فقد قالت لها رئيسة الديرك «إذا فارق الملك عالمنا، سنكون مسرورين بقبولك رفيقة لنا وفق نظامنا. ولكن ما دام حيًا، فنحن لا نجرؤ على استقبالك، لأنه سيقوم بالتأكيد بقتلنا فور اكتشاف ذلك». الملكة وافقت أن تجلس مع الأخوات إلى أن تعرف نتيجة الحرب. غذا خسر آرثور فإنها ستصبح راهبة، وإذا انتصر فإن رئيسة الدير ستساعدها للعودة معًا».

هنا نحن أمام خيانة إضافية، هي خيانة الملكة جوينيفير.

إن كتاب الفرنسي ويسي Wace المنشور حوالي 1155 وقد اعتمده ليامون في مؤلفه عن بروت

{بريطانيا} حوالي القرن الثالث عشر، يقول: آرثور علم بخيانة موردرد من خلال رسول. وهكذا، حتى يتمكن الرسول من تفادي عصبية آرثور بإبلاغه الأخبار فإنه ادّعى حلمًا عن موردرد والملكة اللذين هاجما آرثور بسبب أمواتهما على يد آرثور. بعد أن سمع آرثور بخيانة موردرد، حلف أنه سيقتل موردرد ويحرق الملكة. ويمكن للمرء أن يستنتج من كتاب جيوفري أن موردرد قبض على التاج والملكة. هنا، فإنَّ القارئ يقاد إلى أن الملكة هي في تحالف مع موردرد. أمّا ليامون، فيضيف إلى القصة قائلًا إن سير قاوين أراد شنق موردرد وإيواء الملكة. ويقدّم ليامون للقارىء فكرةً عن جواسيس في خدمة جوينيفير: «الآن، كان هناك جنديٌّ شرّير في جيش الملك آرثور، الذي ما إن سمع النقاش عن قتل موردرد، حتى أخذ خادمه على الفور، وأرسله إلى تلك البلاد مع تحذير إلى جوينيفير مما كان يحدث، وكيفَ أنّ آرثور كان يرحلُ مع فرقٍ متعددة». وماذا كان يفترض أن يفعل، وما هو متوقّعٌ منه بالضبط. ذهبت الملكة إلى موردرد الذي أحبّته أكثر من كلِّ الرجال، وأخبرته بنوايا الملك آرثور. وفي

رواية ليامون، كما في تاريخ جيوفري، عبَّأ موردرد الفِرَقَ ضدَّ آرثور، وقدّر عددها في تلك العملية بمائة ألف جندي{7}.

ثمة رواية أخرى مختلفة في الفولغيت، تبرِّئ الملكة. كان آرثور في هذه الرواية يزوِّدُ بالأخبار من قبل خادمٍ أرسلتهُ الملكة. وكان موردرد يحاصرُ قلعة لندن حيث تختبىء الملكة. لقد أخذ الأراضي والشعب كما لو كانا له، وتوّجَ نفسَه ملكًا للوغريه. هناك، مع ذلك، لغةٌ مشوّقة في هذه القصة. بسبب الدافع المسيحي فإنَّ المؤلف يرى أنه دون شك فإن آرثور وقاعة عرشه لا يمكن أن يذهبا لاتباع الطرق «الصحيحة» للمسيح، وذلكَ حين يقول الملك آرثور: «آه! موردرد. الآن أنتَ جعلتني أتحقّقُ أنك الأفعى الذي حدث أن أخرجته من أحشائي، والتي أحرقت أرضي وهاجمتني. ولكن لا يمكنُ لأبٍ أن يفعلَ بابنِهِ مثلَ ما سأفعلُهُ بك. لأنّني سوف أقتلك بيديَّ الاثنتين. ينبغي للعالم كلِّه أن يعرفَ هذا. الله يأبى أن تموتَ على يدي شخصٍ آخر، بل بيدي». هذا هو الشيء الأسوأ الذي يستطيع أي

شخص عمله. أن يقتلَ طفلهُ الخاص، وأنه يرى بوضوح أنَّ قاعة آرثور قد سقطت إلى نقطةٍ كهذه، مما يجعلُ استعادتها مستحيلة. بالإضافة إلى ذلك، هذهِ أولُ جملة حيثُ نعلم أنَّ موردرد هو ابن الملك، وليس ابن أخٍ أو أخت له حقًا. إنّهُ ليبدو أن مؤلف الفولغيت أراد ببساطة أن يقول بأنَّ المملكة قد سقطت تمامًا، وأنَّ الأسوأ من قتل ابن الأخ أو الأخت هو قتل الإبن{8}.

تبدو القصّةُ على هذا النحو اقتباسًا من قصّة تمرّد أبشالوم على أبيه الملك داود.

والآن، لنتوقف عند بعض تفاصيل الحرب المدْعاة بين آرثور وموردرد.

تقول إحدى الروايات إنّ الجيشين التقيا في رومني Romney. هناك انتباهٌ زائد معطىً لبطولات قاوين في قصَّة ليامون، حيثُ قيلَ إنَّه هزم أحد عشر قائدًا سكسونيًا قبل أن يتلقى أخيرًا طعنة قاتلة. يهرب موردرد ثانيةً إلى لندن، حيث يعود إليها قبل التوجّه

إلى ونشستر. أعطي الحصارُ في ونشستر انتباهًا كبيرًا، حيث أنه بدلًا من أن يفرَّ موردرد من ونشستر مع رجاله، فإنه تسلل خارجًا، تاركًا معظمهم وراءه. وهذا ترك كثيرًا من قوّاته خارج قيادته، مع أنهم ظنوا أنه كان قد بقي ملازمًا لهم. هذه الخيانة لرجاله أضافت توضيحًا حول غدر موردرد. لقد هرب إلى ساوثامبتون، وأبحر إلى كورنوول. جنَّد موردرد جيشًا آخر، بينما التفَّ حول آرتور المزيد من الرجال. والتقى القائدان ثانية على نهر تامار قرب كامل فورد. وإنه من الواضح أن موقع Camel يتصل بموقع جيوفري كامبلان، ولحوليات كامبريا كاملان. وقد قتل موردرد في هذه المعركة{9}.

من المؤكد أن كلمة «كامل»، وبجميع الصيغ التي ترد بها، مثل: كاملان وكاملوت وكامل ليست الصيغة الانجليزية لنطق اسم الجمل وإنما هي تتطابق مع كلمة كامل بمعنى تام في العربية. وينطبق الأمر أيضًا على الإله السلتي كامولو {أي الكامل/ التام}. وكان كومل اسمًا لأحد حصون اليمن. وثمة قصة للخيانة

والغدر تدور حول بئر اسمها «كملى». يقول ياقوت: قرأت بخط ابن العطار قال ابن الكلبي عن ابن صالح عن ابن عباس: طبَّ رسول الله {صلعم} حتى مرض مرضًا شديدًا، فبينما هو بين النائم واليقظان رأى ملكين أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه. فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسهما وجعه؟. قال: طب. قال: ومن طبَّه؟. قال: لبيد بن الأعصم اليهودي. قال: وأين طبَّه؟. قال في كربة تحت صخرة في بئر كملى، وهي بئر ذروان ويقال (ذي أروان). فانتبه النبي {صلعم} وقد حفظ كلام الملكين فوجّه عمّارًا وعليًا وجماعة من أصحابه إلى البئر فنزحوا ماءها فانتهوا إلى الصخرة فقلبوها فوجدوا الكربة تحتها وفيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة فأحرقوا الكربة وما فيها فزال عنه عليه الصلاة والسلام وجعه. وكان كأنه أنشط من عقال. وأنزل الله عليه المعوذتين إحدى عشرة آية على قدر عدد العقد، فكان يأتيه، عليه الصلاة والسلام، لبيد بعد ذلك فلا يذكر له شيئًا من فعله ولا يوبخه به{10}.

أوردنا هذه الواقعة من السيرة النبوية لا بسبب تشابه التسميات الواردة فيها مع تلك الواردة في قصة آرثر،

ولكن لأنها تعطينا نموذجًا لأسلوب التعامل مع الواقع زمن البعثة المحمدية باتجاه الصعود، بينما تعامل ملوك السلت مع مشكلاتهم بأساليب أدت إلى انهيار قوتهم وخروجهم من مسرح التاريخ. وقد جرى ذلك في أزمان متقاربة.

من المعطيات الجغرافية السابقة يتبين أن (كامل فورد) أو بالأصح «فرضة كامل» كانت تقع قرب نهر تامار. وتسمية تامار هي أيضًا تسمية عربية أصيلة، وتامرا طسوج من سواد بغداد بالجانب الشرقي وله نهر واسع يحمل السفن في أيام المدود. وتامر كيدا بلد بالمغرب، وتامور اسم رمل بين اليمامة والبحرين، وتمير قرية باليمامة من قرى تمر. كما ورد معنا اسم موقع «رومني»، ورامان ناحية بالأهواز، ورامة في طريق البصرة إلى مكة، والرامة بلدة معروفة في فلسطين، ورميان: موضع في جزيرة العرب، ورومان: موضع في بلاد العرب. والروماني في اليمامة أو بالقرب منها، ورامين من أعمال الموصل. وحتى اسم يورك نجد له أصولًا في المنطقة العربية، فهناك أولًا

الياروقية محلة كبيرة بظاهر مدينة حلب، وهناك يراخ حصن من أعمال النجاد باليمن.

إنّ قصةً ثانيةً حول المعركة تقول إن آرثور حصل على رياح طيبة قوية ساعدته على الوصول إلى قلعة دوفر Dover بسرعة كبيرة. ومع ذلك، فإنه في هذه الرواية، لم يكن موردرد في الانتظار لمقابلتهم، وقاوين ليس القائد المنتصر في المعارك كما كان سابقًا. في الواقع، إنه على فراش الموت. لقد حُمل إلى الشاطىء وترك ليستريح مع أخيه قاهرييت. كلاهما ماتا بيد لانسلوت. آرثر كان له رأي في قاوين، الذي أخبره بأن يبحث عن لانسلوت، لأنه بدونه لا يمكن لآرثور أن ينتصر. آرثور، مع ذلك، يعتقدُ أنَّ لانسلوت لن يساعدهُ منذ أن تحاربا وله أيضًا رؤية في فورتيون Fortune {إلهة الحظ} وعجلتها التي سحق تحتها، وهي نبوءة جاءت عن معركته مع موردرد. آرثور اعترف لمطرانٍ يعبّر الأحلام وثانية أُبلغَ آرثور بأن يبحث عن لانسلوت، وثانيةً رفض آرثور ذلك. ثمة نقطةٌ مشوّقةٌ هنا، وهي أن

المطران يخبر آرثور أنه إذا لم يحصل على مساعدة لانسلوت، فإنه سيصاب بجرح مميت أو يقتل{11}.

وفي مشهدٍ آخر، يأتي رسولٌ من قبل موردرد إلى آرثور ببلاغ نهائي. إمّا أن يغادرَ آرثور البلاد، وفي هذه الحالة لن تكون حرب، أو أنه سيحارب موردرد. آرثور اختار الخيار الثاني، معتقدًا أنه باتَ من المتأخّر جدًا إمكانية التراجع. ينتظم الجيشان في أُرطات {ألف جندي تقريبًا لكل أُرطة}، ويلتقيان في إقليم سالسبوري. وكان من شأن ذلك أن يؤدي إلى خراب مملكة لوغريس وممالك كثيرة أخرى، لأنه في ذلك الحين كان هناك القليل من الرجال النبلاء بالقياس إلى ما كان عليه الوضع في الماضي. أكثر من ذلك، فإنه بعد موتهم، بقيت الأراضي مهملةً وخربةً، نتيجة النقص في اللوردات الجيدين، لأنهم قتلوا جميعًا وسط كثير من الألم والمذابح. أولًا سير إيفين Yvain يقتل ملك السكسون، متبوعًا بهجوم ناجح من قبل رجال آرثور. عندئذٍ، الملك يون Yon يلتحق بالمعركة بعد وقت قليل من لحاق الإيرلنديين بالسكسون. الملك

يون قتل على أيدي الإيرلنديين. والملك كارادوك Caradoc يحضِّر الأورطة الثالثة من جيش آرثور. كارادوك يدحر الإيرلنديين. والسكوت يأتون للدفـــاع عن رفاقهم المضروبين بشكل سيِّئ. كارادوك وقائد السكوت قتل كل منهما الآخر. الآن، رجال آرثور في حالة هرب.. الملك كابرنتين Kaberentin من كورنوول يهاجم العدو بأرطته الرابعة. يرسل موردرد أورطتين إضافيتين لصدِّ الهجوم. والملك أغويسانت Aguisant يأخذ أرطته الخامسة إلى المعركة. أخيرًا كل الأرطات، باستثناء الاثنتين الأخيرتين موردرد وآرثور منخرطة في القتال. يأخذ آرثور أرطته ويهاجم موردرد. هذا الحساب الضخم للمعركة، شاملًا كلَّ أسماء الملوك المشهورين، يتفق مع الليجندات المبكرة لكل من العالمين الانجليزي والسلتي. الكثير من فرسان آرثور سقطوا قتلى. أخيرًا آرثور وموردرد تقابلا. وآرثور يقتل موردرد، ولكن ليس قبل أن يصيبه موردرد بجراح قاتلة{12}. ومن بين مائتي ألف رجل، فقط آرثور واثنان من الفرسان نجوا{13}!!.

إذا صحَّت هذه الرواية، وحتى إذا لم تكن صحيحة، أو كانت تنطوي على المبالغة، فإنها في جميع الأحوال تريد أن تقدم لنا تفسيرًا حول الكيفية التي مارس بها «القوم الجبارون = الكلت» عملية التدمير الذاتي للنفس من خلال عاملين، هما: التجزئة إلى ممالك متناحرة أو متنافسة والخيانة. وأن هذا لعب دورًا أكثر خطورة من تعرضهم لهجمات القبائل الهندو - أوروبية في ذلك الزمن.

ولكن ربما كانت الرواية من نسج الخيال. ومع ذلك، فإن الواقع التاريخي يتحدث عن نفسه، وما حدث للسلت في أوروبا الغربية يمثل قصة انهيار عظيم بسبب تراكم الأخطاء الذاتية. وهذا ما حدث للعرب المسلمين لاحقًا في الأندلس، وكانت شبه الجزيرة الإيبيرية من قبل فينيقية وسلتية، ثم تعززت بالوجود العربي الإسلامي. ومع ذلك فإن منطق الصراع بين ملوك الطوائف أدى الى الهزيمة المريرة، وهذا ما واجهه السلت في أوروبا قبل تجربة العرب في الأندلس بكثير.

وفي هذا الصدد، يقول آدم ليفن في تعقيبه على الروايات المتناقضة، أو محاولة تفسير ما حدث، أن جيوفري فضَّل ألا يقول شيئًا منذ عرفَ أنَ الحدث الحقيقي وقع في الغال. ولكن منذ أن ذكرت الليجندة الويلزية أن آرثور مات في كاملان، فقد احتاج إلى طريقة ما لإرجاع آرثور إلى بريطانيا. عندئذٍ، استعمل جيوفري «الخيانة عالية المستوى» وربطها مع ليجندة كاملان. ومرةً ثانيةً ما دام جيوفري لم يشِر إلى ذكر مرلين لكاملان في كتابه المبكـــــر «حياة مرلين»، يبدو أن جيوفري وجد بعض المعلومات الجديدة وغيَّر قصّته{14}.

هوامش

{1} آدم ليفن، م.س، ص 15.

{2} م. ن، ص 15.

{3} موري هوب، السحر السلتي العملي، ص 200.

{4} م. ن، ص 111.

{5} آدم ليفن، م. س، ص 15.

{6} م. ن، ص ص 20 و21.

{7} م. ن، ص ص 13 و14.

{8} م. ن، ص ص 15 و16.

{9} م. ن، ص 14.

{10} ياقوت، ج 4، ص 479.

{11} آدم ليفن، م. ن، ص 16.

{12} م. ن، ص 17.

{13} م. ن، ص 14.

{14} م. ن، ص 12.

10- موت آرثور

تشكل أسطورة اختفاء آرثور محور الأسطورة الآرثورية. فالرجل لم يكن مصيره - وفق الأسطورة - مثل مصير أي رجل فان، تنتهي قصته البطولية بالموت الذي هو مصير كلِّ إنسان {باستثناء الخضر في أسطورة الصعب ذي القرنين، حيث حظي - وفق الأسطورة - بماء الحياة، بينما مات الثاني في رحلة العودة إلى اليمن ودفن في موقع يدعى حنو قراقر}. ويبدو هنا أن حصول آرثور على «الغرال» مثلما تُبيِّن قصيدة «غنائم الأعماق»، يماثل حصول الخضر على ماء الحياة. ولكن - كما سبق ورأينا - فإن آرثور أعاد السيف إلى سيدة البحيرة، أما الغرال فقيل إنها انتهت إلى الهند!

على كل حال، قبل أن يواجه آرثور مصيره، كان لا بدَّ للأسطورة من أن تجعله يرى حلمًا ينبىء بهذا المصير.

في كتاب «المقفاة في موت آرثور»، يحلم آرثور أنه في غابة بعيدًا عن القاعة المتحضِّرة. ومثل قاعة

الوسط {mead} الانجليزية القديمة، فإن القاعة المقابلة بين قاعة العرش والغابة البريّة موضوعٌ شائع في الأدب الانجليزي. تمثّلُ قاعةُ ال‌عرش عادةً مكانًا للفرح والسلام. ولكنَّ آرثور يرى وحوشًا مفترسة تحيطُ به. يأتي آرثور إلى أكمة جميلة مليئة بالزهور والفواكه. عندئذٍ، فإن السيدة فورتيون تنزل مع عجلتها التي تضم الملوك القدامى والحكام المشهورين. كلهم يعلنون أنهم لم يأخذوا فرصتهم من الحظ. حول العجلة هناك تعلق الملوك. الأعظم قدمًا كان الإسكندر الذي انحنت كل الأرض أمامه. الثاني هكتور أوف تروي، ذلك البطل الصلب. الثالث يوليوس قيصر، الذي انبعث كعملاق مُحاطٍ بالفرسان والعظمة في كل معاركه. الرابع كان سير جوداس/ يهوذا Judas، مبارزٌ أكثر نبالة، ذلك المكابي الذي لا يهزم، عظيم في قوته. الخامس كان يوشع Jushua، ذلك الرجل الشهم في أسلحته!!. السادس داود الذي لا نظير له، المعتبر من الملوك واحدًا من الأكثر نبلًا لم يكن يماثله أحد في الفروسية. السابع سيدعى شارل Charles ابن ملك فرنسا. الثامن سيكون غودفري Godfrey الذي

سينتقم لله في يوم جمعة طيب، مع فرسانه اللامعين. هذه قائمة بالثمانية المستحقين من بين تسعة. مجموعة من الشخصيات التاريخية التي اعتبرت مستحقة للإعجاب أو التمجيد. الثلاثة الأول وثنيون {الإسكندر وهكتور وقيصر}. الثلاثــة التالون يهود {يهوذا المكابي ويوشع وداود}!!. الثلاثة الأخيرون مسيحيُّون {شارلمان وغودفري وآرثور} وهكذا، ثمانيةٌ منهم على العجلة، وآرثور سيكون التاسع مكملًا المستحقين المسيحيين الثلاثة. ترتدي الليدي فورتيون ثيابًا حريرية جميلة مرصعة بالذهب. وهي تتحلَّى بالجواهر والذهب. عجلتها أيضًا مرصَّعة بالذهب والحجارة النادرة. خرافة عربة فورتيون قديمة جدًا. إنها تتحكم بحياة الناس، وإذا كانت في مزاج طيب، فإن الشعب سيزدهر. ومع ذلك، كانت مزاجية، وحالتها يمكن أن تتغيَّر بسرعة. وهذا ما يجعلها مزودة بعجلة. فالعجلة تدورُ بسهولة. وفي دقيقة واحدة فإنَّ أحدًا ما يمكن أن يكون في القمَّة بينما في الدقيقة التالية فإن الشخص نفسه يمكن أن ينسحق تحتها. وهكذا، كان مهمًا الاستعداد دائمًا، أنه لا

مهرب مما ترسله فورتيون. في الحلم، يسير آرثور صاعدًا إلى المرأة التي تجلسه على العرش، تعطيه كوكبًا وصولجانًا وتاجًا وسيفًا. هي تعطيه طعامًا وشرابًا. ولكن بعدئذ، عند النظر، فإنها تُغيِّر مزاجها وتدير العجلة، مرسلةً آرثور لينسحق على الأرض، مهشمة أعضاؤهُ وظهره. وطبقًا لقصّة آرثور، فإن هذا يعني أنَّ حظه الجيِّد اقترب من نهايته. الحكيم يُخبر آرثور أنه وصل أوج المجد zenith، وسوف لن يحقق شيئًا أكثر. الحكيم يخبر آرثور أيضًا أنه قتل كثيرًا من الأبرياء، والآن عليه أن يزحف لأنه متأخرٌ جدًا{1}.

أكثر ما يلفت انتباهنا في قصّة هذا الحلم الملفقة يقينًا، أنَّ إقحام يوشع بن نون ويهوذا المكابي يشيرُ إلى وجود تأثير يهودي أكيد في القصة، خاصةً وأن الفرسان المسيحيين المدَّعين، اثنان منهم لم يكونا قد ظهرا بعد، وآرثور لم يكن مسيحيًا.

إن الحلم عند ليامون هو حلم مماثل. واضعًا قاعة وسطى فعلية للعرش على عجلة فورتيون. ترك آرثور على قمة القاعة، ويجلس كما لو كان يعتليها، ناظرًا إلى

كل الأراضي التي تخصُّه. الموازاة ثانية تتمثل في الحياة البرية خارج قاعة العرش، بينما الفرح والراحة في الداخل. عندئذٍ، يظهر موردرد وجوينيفير، ويدمران قاعة العرش، كاسرين ذراع الملك في العملية. الملك قتل موردرد والملكة. عندئذ، يجدُ نفسه في مرعى مليء بالحيوانات الغريبة، مع عدم وجود طريق للعودة إلى قاعة العرش التي دُمِّرت للتو، معلنًا أنه ما من سبيل للعودة إلى مأمن كاميلوت Camelot. تجيء إليه لبوةٌ ذهبيّةٌ جميلة. تقبض عليه بأسنانها، آخذةً إيّاهُ بعيدًا إلى البحر، مما يشكل ظلالًا لرحلته الفعلية إلى أفالون بعد ذلك في القصيدة{2}.

الحلم في كتاب «المقفاة» يبدو مختلفًا جدًا عن الحلم الذي يورده ليامون في كتابه «بروت». لكن التماثلات تشمل المتوازيات في قاعة العرش والقفر، وظهور عنصر النبوءة الذهبيّة الأنثوية، وتلف أو مقتل الملك آرثور{3}.

المطرانُ الذي عبَّر حلمَ آرثور، أخبرهُ أنه إذا لم يحصل على مساعدة لانسلوت فإنه سيصاب بجرح مميت أو يقتل. المؤلف الذي أورد هذه النقطة، يبدو أنه كان لا يزال غير متأكد أي الفكرتين التاريخيتين الممكنتين سيتبع، تلك التي تقول بجرح آرثور ومعالجته أو تلك التي تقول بموته ودفنه{4}. يرفض الملك نصيحة المطران بالهرب. وبينما نحن نمضي معه في سهل سالسبوري، فإنه يرى حجرًا تنبؤيًا كتب عليه «في هذا السهل ستأخذ مكانها المعركة المميتة التي سوف تقوّض مملكة لوغريس». يخبر المطران آرثور ثانيةً أنه سوف يموت أو يصاب بجراح قاتلة، تاركًا مصير آرثور غير مؤكد{5}.

لم تحلْ هذه النبوءات دون مواصلة آرثور للحرب مع موردرد. وقد تمكن آرثور من قتل موردرد، ولكنه استقبل بالمقابل خمسة عشر جرحًا نافذًا. وهذا – كما يرى ليفن – رقم ذو مغزى، ما دام أن السيد المسيح عليه السلام استقبل خمسة جراح على الصليب. هنا

يجعل الراهب ليامون آرثور في هيئة المسيح، ويجعله يقاسي ثلاثة أضعاف أكثر من المسيح نفسه{6}.

بعد هذه الجراح، يذهبُ آرثور إلى الكنيسة السوداء ويصلّي. إنه يحتضنُ لوكان Lucan أحد رجاله القليلين الباقين وهو يموت. أخيرًا بقي آرثور وغيرفلت{7}.

يخبرنا جيوفري أن آرثور جرح جروحًا مميتةً، وحُمِلَ إلى جزيرة أفالون، حيث يمكن لجراحه أن تلتئم. سيقال لنا إن هذا العلاج سيتم من قبل جنيَّة تدعى أرجانت Argante. هذا الذكر للجن، وحضور امرأتين في القارب الذي نقل آرثور بعيدًا كلاهما إضافةٌ من ليامون، طبقًا لألن Allen الذي يقول: «فقط في لاومان حيث قيل إن آرثور لا يزال حيًا بين الجن، في نطاق تقاليد قديمة عديدة، حيث قيل إنه مع أخته مورغان Morgan، التي هي واحدةٌ ممَّن في القارب ضمن كتاب مالوري عن «موت آرثور». لاومان لم يذكر غلاستنبري هنا. القارب وما يحمل كان من إضافات لاومان، أما مالوري فمتردد هل كان هناك ثلاثة أو

أربعة سيدات في القارب. وأخيرًا، فإن آرثور وهو يغادر، قال إن الملكة أرجانت سوف تعالج تمامًا كلَّ واحد من جراحي. ستجعلني معافى تمامًا بواسطة قدراتها لإعطاء الصحة. وعندئذٍ سأعود إلى مملكتي الخاصة، وأسكن بين البريتون مع الفرح الغامر{8}.

في الفولغيت، بعد أن أعيدَ السيفُ إلى سيّدة البحيرة، صرف الملكُ غيرفلت وانتظر موته. المشهد الأخير في حياة آرثور رؤيته للسفينة قادمة، تمامًا كما ترد في الرؤى الأبكر. في هذه الرؤية، السفينة تحتلها كليًا النساء. وبدلًا من أن يكنَّ اثنتين فقط، كما في ليامون. والسيدة تمسك بيد أخت آرثور مورغان. غيرفلت راقبهنَّ يأخذن آرثور بعيدًا، وبعد ذلك عدن إلى الكنيسة السوداء{9}.

يذكر غيرالدوس كامبرنسيس في عام 1195 أن مورغانيس الأم النبيلة والحاكم والليدي لجزيرة أفالون، والتي كانت على الغالب قريبة بالدم للملك آرثور، حملته بعيدًا بعد حرب كاملان إلى الجزيرة التي

تُسمَّى الآن غلاستون حيث ستقوم هي بمعالجة جروحه{10}.

فكرةُ أخذ آرثور لمعالجة جروحه، كانت الأرضيَّة التي بنيت عليها فكرة غياب آرثور وعودته المنتظرة في زمن ما. وهذه الفكرة تنسبُ بدايةً إلى وليام مالمسبوري الذي وضع حوالي عام 1125 كتابه «قصة إقليم إنغلورم»، حيث وجدت الفكرة القائلة إنّ آرثور ليس ميتًا، وإنه سوف يعود. ولكن قبر آرثور هو الآن معروف، بينما ظل القدماء يعتقدون بعودته{11}.

ومع أننا معنيُّون بمناقشة أوسع لأصل هذه الأسطورة ودلالاتها، إلا أننا نعتقد بأنَّ وضع مصير آرثور النهائي بيد النساء، وإعادة سيفه إليهنَّ ينطوي على نوع من التفكير يماثل ما يسود العقل الفلسطيني اليوم. فمع التزايد اليومي لأعداد الشهداء لا ينقطع الأمل في المواليد الجدد الذين يعوِّضون الخسارة، ويدعمون إرادة الاستمرار في الصمود. ولعلَّ أرحام النساء في هذه الحالة هي الغرال «الجرة المقدسة». فآرثور الجريح كان معنيًا بإعادة السيف إلى سيدة البحيرة،

أما الغرال فيبدو أنها كانت في حوزتها أصلًا. ويبدو أنه الرحم الولود.

هل عثر على قبر آرثور؟

في إحدى الروايات، قيل إن (غيرفلت) رأى قبرًا لوكان، وبجواره قبر فاخر وغنيّ جـدًا، قيل عنه: «هنا يرقد الملك آرثور الذي بفضل شجاعته هزم اثني عشر مملكة». وكذلك جاء في الفولغيت إن آرثور أخذ بعيدًا في السفينة الملأى بالنساء وقبره وجد. الناسك يخبر غيرفلت أن «الحق يكمن هنا. لقد أحضر إلى هنا بواسطة بعض السيدات اللواتي لم أستطع معرفتهن»{12}.

وبينما يدّعي جيوفري أنَّ قبر آرثور عثر عليه للتو، وفي الواقع لم يكن قد وجد إلى ما بعد وفاته، فإن معالجته أثرت على الأعمال التي أعقبته. مع ذلك، فإن عملًا جاء مباشرة بعد موت جيوفري تضمّن ادّعاءً مشوقًا. ففي العام 1195، ذكر غيرالدوس كامبرانسيس قبر آرثور في كتابــه عن الأمراء: «الآن

جثمان الملك آرثور وجد في أيامنا هذه في غلاستنبري عميقًا في الأرض ومكفّنٌ بشجرة بلّوط مجوّفة [النقش على القبر] يردُ كما يلي: «هنا يرقدُ مدفونًا الملك الشهير آرثور مع جنيفير زوجته الثانية في جزيرة أفالون». وإنه ليس مدهشًا أن القبر وجد في غلاستون Glaston، كما يشرح غيرالدوس. فالمكان الذي يسمَّى الآن غلاستون، كان يُسمَّى في الأزمنة القديمة جزيرة أفالون. ذلك لأنه كان جزيرة، مغطاة بالمستنقعات، وكان في اللسان البريتوني يدعى Inis Avallon، وتلك هي جزيرة التفاح. وهكذا، وطبقًا لحساباته، فإن قبر آرثور وجد في المكان المتوقع. ويرى آدم ليفن أن غيرالدوس خلط إنيس أفاللاك في الليجندة الويلزية مع أفاللون الغالي{13}. ومثل هذه الملاحظة، أوردها أيضًا بصدد رواية جيوفري الذي يخبرنا أن آرثور أصيب بجروح مميتة، وحمل إلى جزيرة أفالون، حيث يمكن لجراحه أن تلتئم. أفالون نظر إليها مباشرة على أنها أكثر ارتباطًا بـ {أفالون} الغالي من {أفاللاك} الويلزي. وهكذا، فإنه من الممكن تمامًا أن جيوفري نقل المكان من الغال إلى

بريطانيا بغض النظر عن معرفته باسم المكان الويلزي{14}.

إن تصميم آدم ليفن على المفاضلة بين الموقعين الغالي والويلزي له في الواقع ما يبرره. وهو يقول في هذا الصدد إنه ذكرت «الغال» ولكن مكانًا آخر بالغ الأهمية لم يذكر في كتاب «حياة مرلين» لجيوفري. فالحوليات الويلزية تذكر مكانًا لموت آرثور يشمل مكانًا يسمى كاملان. وعليه، فإنه إذا كان «خنزير كورنوول»، الذي يقصد به بوضوح آرثور، كان قد خاض معركته الأخيرة في كاملان، أما كان جيوفري سيذكر ذلك كجزء من نبوءات مرلين؟. من الواضح أن مصادر جيوفري، مهما كانت، قادته إلى أن موت آرثور كان في مكان آخر. وفقط أخيرًا حين قرأ عن «كاملان» أعاد سرد قصته، موحدًا الرؤية الأصلية مع ليجندة ويلز عن كاملان. إن جيوفري، ومن أعقبوه، أخذوا بالليجندة القائلة إن آرثور ذهب إلى جزيرة أفاللون للعلاج بعد معركته الأخيرة. والاسم الويلزي لمكان التفاحات هو Ynvs Avallach. وتعبير

جيوفري اللاتيني Insula Avallonis ليس مماثلًا حقًا. وإنه من الممكن تمامًا أن لفظ جيوفري Avallonis كان متأثرًا بمكان فعلي يدعى Avallon. في الواقع، أفاللون هو اسم غالي بنفس المعنى. وأفاللون الحقيقي يوجد في بورغندي حيث انتهت مهمة آرثور الغالية{15}.

وإذا قبلنا بهذا الاستنتاج، فإن قصة خيانة موردرد، وكل ما رافقها، وما قيل عن المعارك بين آرثور وموردرد، تكون من صنع الخيال. وربما كانت الغاية منها هي القول بأن هزيمة السلت {ومن الغريب أنها عُدَّت انتصارات لآرثور} كان وراءها الخيانة من جهة، والتناحر بين القبائل والشعوب السلتية من جهة ثانية، وبسبب غزو القبائل البربرية من مواقع خارجية وتعاون بعض السلت معها أو تهاونهم في مواجهتها. ولعل هذا كله وقع حقًا، وجعل السلت في أوروبا الغربية يواجهون ظروفًا تشبه تلك التي واجهها العرب في الأندلس، وجاءت أسطورة آرثور لتصوّر المأساة التي حدثت، وليس لتأريخ الأحداث التي وقعت

بالفعل. وإذا كان السلت ينتمون أصلًا إلى العناقيين الرفائيين، وبالتالي إلى العرب البائدة، فهذا يعني أن قصَّة موت آرثور وانتظار عودته منقذًا رغم ذلك، إنما هي في نهاية المطاف قراءة في تجربة عربية أكثر مما هي أوروبية.

وقد قيل إن آرثور وهب مملكته إلى قريبه كونستانتين، قبل أن يجري حمله إلى جزيرة أفالون سرًا، لمعالجته والاستراحة في صمت{16}. لكن هذا يتناقض مع القول بمقتل كل رجاله باستثناء غيرفلت. والواقع أن لا أحد يتحدث عن مصير مملكته، مما يرجح استنتاج البعض أنه ا «تصورات خيالية لا علاقة لها بالتاريخ»{17}.

هوامش

{1} آدم ليفن، عن الإنترنت، ص ص 19 و20.

{2} م. ن، ص 20.

{3} م. ن، ص 19.

{4} م. ن، ص 16.

{5} م. ن، ص 17.

{6} م. ن، ص 14.

{7} م. ن، ص 17.

{8} م. ن، ص 14.

{9} م. ن، ص 18.

{10} م. ن، ص 9.

{11} م. ن، ص 6.

{12} م. ن، ص 18.

{13} م. ن، ص ص 8 و9.

{14} م. ن، ص 12.

{15} م. ن، ص 8.

{16} موري هوب، السحر السلتي العملي، ص 111.

{17} م.ن، ص 11 1.

11- استنتاجات

يرى آدم ليفن فيما يتعلق بأسطورة آرثور، إن القنطرة بين المادة البسيطة المبكرة والأكثر تعقيدًا بعد ذلك، تتمثل في كتاب جيوفري مونموث المكتوب سنة 1136، ففي هذا العمل وحده توجد قاعدة معظم المدونات الآرثورية التي نعرفها اليوم. وفيه أيضًا قاعدة المناقشات المتعددة حول استمرار حياة آرثور. وبينما معظم المعلومات في كتاب جيوفري مفبركة، فإن هناك قاعدة كافية لحوادث حقيقية عن حياته قابلة للفحص الحذر. بالطبع لا يمكن أن يكون هناك جواب نهائي عما إذا كان آرثور أو لم يكن حقيقة، ولكن بعض المعطيات مشوقة للغاية{1}.

هذه النقطة مهمة في تفسير ما يمكن أن نسمِّيها بالدوافع القومية لجيوفري. فالروابط البريتونية لجيوفري مهمة في بيان مصادره. من الواضح أن معظم غايته كانت تمجيد البريتون القدماء، أسلاف الويلزيين والبريتون. وفي عمله فإنه يجعل بريتاني

مملكة لها خصوصيتها، ولها أمير بريتوني، هو الجد الأسبق لآرثور، جاء من بريتاني لمساعدة البريطانيين في دفاعهم ضد غزوات البكت والإسكوتلنديين{2}. ولنلاحظ أن جميع الأطراف المتحاربة هي سلتية. ويرى ليفن أنه في فحص عمل جيوفري، من الضروري أن نضع في الاعتبار لمن كان يكتب وماذا كان محور اهتمامه؟ حيث أنه من المفترض أنه ولد في مونموث في جنوبي شرق ويلز، وبذلك كان ويلزيًا. مع ذلك، هو أبدى اهتمامًا ببريتاني والبريتون القدماء وآمالهم، مما يفترض أن عائلته جاءت عبر القنال، مثلما فعل عديدٌ من البريتون زمن الغزو النورماندي. البراءات المتعلقة بممتلكات الكنيسة تكشف أنه كان معروفًا بـ«والتر Walter» أرشيدوق أوكسفورد، والذي يرد اسمه ضمن مصادره. بعد عام 1151 عُيِّنَ جيوفـــري أسقفًا للقسم الويلزي الاستشاري للقديس عساف Asaph. هذا التعيين يرجح أنه كان بضاعة بريتونية، حيث أنه تحت سيطرة الأنجلو – نورمان، لم يكن من المعتاد جعل الويلزيين أساقفة على المستشاريات الويلزية {إنسكلوبيديا 209}{3}.

هذه المعطيات تكشف لنا جانبًا من الدوافع وراء الأسطورة الآرتورية. لكنها لا تكفي لبيان المعطيات المعقدة وراء بناء مثل هذه الأسطورة، واستمرارها رغم كل ما يدور حولها من تشكيك. فهذا التبنِّي يكشف دون ريب واقعًا نفسيًا تفاعل مع مضمون الأسطورة، وأراد أصحابه أن يتعاملوا معها كما لو كانت حقيقة.

أغرب رأي نصادفه حول الأسطورة ما ذهب إليه آدم ليفن: «عرش آرثور اختفى لأنه كان نهاية عصر. مع انتشار المسيحية في بريطانيا، لم تعد هناك غرفة للمحارب الفارس ينام فيها مع زوجة جاره، ويقتل الفارس الآخر الذي يتحدّاه. ادّعاءات الحب الحرام للعصور الوسطى ماتت، والرموز الحربية للفروسية سقطت بقبول الأخوية المسيحية. وهكذا، لم تعد هناك حاجة للفرسان، وقاعة آرثور اختفت من العالم{3}.

لا نظنُّ أنَّ مثل هذا التفسير يتفق لا مع تمجيد آرثور، ولا مع انتظار عودته ولا مع إشباع أسطورته برموز معيَّنة لها دلالاتها الميثولوجية. ولنتذكر ما سبق

الإشارة إليه من علاقة بين أسطورة «فرسان الطاولة المستديرة» وبين نظام «فرسان المعبد» الذي أوجدته المسيحية في القرون الوسطى. بل إن ليفن يناقضُ نفسه حين يقول في موضع آخر إن خرافات آرثور وليجنداته، استعملت عبر التاريخ، لتوحي بالخوف والغضب والأمل لدى الشعب الذي توجَّه إليه، وأن قصصه انتشرت من السلت في الجزر البريطانية إلى فرنسا وألمانيا وعبر بقية أوروبا، وكل ثقافة وضعت بصماتها وتحريفاتها على واحدة من أعظم ليجندات الأزمنة. ويضيف إن الليجندات ابتدأت في المدونات التاريخية اللاتينية بواسطة الكهنة، واستخدمت جميعًا كصرخات موجهة ضد غزوات الفايكنغ والجرمان، وكوعظ حول فضائل الإيمان بالمسيحية. ومع الوقت، وصلت إلى الطبقات الأدنى من خلال ترجمات باللغات المحلية وصيغ روائية. ولم يهتم المؤلفون فقط بجعل الشعب متشوقًا من خلال اعتماد الصيغ الشعرية، ولكنَّهم طعَّموها بالنزعات الشوفينية الإقليمية والوطنية. كل بلد له آرثور الخاص به، مثل الفرنسي شارلمان والروماني يوليوس قيصر. بريطانيا

احتاجت بطلًا وقائدًا لبعث الوطنية في شعبها، وآرثور قام بهذه المهمة جيدًا{4}.

وفي وجهة نظر تقدمها (جوي شانت)، تبدو أسطورة آرثور محاولة أخيرة لإنقاذ التاريخ السلتي. فهي ليست مهتمة بالروايات الشائعة المعروفة جيدًا، وإنما حفرت أعمق، للبحث عن الآثار الباهتة الضئيلة التي بقيت من أولئك الملوك العظام، حيث يبدو حكم آرثر وكأنه قبر تلك التركة تمامًا في الغموض. ولم يكن بحثها عمّا قبل آرثور سهلًا، لأن تاريخ السلت كان لزمن طويل شفويًا، والكثير من معطياته بعثرت أو نسيت. وفيما يتصل بالمقاومة البريطانية والكفاح، فإنه لا وطن مزقته الحرب يمكن إنقاذه من الاندفاعات المؤثرة، كما أن التبدل اللغوي ساعد على دفن وتدمير الروايات العظيمة التي تتعلق بالسلت{5}.

هنا تبدو أسطورة آرثور، وكأنّها الطلقة الأخيرة التي أريد بها إنقاذ تاريخ السلت، قبل أن ينتهي كليّةً إلى النسيان. عندئذٍ، يمكننا الافتراض أن هذه الأسطورة، حملت بعناصر عديدة تنتمي إلى عقيدة السلت

وتاريخهم، دون أن تكون مرتبطة بالضرورة بوقائع قصة آرثور نفسه. فهو هنا بمثابة جمل المحامل لتاريخ قديم ووعاء للاحتفاظ بملامح وقيم ديانة قديمة قبل أن تنتهي إلى عالم النسيان.

تقول موري هوب إنه من السهل أن نرى من خلال القراءة بين السطور أن آرثور ومحازبيه، هم رموز من الميثولوجيا السلتية، الذين أعطوا صفات شخصيات فانية وأنسابًا من خلال رواة التاريخ البريتوني في العصور الوسطى. فولادة آرثور موثلت بولادة كل الشخصيات البطولية القديمة الذين كانوا نصف إله ونصف إنسان، وسيفه إكس كاليبور، طبقًا لرواية أخرى من الليجندة، أعطي إليه من «سيدة البحيرة»، وأخيرًا فإنه حصل على قوىً سحرية مماثلة لهدايا التوثا دو دانان من الجن، وممتلكات مانانان من لوغ. وفتاة البحيرة هي بالتأكيد واحدة من النساء الثلاثة اللواتي نقلن آرثور إلى أفالون. وهؤلاء الثلاثة بدورهن، هنّ المشهد الثلاثي للإلهة. وفي الميثولوجيا السلتية، فإن أفالون هو اسمٌ آخرٌ لموطن قوين المتمثل بـ Telwyth

Teg، ذلك المكان الذي تسكنه أرواح الآلهة القدامى أو الشخصيات المؤلهة. والقارب المقدس الذي نقل به إلى أفالون هو عابر المحيط المانانانى {قارب خيرون اليوناني أو سفينة رع الشمسية}{6}.

وتضيف موري هوب أن التماثلات بين الأنون السلتي Annwn وأمنتي المصري تلفت الانتباه. أوزيريس يشار إليه بشكل متعدد بواسطة سلطات مختلفة في السياق الآرثوري، حيث يمكن وضع مرلين في دور توت / تحوتي ساحر البانثيون المصري الذي كان مسؤولًا عن التصور الخاص بحورس. وقد لاحظ وادّل أيضًا الروابط بين أسار Asar / أوزيريس / آرثور في سلسلة التصورات وإن موردرد هو «ست» الذي بيده ذبح أوزيريس / آرثور. الجسم نقل عبر النيل بواسطة إيزيس ونفتيس، فتيات البحيرة، في أقاليم عالو Aalu{أفالون} في الغرب. المكان الذي فيه أوزيريس / آرثور اللذان لم يسجِّل موتهما الفيزيائي يحكمان. وهما ينتظران انبعاثًا مظفرًا. كلا آرثور وأوزيريس كان لهما صلات مع عقيدة الثور، بينما حورس ابن أوزيريس

صُوِّرَ كصقر وآرثور كغراب، حيث أنه ما من إنسان انجليزي واحد في الأزمنة القديمة كان يمكن أن يقتل غرابًا خشية أن يكون روح البطل. اسم ابن أخت آرثور جوالشماي أيضًا يعني الصقر{7}.

ثمة وجهة نظر أخرى للأستاذين (لوروا وغويونفارش)، فهما يقولان إن تجزئة البلاد هي النتيجة لمفهوم السلت في المجتمع. وفي الزمن الذي كنا نستشفه في بدء التاريخ أجاز السلت على مخططهم الأسطوري مفهوم المملكة الموحدة الغامضة Ambigatus، وكل نسبة محفوظة للغال. غير أنه فيما بعد أصبح آرثور للبريتونيين. وكان هؤلاء سكان الجزر في القرن الخامس، ووقفوا قبالة الأنجلو- سكسون كأفضل وآخر المدافعن عن روما {الإمبراطورية} التي قيل إن الملك آرثـور سُمِّي إمبراطورًا لها{8}.

ومن جهة أخرى، فهما يريان أنّ الدور الآرثوري مشابه تقريبًا للدور الأولستري. وقد حلّ فيه الملك الأسطوري آرثور محل الملك كونشوبار. أما ابن أخيه جوالشماي فقد حل محل كوشولاين {غوفان هو بطل الشعر

الآرثوري الفرنسي}. والشخصيات فيها أقل بدائية من شخصيات النصوص الإيرلندية. ولا يحتاج الأمر إلى دراستهم بصورة مطولة للكشف عن أخلاقهم الموحدة تقريبًا، حيث يعود لمعان مظهرهم إلى تأثير الطابع الفرنسي. أما الطابع الذي يدور لكامل الدور فهو أكثر أدبية من طابع المابينوقيون، وليس هو نسخ كلمة بكلمة لترجمة شفوية بل هو تأليف حسن الإعداد لشعراء أو كتاب مرهفين أحسنوا الأسلوب والترجمة{9}.

ويذهب العلامة (أرنولد توينبي) إلى القول بأن هناك جماعات تأثرت بسيرة السيد المسيح عليه السلام، فاعتنقت عقيدة «القدوم الثاني». ففي أسطورة «القدوم الثاني» لآرثور مثلًا، واسى البريطانيون أنفسهم لإخفاق آرثور التاريخي في الانتصار على غزاة البرابرة الانجليز، بالاعتقاد بعودته مرّةً أخرى{10}. وهو يقدم مثالًا مشابهًا من أوروبا، فيقول إن ألمان العصور الوسطى عزوا أنفسهم عن إخفاقهم في الاحتفاظ بزعامتهم على المسيحية الغربية، بالاعتقاد

بعودة الإمبراطور فريدريك بار باروسا مرةً أخرى، وفي هذا يقول أحد المؤرخين: «إلى الجنوب الغربي من السهل الأخضر الذي يكتنف صخرة سالزبرغ، تتجهّمُ كتلة الأنترسبرغ Untersberg الهائلة على الطريق التي تطوي مضيقًا طويلًا إلى خور وبحيرة برشتسغادين Berchtesgaden. وهناك بعيدًا إلى أعلى بين القنن الجيرية الوعرة في نقطة نادرًا ما تبلغها قدم بشرية يدلُّ فلاحو الوادي المسافر على فتحةٍ سوداء لكهفٍ يقولون بأن هناك يرقد باربار وسا وفرسانه في سباتٍ فتّان، ينتظرون فيها الساعة التي تنقطع فيها الغربان السوداء عن التحليق حول القمة، وتزهر شجرة الكمثرى في الوادي، لينزل مع أتباعه المجاهدين ليعيدوا إلى ألمانيا العصر الذهبي للسلام والقوة والوحدة{11}.

وفي الغرب، يبدو أنه إضافةً إلى العقائد السلتية القديمة، فإن الأفكار الغنوصية لعبت دورًا في تشكيل الأسطورة الآرثورية. وهنا يمكن أن نشير إلى مصدرين

أساسيين ربما لعبا دورًا في هذا الاتجاه، وهما: أسرار ميترا والمعتقدات اليهودية.

يقول مرسيا إلياد إنه في القرن الأول قبل الميلاد، بدأت أسرار ميترا في الانتشار في عالم البحر المتوسط {ترجع أول الوثائق إلى 67 ق. م}، بما يفسحُ مجالًا للظن بأنه حوالي نفس التاريخ تأكدت فكرة الملك المسيحاني، التي هي دوما ذات علاقة مع السيناريو الأسطوري الطقوسي المعد حول ميترا. وبالرغم من التناقضات، يبدو مرجحًا، كما برهن ويدنغرين أن أسطورة المنقذ، كما تظهرها الترنيمة الغنوصية للجوهرة، قد تكونت في زمن الأرشاقيين. وأخيرًا، فإنه أثناء هذا العصر أيضًا تطور لاهوت الزروانية الذي تعد الأفكار المتعلقة بالزمان والأبدية وسبق الخلق الروحي على الخلق الطبيعي، والثنائية المطلقة، وكل هذه مفاهيم ستنهج، وأحيانًا تنظم بعناء، وبعد بضعة قرون سيسود حكم الساسانيين{12}.

وفي موضع آخر يقول: «إن نقل الهرمسية يشكل فصلًا مثيرًا في تاريخ الباطنية. لقد أنجز عبر آداب سورية وعربية، وبخاصة بفضل الصابئة في حرّان وفي بلاد ما بين النهرين، والتي استمرت في الحياة في الإسلام حتى القرن التاسع. وإن بحوثًا حديثة كشفت بعض العناصر الهرمسية في البرسيفال لـ{ولفرام} وفي عدة نصوص أسبانية من القرن الثالث عشر{13}. ويرى إلياد أن العناصر الغنوصية، المتكشفة قليلًا في كل مكان، تشتقّ في آخر مطاف من غنوصية يهودية{14}.

وثمة وجهة نظر إضافية بصدد الأسطورة الآرثورية، تشير إلى أن هناك فكرة معقولة، وهي أن ثقافة الأدب الآرثوري وأسطورة الغرال المقدسة سهلت إسهام العالم السلتي في نشر المسيحية خلال العصر الوسيط{15}. وهذا يرجح أنه كان لآرثور موقعه الخاص في العقيدة السلتية قبل أن يقدم في صورة ملك. وهذا ما يرجحه لورو وغوينفارش حين يقولان: إن الجميع تحوَّل مباشرة من الوضع الأسطوري إلى

الوضع الأدبي اللغوي مع المحافظة على المظاهر المدهشة. وعلى العموم لا يتعلق الأمر بالأحداث التاريخية بل بجملة من الوقائع التي تعود للأسطورة بمعناها المعمق وقد سبق أن نقل لنا التاريخ الذي قد يكون صحيحًا أو قاصرًا بأن الملك آرثور كان يحمل اسم أرتوريوس ذي المصدر اللاتيني، وأنه ملك فعلًا خلال القرنين الخامس والسادس. فمثل هذه الواقعة التاريخية ليست مستحيلة، كما يمكن عدم إثباتها أو الطعن فيها. وليس هذا هو المهم هنا، بل هو في الثنائي آرثور ومرلين: الملك والإله {الذي حلّ محلّ الكاهن} والذي من خلال تنصُّره القديم جدًا يجسد ويصون نظام السيادة السلتية المعبَّر عنه باتفاق السلطة الروحية مع السلطة الزمنية. ويعتبر آرثور في المفهوم السلتي البريتوني بمثابة ملك العالم وزوجته جوينيفير هي رمز تجسيد السيادة كما هو حال الملكة مدب Medb في إيرلندا. ومن غير المفيد، حصر مفهوم الأسطورة بفاعلية جزئية، فهي عالمية على الصعيد السلتي{16}.

هوامش

{1} آدم ليفن، عن الإنترنت، ص 1.

{2} م. ن، ص 7.

{3} م. ن، ص 17.

{4} م. ن، ص 24.

{5} جوي شانت، عن الإنترنت.

{6} موري هوب، السحر السلتي العملي، ص 114.

{7} م. ن، ص 117.

{8} فرانسوا لوروا وغويونفارش، مدنية السلت، ص 73.

{9} م. ن، ص 51.

{10} أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج 1، ص 373.

{11} م. ن، ص 374.

{12} مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ج 2، ص 339.

{13} م. ن، ص 327.

{14} م. ن، ج 3، ص 181.

{15} فرانسوا لوروا وغويونفارش، م.س، ص 84.

{16} م. ن، ص 109.